مجلة الكتاب

للدراسات الأدبية واللغوية

مجلة علمية مُحكَّمة نصف سنوية

تصدر عن

معهد البروفيسور عبد الله الطيب للغة العربية

جامعة الخرطوم

العدد الرابع،
يناير، 2022م

جامعة الخرطوم
معهد البروفيسور عبد الله الطيب للغة العربية

مجلة الكتاب

للدراسات الأدبية واللغوية

مدير التحرير
د. الصديق عمر الصديق

رئيس التحرير
د. سعد عبدالقادر العاقب

سكرتير التحرير
د. رندا الإمام يوسف

هيئة التحرير
د. الأصم بشير التوم
د. أسامة تاج السر أحمد
د. المكاشفي إبراهيم عبدالله

المستشارون:
أ . د / محمد غالب عبد الرحمن
أ . د/ عبد الله محمد أحمد
أ . د/ الحسن المُثَنَّى عمر الفاروق

المحتــويات

كلمة رئيس التحرير | د. سعد عبدالقادر العاقب	5
شعر المناماتِ والأشعار المنسوبة لغير الإنس | د. الأصم بشير التوم	23 - 7
من أدوات تكثيف الدَّلالة البكائيَّة في عينيَّة أبي ذؤيب الهذليِّ (دراسة وصفية تحليلية) | د. هالة أبايزيد بسطان محمد	47 - 24
ما تَبَقَّى مِنْ شِعْرِ يزيد بن مُحَمَّد بن صِقْلاب الأندلسي (جمع وتوثيق ودراسة) | د.محمد محجوب محمد عبد المجيد	78 - 48
سورة الكوثر (دراسة أسلوبية) | د. محمد أحمد عبد العاطي عبد الباقي	101 - 79
البُعد الجماليُّ في محاكاة الألفاظ للمعاني في القرآن الكريم | د. مُيسَّر عُذيمان السّاري	121 - 102
آراء «عيسى بن عمر» النحويّة ورواياته في كتاب سيبويه (دراسة وصفيّة نحويّة) | د. محمد سعد محمد أحمد د. محمد الطيب البشير بابكر	156 - 122
معاجم التعابير الاصطلاحية والسياقية الإلكترونية وحاجة متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى لها | د. عبدالله وصل الجهني	182 - 157

قواعد النشر

نفيد الباحثين والمفكرين بشروط الكتابة وقواعدها في المجلة.

- ☑ **أن يتسم البحث بالأصالة والتميز، وأن تكون فيه إضافة للمعرفة.**
- ☑ **أن تُراعَى في المادة المطلوب نشرها القواعد المتعارف عليها في البحث العلمي والدراسة الأكاديمية من نواحي توثيق المصادر والنصوص والموضوعية والمنهجية في الكتابة.**
- ☑ **تعرض المواد المراد نشرها على مُحَكَّمين لتقويمها وتحديد مدى صلاحيتها للنشر.**
- ☑ **إن كان للمُحَكَّمين بعض الملاحظات حول المادة المراد نشرها، تُرَدّ المادة لكاتبها للنظر في تلك الملاحظات ومن ثم إعادتها للنشر.**
- ☑ **إدارة المجلة غير مسؤولة عن استرداد المادة المراد نشرها إذا رُفِضت من قِبَل المحكَّمين.**
- ☑ **المواد المقدمة في مجلة (الكتاب) يجب ألا تكون قد سبق نشرها، أو مقدمة للنشر في مجلة أخرى.**
- ☑ **يجب أن يتضمَّن البحث مستخلصاً باللغة العربية ومستخلصاً باللغة الإنجليزية مع مراعاة أن يكون المستخلص فقرة واحدة ثم تليه المقدمة.**
- ☑ **يكون التوثيق بالحواشي السفلية في كل صفحة منفردة بجانب رصد قائمة المصادر والمراجع في نهاية المادة العلمية.**
- ☑ **تُعَنْون المَواد المُراد نشرها إلى السيد رئيس التحرير، وتُسلَّم بواسطة البريد الإلكتروني، أو نسخة على أسطوانة (CD) ونسخة ورقية بمقر المجلة بمعهد عبد الله الطيب للغة العربية – جامعة الخرطوم. أو إلى dr_alsiddik@hotmail.com**
- ☑ **يجب ألا تزيد الورقة المراد نشرها على خمس وعشرين صفحة بمقياس ورقة (A4).**
- ☑ **وتُرتّب المصادر بأسماء مؤلفيها ترتيبًا هجائيًّا، على النحو التالي: اسم المؤلف بلقبه، اسم المؤلف، اسم الكتاب، المحقِّق «إن وُجد»، دار النشر، البلد، رقم الطبعة وتاريخها، العام، الصفحة.**
- ☑ **في حالة نشر المجلة تقدم للباحث نسختان من العدد الذي نشر فيه البحث.**
- ☑ **نوع الخط (Simplified Arabic) الحجم (١٤) للمتن، (١٦) للعناوين، (١٢) للهوامش، المسافة بين السطور (١,٥).**

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين.

وبعد،

بحمد الله وتوفيقه صدر **العدد الرابع** من مجلة **الكتاب**، وهو كما الأعداد السابقة جاء متضمنًا بحوثًا شتى تنوعت بين الأدب واللغة، وتعددت مناهجها في البحث، الذي يقوم في أساسه على متن اللغة وروح الأدب، تجاوز هذا العدد معيقاتٍ كثيرةً، كادت تعصف به، لكن إصرار الباحثين على الإنتاج العلمي، وإصرار هيئة التحرير على إصداره كان أقوى من تلك المعيقات.

سيظلّ نهجنا في المجلة كما عهدتمونا الحرص على العلمية والدقة في تحكيم البحوث، حتى نحافظ على ذلك النجاح الذي لزم المجلة منذ صدور عددها الأول، وندعو الباحثين في مجال اللغة والأدب كافة إلى إرسال بحوثهم إلى المجلة، والمشاركة في هذا النجاح.

والله الموفق

د. سعد عبد القادر العاقب سعد

رئيس التحرير

شعر المنامات
والأشعار المنسوبة لغير الإنس

|

إعداد

د. الأصم بشير التوم

الأستاذ المساعد بجامعة الخرطوم، كلية التربية، قسم اللغة العربية.

Arabic *Manama* [Dream Vision] Poems and Poems Attributed to Non-humans

Dr. Al-Asam Bashir Al-Toum - Assistant Professor at the University of Khartoum، Faculty of Education، Department of Arabic Language.

مستخلص

هدفت هذه الدراسة لتتبع الأشعار المنسوبة للرؤيا المنامية والمنسوبة لغير البشر بطريقٍ من الطرق، بغية الوقوف على دواعيها أغراضها وأسلوبها وما يمكن أن تفسره من حالة المجتمعات التي توجد فيها مثل هذه الأشعار. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي، وذلك بجمع النماذج من المصادر والمراجع

Abstract

This study aimed to trace the poems attributed to dream visions and attributed to non-humans in a way, in order to identify their causes, purposes, style, and what they can explain about the statuses of the societies in which such poems exist. The study followed the descriptive approach, by collecting samples from different sources and references, analyzing them and

المختلفة وتحليلها والتعليق عليها. وتم التوصل إلى عدد من النتائج، أهمها: إن أنواع هذا الشعر تباينت بين هاتف يسمعه الناس ولا يرونه، أو رؤيا منامية، أو شخص مجهول ينشد شعراً ويختفي فجأة، إلى غير ذلك مما لا يمكن نسبته لشخص بعينه من البشر. تنوعت الأغراض التي جاء من أجلها هذ الشعر بين النعي، والإخبار بقرب الأجل، والتنبيه على خطر قادم، فهي في الغالب رسائل تنبيهية، وربما يكون لحضور الأمر المعين في العقل الباطن للشخص أثر في ذلك. تنوعت الأوزان الشعرية التي جاءت عليها هذه الأشعار وشملت البحور الخليلية الشائعة الاستعمال. إن هذا الشعرَ متناثر في مصادر متنوعة جداً، من بينها كتب الأدب والتاريخ والتراجم وغيرها.

commenting on them. A number of results were reached, the most important of which are described below. First, These types of poems varied between a call that people hear but do not see, or a dreaming vision, or an unknown person who recites poetry and suddenly disappears, and other things that cannot be attributed to a specific human being. The purposes for which this poetry came varied between obituaries, informing about the approaching death, and warning of an upcoming danger; so, they are mostly alert messages, and the presence of a specific matter in the person's subconscious mind may have an impact on that. The meters on which these poems were written varied and included the frequently used meters of Al-Khalil Al-Farahidi. this poetry attributed to non-humans is scattered in very diverse sources, including books of literature, history, biographies and others.

مقدمة:

حفلت طائفة واسعة من كتب التراث العربي بالكثير من أشعار المنامات والشعر المنسوب لغير الإنس، كالجنِّ وإبليس، وكالأشعار التي يسمعها الناس ولا يرون قائلها، ولا يعرفون مَن هو، وهذه الأشعار المنسوبة لغير الإنس كثيرة، ومختلفة الأغراض، وهي إما أن تكون في رؤيا في المنام، وإما أن يهتف بها هاتف يسمعه الناس ولا يرونه، وإما أن توجد في رقعة تأتي بها الرياح، إلى غير ذلك. ويريد الباحث هنا أن يتناول طرفاً من هذه الأشعار، مبيناً خصائصها وأغراضها وما يمكن أن تعكسه من ثقافة المجتمع الذي ظهرت فيه؛ وبذلك نستطيع تصوُّرَ حالة من حالات ذلك المجتمع، وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة.

وإيمانُ بعض المجتمعات بهذه القضايا والمسائل التي هي أقرب للغيبيات أو التي تبعد عن عالم المشاهدة فيه إشارات لعقيدة المجتمع، وقد تكون فيها جذور ممتدة إلى الماضي الثقافي الذي يمتلئ بالخرافات والأساطير، وقد تكون لها صلة بمعتقدات دينية، وكذلك ربما تشكل هذه المسائل نواة لألوان من الأدب لم يحِن وقتها بعد، كل ذلك يجعل من دراسة هذه الأشعار حافزاً، يدفع لبحثها وسبر أغوارها. كما إن رواية هذه الأشعار وتناقلها تحتاج لمزيد من التنقيح والتثبُّت، ويفترض الباحث أن فيها كثيراً من النَّحْل، وأن هنالك من أنكرها وعدَّها تخرُّصاً بما لا يقبله عقل ولا نقل، لا سيما تلك الأخبار التي روتها الكتب عن أممٍ بادت في غابر التاريخ ولم تبقَ منها باقية.

وتسير الدراسة على خُطا المنهج الوصفي، حيث يتم اختيار النماذج المختلفة من مصادرها ودراستها والتعليق عليها للوصول إلى النتائج.

بعض الأشعار المنسوبة لغير الإنس ضاربة في القِدم، حولها الكثير من الأسئلة التي تحار في كيفية وصولها إلى زمان مَن أوردوها من مؤلفي كتب الأدب والتراث القديم.

من ذلك شعر ينسبونه لأبينا آدم عليه السلام، وفيه حوار شعري بينه وبين إبليس عليه لعنة الله، وذلك حينما قتل قابيل أخاه هابيل، فورد في بعض المصادر أنَّ آدم عليه السلام قال:

تَغَـيَّرَتِ الْبِـلادُ وَمَـنْ عَلَيْهَـا فَوَجْـهُ الأَرْضِ مُغْـبَرٌّ قَبِيحُ[1]
تَغَـيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْـمٍ وَلَـوْنٍ وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الصَّبِيحِ[2]

فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ:

تَنَـحَّ عَـنِ الْبِـلادِ وَسَـاكِنِيهَا بَنى فِي الْخُـلْدِ ضَاقَ لَكَ الْفَسِـيحُ
وَكُنْـتَ بِهَـا وَزَوْجَـكَ فِي رَخَـاءٍ وَقَلْبَـكُ مِـنْ أَذَى الدُّنْيَا مُرِيحُ
فَمَـا انْفَكَّـتْ مُكَايَـدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَـكَ الثَّمَـنُ الرَّبِيـحُ
فَلَـوْلا رَحْمَـةُ الْجَبَّـارِ أَضْـحَى بِكَفِّـكَ مِنْ جنـان الخلد ريحُ

والذي دعا لإيراد هذه النماذج هو أن الطرف الذي قام بالردِّ هو من غير الإنس، هذا، وقد أوردت المصادر أيضاً أشعاراً تُنسب لعهد عادٍ وثمود[3]، وكل ذلك الشعر مما لا تثبت روايته، وكان ابن سلَّام الجمحي في بدايات القرن الثالث الهجري قد التفت إلى هذه القضية، وأنكر مثل هذه الروايات أشدَّ إنكار، وأسهب في بسط الأدلة العقلية والنقلية، من الآيات وغيرها، مما يؤكد انقطاع الرواية بين العرب الجاهليين وبين تلك الأمم البائدة، وذكر أنَّ إسماعيل بن إبراهيم هو أول من تكلم بالعربية، ونسي لسان أبيه، وقال ابن سلَّام عن هذا النوع من الشعر: « وليس بشعر وإنما هو كلامٌ مؤلفٌ

(١) انظر: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ) جمهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، ب ت، ص ٣٠. شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ب. ط، ١٤٢٣ه، ج١٣، ص ٣٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ ج١، ص: ٢٢٤.

(٢) البيت مضبوط في المنتظم لابن الجوزي، ج١، ص ٢٢٤ على هذا النحو، وبهذا ففي الشعر إقواء، وقد ذكر أبو زيد بن أبي الخطاب أن (بشاشة) منون بالفتح على التمييز، ثم حذف التنوين لالتقاء الساكنين، وأصل التركيب: (وقلَّ الوجهُ الصبيحُ بشاشةً) وعلى هذا فـ (الوجه) فاعل، ولا إقواء ثَمَّ. انظر: جمهرة أشعار العرب، ص: ٣٠.

(٣) انظر: أبو زيد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، ص: ٣٢، و المفضل بن سلمة بن عاصم: الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ، ص: ٨٣، و ابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ه ج٧، ص: ٢٩. و الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص: ١٣١.

معقودٌ بقوافٍ»[1]، وقد أشار أبو العلاء المعري في رسالة الغفران إلى تكذيب من نسب هذا الشعر لآدم عليه السلام[2].

وممن توقف عند رواية هذا الشعر من المتأخرين ابن كثير المتوفى ٧٧٤ه، قال: «وهذا الشعر فيه نظر، وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزَّن به بلغته، فألفه بعضهم إلى هذا، وفيه أقوال والله أعلم»[3] ومع هذا فقد وردت هذه الأبيات منسوبة لآدم في بعض الكتب مثل تاريخ الطبري[4].

ويرى الباحث أنَّ الراجح في شأن هذا الشعر هو ما ذهب إليه ابن سلَّام وغيره ممن دحضوا روايته؛ وذلك لِقوَّة أدلتهم، ووضوح حجتهم، أما الذين روَوه فإنَّهم حُملت إليهم هذه الأشعار، فقبلوها وتناقلوها دون أن يراجعوا أنفسم فيمن حملها ورواها منذ آلاف السنين.

وأوردت بعض المصادر أبياتاً من الشعر، ذكروا أنَّ الناس سمعوها يوم هاجرَ النبي صلى الله عليه وسلم، من صوت لم يروا قائله[5]، وقد أجابه حسان بن ثابت بأبيات منها قوله:

لَقَـد خَـابَ قَـوْمٌ غَابَ عَنْهُـمْ نَبِيُّهُـمُ وَقُـدِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْـهِ وَيَغْتَدِي [6]

(١) محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ج١، ص: ٨

(٢) أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان:رسالة الغفران، مطبعة أمين هندية بالموسكي، مصر، صححها ووقف على طبعها: إبراهيم اليازجي، الطبعة: الأولى، ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م، ص: ١٠٩

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ه ١٩٨٨م، ج١، ص: ١٠٦

(٤) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث،الطبعة: الثانية، ١٣٨٧ هـ، ج١، ص: ١٤٥.

(٥) النهرواني: أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى (المتوفى: ٣٩٠هـ) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٧٠

(٦) الأبيات في ديوان حسان بن ثابت، شرح: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ه/ ١٩٨٤م، ص: ٥٩

تَرَحَّـلَ عَـنْ قَـوْمٍ فَزَالَـتْ عُقُولُهُـمُ وَحَـلَّ عَلَى قَـوْمٍ بِنُـورٍ مُجَـدَّدِ
وَهَـلْ يَسْـتَوِي ضُـلالُ قَـوْمٍ تَسَـفَّهُوا عَـمًى وَهُـدَاةٌ يَهْتَـدُونَ بِمُهْتَـدِ؟

ومما ينسب لإبليس أن نظام الملك المتوفى سنة ٤٨٥هـ، رآه في المنام فسأله عن عدم سجوده لله، فقال إبليس:

مَـنْ لَمْ يكـن للوصولِ أهلاً فـكُلُّ إحسـانِه ذنـوبُ

جاء ذلك في بعض الكتب التاريخ، فذكره ابن الجوزي[١] وابن كثير[٢]، ولم تُجمع المصادر على نسبته لإبليس، بل نسبه الراغب الأصبهاني[٣] والبرقوقي[٤] للشبلي؛ لذلك فنسبته غير ثابتة.

ويلاحظ الباحث أن معظم الأغراض والمواقف التي روَوا فيها شعراً لغير الإنس تتعلق بالموت، وما يتصل به، من إخبار عن قرب الأجل، أو أن يرى أحد الناس رجلاً من الأموات فيسأله عما صنع الله به، فينشده شعراً، يبين حاله بعد موته، أو أن يسمع صوتاً، أو هاتفاً يخبره أو يشير إليه بموت أحد العظماء، ويمكن حصر هذه الأغراض والمواقف فيما يلي:

أ/ الإخبار بقرب الأجل:

والإخبار بالموت في الرؤيا - غالباً - لا يكون صريحاً، وإنما يأتي في إشارة لخلوِّ الدار ونحوه، فقد رُوِي أن الخليفة المنصور رأى في منامه في السنة التي مات فيها كأنَّ آتياً أتاه، فقال له:

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج١٦، ص: ٣٠٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٧٣

(٣) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، ج١، ص ٥٥١

(٤) عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي، الذخائر والعبقريات، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ج١، ص ١٧٦.

كأنِّي بهـذا القـصرِ قَـدْ بـادَ أهلُـه وعُـرِّى منـه أهلُـه ومنـازلُه[1]
وصـارَ رئيسُ القومِ مـن بعد بهجة إِلَى جَـدَثٍ يُبْـنَى عليـه جنـادلُه

وإن من المصادفات العجيبة أن ابنه الخليفة المهدي رأى قبل وفاته في المنام شيخاً أنشده هذين البيتين أنفسَهما وزاد عليهما قوله:

ولـم يبـقَ إلا ذكـرُه وحديثـه تنـادي عليـه بالعويـلِ حلائلُه[2]

وكذلك رأى القاضي عمر بن حماد بن يزيد المتوفى ٣٢٨هـ، قبل وفاته شخصاً في المنام يقول:

منـازلَ آلِ حمـادِ بـن زيـدٍ على أهليكِ والنعمِ السـلامُ[3]

فلما كان اليوم السابع من ذلك تُوفِّي.

ورأى إبراهيم بن دينار أبو حكيم النهرواني المتوفى سنة ٥٥٦هـ، رجلاً في المنام، وسط داره قائماً: فقال: من أنت؟ فقال الخضر. ثم قال:

تأهَّـبْ لـلذي لابـدَّ منـه مـن الموتِ الموكَّلِ بالعِبَـادِ[4]

ثم أخبره أنه بقي من عمره اثنتا عشرة سنة، فمات بعد أن قضاها.

وليست الأحلام والمنامات وحدها هي مصدر ذلك الشعر المنسوب لغير الإنس، فقد روي أن الخليفة المنصور كان قاصداً مكة ومعه الربيع، فنزل المنصور يقضي

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ ه، ج٢، ص٣٣٥ ـ

(٢) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٢، ص ١١٨، (مصدر سابق)

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص:٣٩١. ومحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ج٢، ص ٢٤٢

(٤) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج٣٨، ص ١٩٢

حاجته، فإذا الريح قد ألقت إليه رقعة فيها مكتوب:

أبـا جَعْفَـرٍ حانتْ وفاتُـك وانقضتْ سِـنُوْكَ وأمـر اللهِ لا بـدَّ واقـعُ[1]
أبـا جَعْفَـر هـلْ كاهـنٌ أو منجـمٌ لـك اليـوم عَـنْ حـرِّ المنيـةِ دافـعُ

وفي وصف الرقعة بأنها ألقتها إليه الريح إشارة إلى أن صاحب الشعر مجهول وربما هو ليس من البشر؛ ولتثبت القصة هذا الادعاء جاء فيها أن المنصور بعد أن قرأ الرقعة نادى: يا ربيع! تنعي إليَّ نفسي في رقعة؟ فقال الربيع: لا والله لا أعرف رقعة، ولا أدري ما هي. وقد توفى المنصور من وجهته تلك. ومن الواضح أنَّ مثل هذه الوقائع التي تنتشر في تلك المجتمعات لها صلة وثيقة بمعتقدات الناس وما يسيطر على عقلهم الباطن، ويرى الباحث أن انتشارها وتصديقها مما يرسِّخها في عندهم ويهيئ نفوسهم لتلقيها.

ب/ الإخبار بموت أحد الخلفاء أو العلماء:

كثيراً ما أوردت المصادر أشعاراً مفادها أن يرى النائم أو يسمع هاتفاً ينشده شعراً يدلُّ على وفاة أحد العظماء أو قرب وفاته، ومن ذلك ما ذكروه عن رجل يدعى محمد بن عاصم المغافري أنه رأى في المنام قائلاً يقول له: يا محمد:

ذَهَـبَ الذيـن يُقال عنـد فراقِهم ليـتَ الديـارَ بأهلِهـا تتصـدَّعُ[2]

فأوله بموت أشهب بن عبد العزيز، وهو من فقهاء مصر، فكان كذلك.

كذلك رأى عمرو بن شيبان الحِلِّيُّ أتياً أتاه في المنام فقال له:

يَـا نائـمَ الليـلِ في أقطـارِ جثمـاني أفـضْ دموعَك يَـا عمرو بْن شـيبانِ
أمَا تـرى الفتيةَ الأرجـاسَ مَا فعلتْ بالهاشـميِّ وبالفتـحِ بْـن خَاقـانِ
وافى إِلَى الله مظلومَـاً فضـجَّ لَهُ أهـلُ السـموات مـن مثـنى ووُحدانِ

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٣٥ وابن الجوزي، المنتظم: ج٨، ص: ٢٢١

(٢) لم أعثر على قائله في جميع الكتب التي وقفتُ عليها، وقد انفرد بروايته مصحوباً بخبره ابنُ الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٠، ص ١٣١.

وسوف تأتيكم أخرى مسومةٌ توقعوها لها شأن من الشانِ
فابكوا عَلَى جعفر وابكوا خليفتكم فقد بكاه جميعُ الإنسِ والجانِ

فلما أصبح فإذا الناس يقولون إن الخليفة جعفر المتوكل قد قتل في هذه الليلة.(١)

ومن تلك الأشعار التي لم يعرف قائلها ذلك الشعر الذي هتف به هاتف سمعه أبو الحسن بن الشيبة العلوي يوم مات الأمير أبو الحسن معز الدولة سنة ٣٥٦هـ، فقد سمِع بداره في دجلة صوت هاتفٍ يقول:

لمَّا بلغتَ أبا الحسين مرادَ نفسك في الطلبْ(٢)
وأمنتَ من حدثِ الليالي واحتجبتَ عن النُّوَبْ
مُدَّتْ إليك يدُ الردى فأُخذتَ من بيتِ الذهبْ

والملاحظ أن هذه الأشعار التي تحمل نعياً، أو تخبر بقرب موت أحد الناس إنما تتصل بموت العظماء من خلفاء وأمراء وعلماء. وبالنظر إلى الناحية الفنية لهذه النماذج لا يبدو هنالك ما يميزها من ناحية الموسيقا والأوزان وما يتصل بالقوافي وقوانينها، وهذا يؤكد صلتها بروح المجتمع وثقافته وفنونه، فهي لا تختلف في أسلوبها عن الشعر العربي بصفة عامة.

ج/ أن يُخْبِرَ الميِّتُ عن حاله بعد موته:

ذكروا أن أبا عامر الواعظَ وعظَ رجلاً وجاريةً، يقال أنهما من ولد الحسين بن علي ابن أبي طالب؛ فماتا متأثرَين بوعظه، فحزن على ذلك حزناً شديداً، حتى رآهما في المنام عليهما حلتان خضراوان، فقال مرحباً بكما وسهلاً، فما زلت حذراً مما وعظتكما به، ماذا صنع الله بكما، فقال الشيخ:

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠/ ص ٣٨٧

(٢) محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن الهمذاني المعروف بالمقدسي (المتوفى: ٥٢١هـ) تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م، ص ١٩٣

أنـت شريكـي فِي الَّذِي نلتُـه مسـتأهلاً ذاك يـا أبـا عامرْ[1]
وكلُّ مــن أيقــظَ ذا غفلــة فنصـفُ مَـا يُعطـاه للآمـرْ
مــن رد عبــداً آبقــاً مذنبــاً كَانَ كمـن قَـدْ راقـب القاهـرْ
واجتمعــا فِي دارِ عــدلٍ وفي جــوارِ ربٍّ سـيِّدٍ غافــرْ

ورأى دلف بن أبي دلف في المنام بعد موت أبيه أن آتياً أتاه، فأخذه إلى دارٍ خربةٍ، في حيطانها أثر النار، وفي أرضها أثر الرماد، وإذا بأبيه عريان واضعاً رأسَه بين ركبتيه، فقال له كالمستفهم: دلف؟ فقال: نعم أصلح الله الأمير، فأنشد يقول:

أبلغـنْ أهلَنـا ولا تخـفِ عنهـم مَـا لقينـا فِي الـبرزخ الخنـاقِ
قـد سُـئلنا عن كل مَا قـدْ فعلنا فارحمـوا وحشـتي ومَا قـد ألاقي

ثم قال له: أفهمت؟ قال: نعم، فأنشأ يقول:

فلــو كُنَّــا إذا مِتنــا تُركنــا لـكانَ المـوتُ راحـةَ كلِّ حيّ[2]
ولكنــا إذا مِتنــا بُعثنــا ونُسـأل بعـدَ ذا عـن كلِّ شيّ

وهذان البيتان منسوبان كذلك لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

كذلك أوردت بعض المصادر أن أبا الفضل بن الخزان رأى في منامه الشاعرَ أبا عبد الله الحسين بن الحجاج المتوفى ٣٩١هـ بعد موته، فقال: ما صنع الله بك؟ قال:

أفسـدَ حسـنَ مذهـبي في الشعر سـوءُ المذهبِ[4]
وحمـلَ الجِـدَّ على ظهـرِ حِصـانِ اللعـبِ

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج٨، ص: ١٢١. وفي عجز البيت الأول خلل في الوزن يستقيم بحذف ياء النداء (مستأهلا ذاك أبــا عامرِ).

(٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، ج١٤، ص ٤٠٧

(٣) علي بن أبي طالب، ديوانه، ص: ٢٢٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا ط، ١٩٠٠م، ج٢، ص ١٧١.

لـم يـرضَ مـولاي عَلَيْ بسـببِّ أصحـابِ النَّـبِي
وقـال لي ويلـك يـا أحمـقُ لِـمْ لَـمْ تَتُـبِ
مـن بُغْـضِ قومٍ مـن رَجَا ولاءَهـم لَـمْ يَخِـبِ
رُمْـتَ الـرِّضى جَهلاً بما أصـلاك نـارَ اللهَـبِ

ونُقل عن بعض العدول أن رجلاً رأى في المنام قاضيَ القضاة عليَّ بن الحسين الزينبي المتوفى ٥٤٣هـ بعد موته، فقال: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي ثم أنشد:

وإنَّ أمـرءاً ينجو مـن النَّارِ بعدما تـزوَّدَ مـن أعمالِهـا لَسـعيدُ[١]

د/ ما يسمع في الرثاء والنعي:

من ذلك ما ذكروه من أن الناس مكثوا زماناً ومن جاز من قريش في السنَّ أربعين سنة عُمِّر، فجازها صبيرة بن سعيد، بيسيرٍ، ثم مات فجأة، ففزع لذلك الناس، فناحت عليه الجنُّ فقالت:

مَـنْ يأمـنُ الحدثـانِ بعْـ ـدَ صبـيرةَ القـرشيِّ ماتـا[٢]
عجلـتْ مَنِيَّتُـه المشـيـ ـبَ فـكان منيتـه افتلاتـا

وممن نَعَتْهُ الجنُّ سعد بن عبادة الأنصاري فإنه مات بحَوْرَانَ، فسمع غلمان بالمدينة صوتاً خارجاً من بئر يقول:

نحـنُ قتلنـا سـيِّدَ الْـ ـخزرجِ سعدَ بنَ عبادَهْ[٣]
ورمينـاه بسـهميـ ـن فلـم تخـطِ فـؤادَه

فهذا يعدُّ نعياً وإخباراً بموته؛ لأنه مات في حوران، والصوت سمع في المدينة،

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج٢، ص ٣٩٨. ونسبه المبرِّد لرجل يدعى يزيد بن الصقيل العقيلي، انظر: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس المبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) الكامل في اللغة والأدب، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج١، ص: ٨٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم: ج٦، ص: ٣٢٦.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢ م، ص ٢٥٩

ويغلب أن يكون هذا الشعر صدر عن الجنِّ، لأن سعداً كان سبب موته أنه جلس يبول في نفق، فمات من ساعته، ووجدوه قد اخضرَّ جلده.

ومن المراثي المنسوبة لغير الإنس أن امرأة جاءت على حمارٍ فارهٍ، فوقفت على رأس جعفر بن يحيى وقد صلبه الرشيد، فقالت بلسان فصيح: واللهِ لئن صرت اليوم آية فلقد كنت في المكارم غاية، ثم أنشدت تقول:

لما رأيتُ السيفَ خالطَ جعفرا ... ونادى منادٍ للخليفةِ في يحيى
بكيتُ على الدنيا وأيقنتُ أنَّما ... قُصَارَى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
وما هي إلا دولةٌ بعد دولةٍ ... تُخَوِّل ذا نُعمى وتُعقِبُ ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازلَ رفعةٍ ... من المُلْكِ حطَّتْ ذا إلى الغايةِ القصوى

ثم إنها حركت حمارها وكأنها كانت ريحاً لم يعرف لها أثر، وهذه الرواية تشير إلى أنّ هذه المرأة التي رثت جعفر بن يحيى لم تكن من البشر.[1] وهذا الشعر منسوب كذلك لدعبل بن علي الخزاعي، ومثبت في ديوانه[2].

هـ/ التخليص من الهلاك أو الضلال:

إن الأشعار والأخبار التي رواها ابن الجوزي في هذا الشأن عجيبة كل العجب، وهي تشير إلى رسائل ربانية ينقذ الله بها بعض عباده من التهلكة، وقد تكون هذه التهلكة ضلالاً وعمًى عن الحق، وعدم انتباه له ولموضعه، فقد روى أن سواد بن قارب جاءه جنيٌّ في النوم ثلاث ليالٍ ينشده ثلاثة أبياتٍ في كل ليلة، تحثه على السير للنبي صلى الله عليه وسلم، فذهب وأسلم.[3]

وقد تكون الرؤيا تنبيه لشرٍّ محدق بالنائم، يكاد يهلكه، فيسمع في منامه شعراً ينقذه من هذا الهلاك ويخلصه منه. من ذلك أن الخليفة المأمون كان يوماً نائماً فانتبه

(١) النهرواني، الجليس الصالح الكافي، ص ٣٩٧، وابن الجوزي، المنتظم: ج٩، ص: ١٣٧

(٢) دعبل بن علي الخزاعي، ديوانه، صنعه: عبد الكريم الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢، ص ٤٣٢.

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج٢، ص: ٣٤٤

فأمر من معه أن ينظر عند رجليه، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، ثم نظروا تحت فراشه فوجدوا حيةً بطوله فقتلوها، فقال بعضهم انضاف إلى كمال أمير المؤمنين علم الغيب. فقال: معاذ الله، ولكن هتف بي هاتف الساعة وأنا نائم:

يـا راقـدَ الليـلِ انتبهْ إنَّ الخطوبَ لها سُرَى
ثقـةُ الفـتى بزمانِـهِ ثقـةٌ مُحللَّـةُ العـرَى

فانتبهت، فعلمت أن قد حدث أمر إما قريب وإما بعيد، فتأملت ما قرب فكان ما رأيتم.(١)

وأحياناً يكون الشعر الذي يحفظ عن الرؤيا بشرى للرائي بفرج عن ضيق أو ذهاب كرب ومصيبة، فقد رُوِيَ عن يعقوب بن داؤود بن طهمان المتوفى سنة ١٨٢هـ أنه كان مسجوناً في بئر خمسة عشر سنة فأتاه آتٍ في منامه فقال له:

حَـنَى على يوسـفٍ رَبٌّ فأخرجـه مـن قَعْـرِ جُبٍّ وبيـتٍ حـوله غَمَمُ

فمكث بعد ذلك حولاً كاملاً ثم أتاه ذلك الآتي فقال له:

عسى الكـربُ الذي أمسـيتُ فيه يكـونُ وراءه فـرجٌ قريـبُ
فيأمـنُ خائـفٌ ويفـكُّ عانٍ ويـأتي أهلَـه النـائي الغريـبُ

فلما أصبح نودي فأخرج من السجن وكان ذلك في خلافة الرشيد، وهو محبوس من خلافة المهدي.(٢) وهنا تبرز طايفة من الاستفهامات حول صلة هذه الرؤى المنامية بما يسمية علماء النفس الحاسة السادسة أو القوى الكامنة في النفس البشرية، وليس هذا موضع التوسع في هذه المسائل.

و/ ما سمع في الوعظ عن غير الإنس:

من ذلك أن أبا مسلم إبراهيم بن عبد الله البصري دخل يوماً حماماً ليس فيه أحد، فسمع صوتاً يقول: أبو مسلم أسلم تسلم، ثم أنشأ يقول:

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج١٠، ص: ٥٧.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص ٢٥

لـك الحمـدُ إمَّـا على نعمـةٍ وإمَّـا على نقمـةٍ تدفـعُ[1]
تشـاءُ فتفعـلُ مـا شـئتهُ وتسـمعُ مـن حيـثُ لا يسـمعُ

فخرج فزعاً، فسأله صاحب الحمام: هل سمعت شيئاً؟ فأخبره بما جرى، فقال: هذا جنيٌّ يتراءى لنا في كل حين وينشد الشعر، ومن شعره:

أيُّهـا المذنـبُ المفـرِّطُ جهـلا كـمْ تمـادَى وتركبُ الذنـبَ جهلا[2]
كـمْ وكـمْ تُسـخِطُ الجليـلَ بفعـلٍ سـمجٍ وهـو يحسـنُ الصنـعَ فعـلا
كيـف تَهْـدَا جفـونُ مـن ليـس يدري أَرَضِي عنـه مـن على العـرشِ أم لا

ومن شعر المواعظ الذي ينسب لغير الإنس ما أُثِرَ عن سعد الله ابن نصر الدين بن سعيد الدجاجي المتوفى سنة ٥٦٤هـ، أنه قال: كنت خائفاً من الخليفة لحادثٍ، فاختفيتُ، فرأيت في المنام كأني في غرفة أكتب شيئاً فجاء رجل، فوقف ورائي وقال: اكتب ما أملي عليك وأنشد:

ادفـعْ بصـبرك حـادثَ الأيَّـامِ وتَـرَجَّ لطـفَ الواحـدِ العـلامِ[3]
لا تأيسـنَّ وأنْ تضايـقَ كربُهـا ورمـاك ريـبُ صروفِهـا بسـهامِ
فلـه تعـالى بـين ذلـك فرجـةٌ تخـفى على الأبصـار والأوهـامِ
كـمْ مَـن نَجَا مـن بين أطـرافِ القَنَا وفريسـةٌ سـلمتْ مـن الـضِّرغامِ

فهذه الأشعار المتقدمة على كثرتها فإنها قد رويت عن غير البشر، حُفظت عن رؤيا منامية، أو سُمعت عن هاتف لم يره الناس، إلى غير ذلك من أنواعها. ويرى الباحث أن من أبرز دواعي انتشارها الثقافة الدينية والمعرفية للمجتمع العربي في فترة من فترات تاريخها والتي تكاد تنحصر في العصور المتقدمة منذ فجر الإسلام وحتى نهايات العصر العباسي.

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج١٣، ص: ٣٦.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم: ج١٣، ص: ٣٦.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣٢١

الخاتمة:

كانت تلك سياحة مع أشعارٍ غصَّت بها كتب الأدب والتاريخ والتراجم ومصادر التراث العربي والإسلامي بصفة عامة، وقف الباحث من خلالها على طائفة من هذا النوع من الشعر، وبالطبع فإنه لا يدَّعي حصره واستيفاء جميع نماذجه؛ لتناثره في مصادر متفرقة متنوعة، ولكن حسب هذه الدراسة أنها وقفت على عددٍ من النماذج وعالجتها بالتعليق عليها وتحليل بعضها، مما أوصل إلى نتائج، يمكن إيرادها على النحو التالي:

- إن أنواع هذا الشعر تباينت بين هاتف يسمعه الناس ولا يرونه، أو رؤيا منامية، أو شخص مجهول ينشد شعراً ويختفي فجأة، إلى غير ذلك مما لا يمكن نسبته لشخص بعينه من البشر.
- تنوعت الأغراض التي جاء من أجلها هذ الشعر بين النعي، والإخبار بقرب الأجل، والتنبيه على خطر قادم، فهي في الغالب رسائل تنبيهية، وربما يكون لحضور الأمر المعين في العقل الباطن للشخص أثر في ذلك.
- تنوعت الأوزان الشعرية التي جاءت عليها هذه الأشعار وشملت البحور الخليلية الكثيرة الاستعمال، كالطويل والوافر والكامل والرجز والمديد والبسيط والخفيف والمتقارب، في حين خلت من البحور الشديدة الازدواج والوعورة في أوزانها، كالمنسرح والسريع والمضارع والمقتضب.
- لم توجد فيها قصائد مطولة، فأكثر عدد جاء في ستة أبيات، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنها رسائل تأتي لغرض محدد فهي موجزة على مقدار الرسالة التي تحملها.
- نُسبَ بعض هذه الأشعار – بجانب نسبته لغير الإنس – إلى أحد الشعراء، وهو مثبت في شعر، وهذا يعود لاختلاف الروايات وعدم القطع ببعضها دون بعض.
- اتسم هذا الشعر برصانة أسلوبة وجزالة ألفاظه وسلامة أوزانه.
- إن هذا الشعر المنسوب لغير الإنس متناثر في مصادر متنوعة جداً، من بينها كتب الأدب والتاريخ والتراجم وغيرها.

المصادر والمراجع:

١. البرقوقي: عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد، الذخائر والعبقريات، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

٢. ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ.

٣. حسان بن ثابت، ديوانه، شرح: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ه/ ١٩٨٤م.

٤. الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (المتوفى: ٤٦٣ه) تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه - ٢٠٠٢ م.

٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا ط، ١٩٠٠م.

٦. دعبل بن علي الخزاعي، ديوانه، صنعه: عبد الكريم الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢.

٧. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨ه) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٨. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠ه) جمهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، ب ت.

٩. شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ب. ط، ١٤٢٣هـ.

١٠. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث،الطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ.

١١. ابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢. أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان:رسالة الغفران، مطبعة أمين هندية بالموسكي، مصر، صححها ووقف على طبعها: إبراهيم اليازجي، الطبعة: الأولى، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

١٣. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢ه) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٤. ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (المتوفى: ٢٧٦ه)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
١٥. ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
١٦. محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
١٧. محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن الهمذاني المعروف بالمقدسي (المتوفى: ٥٢١ه) تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.
١٨. محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨ه)، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ ه
١٩. المفضل بن سلمة بن عاصم: الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٨٣٠هـ.
٢٠. الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
٢١. النهرواني: أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى (المتوفى: ٣٩٠ه) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

من أدوات تكثيف الدَّلالة البكائيَّة
في عينيَّة أبي ذؤيب الهذليِّ
دراسة وصفية تحليلية

د. هالة أبايزيد بسطان محمد
أستاذ النقد المشارك بكلية الآداب جامعة أم درمان الأهلية
halabustan@99gmail.com

Devices of Intensifying the Weeping Connotation in the Eyes of *Abi-Dhu'eib Al-Hathali* - Descriptive analytical Study

Dr. Hala Aba-Yazeed Bustan Mohammed - Associate Professor, Criticism, Faculty of Arts, Omdurman Islamic University

مستخلص

(من أدوات تكثيف الدَّلالة البكائيَّة في عينيَّة أبي ذؤيب الهذليِّ)، هي دراسة وصفية تحليلية أخضعنا فيها الأربعة عشر بيتاً الأولى من العينية للدرس النقدي التحليلي باعتبارها الأبيات الرثائية الأم في القصيدة، وفيها كل ما أراده الشاعر من معان. وتهدف الدراسة لإعادة الوقوف الجمالي التذوقي

Abstract

The devices of condensing the weeping connotation in the eyes of *Abi- Dhu'eib Al-Hathali*, is a descriptive analytical study in which the first fourteen verses of Al-Ay-nia were subjected to critical and analytical study, as they are the main lamenting verses in the poem, and contain all the meanings the poet wished to convey. The study aims to reconsider

على نماذج من الشعر العربي القديم. تناولنا هذا الدرس من خلال ثلاثة محاور، أولها: عن أبي ذؤيب الهذلي، وثانيها: توظيف آليات اللفظ، وثالثها: توظيف المحتوى التراكيبي، متخذين المنهج التحليلي الوصفي منهجا وأداة للتنقيب عما نبحث عنه من محاسن فنية. وتوصلنا إلى نتائج أبرزها، أن أبا ذؤيب قد جند جميل إمكانات هذه الأدوات اللغوية والتصويرية بمستوى تعبيري دقيق، أدى مبتغاه من الدلالات البكائية الكثيفة. ومازالت الأبيات تحتاج لدقيق النظر لاستخراج كوامنها الدلالية والجمالية التعبيرية.

esthetic appreciative aspects in the samples of ancient Arabic poetry. This study was investigated from three perspectives: first, about Abi-Dhu'eib Al-Hathali, second, an employment of diction devices, third, utilization of structural content by using descriptive and analytical method as a tool for exploring the artistic advantages being searched. The following significant findings have been revealed: Aba-Dhu'eib has inducted the best potentials of these linguistic and pictorial devices in precise expressive level that achieved their objective of condense weeping connotations. These verses are still need careful investigation to extract their connotation, artistic and expressive underlying.

مقدمة

تناولنا في هذه الدراسة أحد نماذج الشعر العربي القديم الجاهلي/الإسلامي، الذي يكاد يكون مثالا في بابه، وإن خلت ملامح الإسلام من قسمات النص الذي ظل متمسكا بروحه القديم. تهدف هذه الدراسة لإعادة الوقوف الجمالي التذوقي على نماذج من الشعر العربي القديم، وقد وقع الاختيار على عينية أبي ذؤيب الهذلي لما لها من قيمة فنية عالية بين شعر الرثاء في الأدب الجاهلي وما بعد الجاهلي. ولقد سعينا لرصد الأوضاع اللغوية والتصويرية والفنية التي كانت موضوعا للدراسة في الأبيات الأربعة عشر الأولى من القصيدة باعتبارها زبدة معاني الرثاء فيها، التي نرى أنها

ذات تكثيف بكائي بائن الدلالة. طرحنا ذلك خلال ثلاثة محاور هي: عن أبي ذؤيب الهذلي- توظيف آليات اللفظ- توظيف المحتوى التراكيبي، متخذين المنهج التحليلي الوصفي منهجا وأداة للتنقيب عما نبحث عنه من محاسن فنية. وذيلنا الدراسة بخاتمة وقائمة لما استفدنا منه من مراجع قديمة وحديثة. وعلى الرغم من تكاثر الدراسات الناقدة، قديمها وحديثها، إلا أنه تظل التوصية حاضرة دوما باستمرار إعادة قراءة الشعر العربي القديم، وإعمال النظر نقدا وتذوقا وتحليلا؛ لما في ذلك من فوائد جمة، فنية ومنهجية، للأدب والنقد ودارسيهما.

المحور الأول: عن أبي ذؤيب الهذليِّ وعينيَّته

أورد الأصفهاني في أغانيه أنه: «هو خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن ألياس بن المضر بن نزار. وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فحسن إسلامه. ومات في غزاة إفريقية»[1]. ولقد ورد تحقيقاً وتدقيقاً لما ظهر من خلاف في المصادر العربية القديمة حول نسب أبي ذؤيب في ديوان أبي ذؤيب الهذلي تحقيق وتخريج أحمد خليل الشال تحت عنوان: (اسمه ونسبه)[2] نجد أن من المهم مراجعته لمن أراد التفصيل والاستزادة. من صفاته الخلقية أنه كان، أسْجَر العينين، جاحظهما، قصيراً أحمر، والسُّجرة: حُمرة في بياض. هلك له بنون خمسة في عام واحد، أصابهم الطاعون، وكانوا هاجروا إلى مصر. وهلك أبو ذؤيب في زمن عثمان بن عفان رحمه الله في طريق مصر مع ابن الزبير، ودفنه ابن الزبير[3]. «نشأ أبو ذؤيب في قبيلة هذيل، وهي قبيلة من أفصح قبائل الحجاز، فقد نقل السيوطي عن الأصمعي قال:» قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح

(١) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني-كتاب الأغاني- تحقيق إحسان عباس وآخرون- المجلد السادس - خبر أبي ذؤيب- دار صادر بيروت ٢٠٠٨م ط٣ - راجع الخبر كاملا ص١٨٧-١٩٦.

(٢) أبو ذؤيب الهذلي-ديوان شعر-تحقيق أحمد خليل الشال- مركز أحمد خليل الشال الدراسات والبحوث الإسلامية بورسعيد ط١/٢٠١٤م ص١٨-٢٢.

(٣) أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري-شرح أشعار الهذليين-تحقيق عبد الستار أحمد فراج-مراجعة محمود محمد شاكر-مكتبة دار العروبة-بدون طبعة، بدون تاريخ ج١ ص٤.

الشعراء ألسنا، وأعربهم: أهل السروات، وهن ثلاثة-وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن- فأولها هذيل وهي تلي الرمل من تهامة. ثم عِلْيَة السراة الوسطى، ثم شركتهم ثقيف في ناحية منها. ثم سراة الأزد، أزد شَنُوءة»[1]. «يعد أبو ذؤيب عند النقاد من الشعراء الفحول، وشعره عندهم في المرتبة العالية، فقد أثنوا جميعا على شعره... قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان من أشعر الناس؟ قال: حيا أم رجلا؟ قال: حيا. قال: هذيل. قال ابن سلام: وأشعر هذيل غير مدافع: أبو ذؤيب...وقال خلف الأحمر: بنو هذيل من أشعر قبائل العرب، وأشعرهم أبو ذؤيب وأمير شعره وغرة كلامه قصيدته التي أولها: «أمن المنون وريبه تتوجع»[2]. وقد كثر مادحوه من أهل اللغة والشعر والنقد العربي القديم. لقد اتبع أبو ذؤيب منهج الجاهليين أو لنا أن نقول بأنه من بناة المنهج الجاهلي الرصين القوي الذي يقف شاهدا –وإلى يومنا هذا- على فخامة الشعر العربي، ورقي أساليبه اللغوية والفنية البلاغية.

من المنهج الجاهلي الذي اتسم به شعر أبي ذؤيب: تصريع القصائد، والمقدمات الغزلية والطللية، وقوة اللفظ وجزالته مع غرابة تناسب هذيل خصوصا وتناسب الزمان الجاهلي ولغاته وبيئاته عموما، إلى جانب أن هذيلا من أفصح العرب «فالمنطقة التي عاشت فيها هذيل كانت مشهورة بفصاحة أهلها واستقامة لغتهم. ومما يؤيد ذلك قول عثمان ابن عفان رضي الله عنه حين أراد تدوين القرآن الكريم: (اجعلوا المُملِي من هذيل والكاتب من ثقيف) فهو اختار اثنين من منطقة السراة لما اشتهر به أهلها من فصاحة وسلامة لسان ومقدرة على الكتاب»[3].

والمطلع على كتاب شرح أشعار الهذليين للسكرى، يجد بعضَ اختلافٍ في السمات الشكلية لشعر أبي ذؤيب عن شعر قومه؛ أبرزها القصائد الطِوال عند أبي ذؤيب. فالسمة الفنية البارزة التي تظهر في شعر الهذليين هي عدم الميل إلى التطويل، والإكثار من الأراجيز والمقطَّعات إلا قليلا. ومن طرف آخر نجده قد ماثلهم في سمة الوحدة

(١) الشال ص١٠.

(٢) الشال ص٢٧-٢٨.

(٣) نورة الشملان- أبو ذؤيب حياته من شعره-عمادة المكتبات جامعة الرياض/السعودية-ط١/١٩٨٠م-ص٣٠.

الموضوعية، على الرغم من طول قصائده، فهي وإن بدت متشعبة الموضوعات أحيانا إلا أنها متحدة الشعور تربطها وحدة نفسية تجمع ما يظهر من تعدد موضوعي على سطوح النص.

وكما الشعر الجاهلي وشعر هذيل، نجد قصائده تعج بالتصوير شديد الدقة، عميق الدلالة، مادته البيئة المعيشة وحياة الناس بكل ما لها وما عليها، وكل ما بين السماء والأرض من إنسان وحيوان وطير وجبل وماء، فهو مصور بارع يجتلب مادته من البيئة حوله كما الشاعر الجاهلي والعربي. وقد كثرت الحكمة في شعره إذ دعته إليها كثرة نظمه عن النكبات والاقتتال والموت، فتجدها ملبدة بظلال سود. ومما أجمع عليه الأقدمون أن أبرع بيت قالته العرب هو قوله:

والنَّفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتها وإذا تُـردُّ إلى قليـلٍ تقنـعُ

وأن أشعر نصف بيت وأقواه حكمة قوله: (والدهر ليس بمعتب من يجزع) ذلك أنه شديد الإيجاز في معناه، وهم يرون في الإيجاز إعجازاً. وهو كذلك.

وإذا تصفحت أشعار هذيل في جملتها وعلى اختلاف موضوعاتها، لا تحس بأنك بارحت الجاهلية إلى الإسلام؛ ذلك أن شعراء هذيل احتفظوا لأشعارهم بكل مالها من روح جاهلية. ومعلوم أن بعض الشعراء لان شعرهم وقَرُب مطلبه في أول عهده بالإسلام تحرزا من طرق أبواب لا يقبلها الله ورسوله، كما كان مع حسان بن ثابت ومع لبيد بن ربيعة الذي اقتصر موضوعه الشعري على نشد مكارم الأخلاق التي أيَّدها الإسلام.

وقد لاحظ كثير من دارسي شعر أبي ذؤيب أن مرثيته في بَنِيه تبدو فيها هذه البصمات الجاهلية بعيدا عن الملامح الإسلامية لاسيما في حال الموت الفاجع؛ فنلحظ فيها الجزع وعميق الحزن ونفاد الجلد، وكأنك تسمع صوت عويله ونواحه على بنيه. وقد ترك نفسه على سجيتها لتنال من الحزن ما تناله دون أن يقيدها بقيد الواجب وغير الواجب، أو المندوب، أو المكروه، أو الحلال والحرام، تركها على جاهليتها تنشر حزنها كيفما كان دون الاستسلام لقضاء الله وقدره واحتساب ألم الفقد بالرجوع

إلى الله امتثالا لقوله تعالى:)الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) البقرة ١٥٦، وغيرها من المعاني القرآنية الآمرة بالتسليم للقضاء والقدر. وينتشر في كتب اللغة والأدب أن هذيلا من القبائل العربية التي لم تتأثر لغتها بأي لحن أو خلط لبعدها وقسوتها وشظف العيش بها ونفور أهل الحواضر عن طبيعتها الجافة المجدبة. ويخال إلينا أن هذا أحد مبررات عدم تأثر شعر هذيل بالروح الإسلامي واحتفاظه بالنمط الجاهلي شكلا ومضمونا. وقد كان أبو ذؤيب يقف في كل شيء مع قومه ويصنع صنيعهم ولا يخرج عنهم، وقد جمع في شعره الصفات التي اتسم بها شعر الهذليين، ويقف بذلك موقف المثل والنموذج لشعرهم. هذا.. ولقد تناسبت القصيدة مع قالب بحر الكامل وصفاته التي قال عنها عبد الله الطيب: «هو أكثر بحور الشعر جلجلة وفيه لون خاص من الموسيقا يجعله-إن أريد به الجد فخما جليلا مع عنصر ترنُّمي ظاهر، ويجعله إن أريد به إلى الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة، حلوا مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقا أو خفيفا شهوانيا. وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أأريد به جدٌّ أم هزْل. ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله بحال من الأحوال»[1]. وهذا مذهب في النظر لمناسبة الوزن للمعنى، كان قد وقف عليه من القدماء حازم القرطاجني في مثل قوله: «ومن تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان. ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض. فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط. ويتلوهما الوافر والكامل. ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره. ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف. فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف، وقلما وقع كلام فيهما قوي إلا للعرب وكلامهم مع ذلك في غيرهما أقوى... فأما المنسرح ففي اطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل، وإن كان الكلام فيه جزلا. فأما السريع والرجز ففيهما كزازة. فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكررة الأجزاء. وإنما تستحلى

(١) عبد الله الطيب-المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ج١-مطبعة حكومة الكويت ط ٣/ ١٩٨٩م-ص ٣٠٢-٣٠٣١.

الأعاريض بوقوع التركيب المتلائم فيها. فأما الهزج ففيه، مع سذاجته، حدة زائدة. فأما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما. فأما المضارع ففيه كل قبيحة. ولا ينبغي أن يعد من أوزان العرب، وإنما وضع قياسا، وهو قياس فاسد لأنه من الوضع المتنافر على ما تقدم. فالعروض الطويل تجد فيه أبدا بهاء وقوة. وتجد للبسيط سباطة وطلاوة. وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة، وللمتقارب سباطة وسهولة. ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من الأغراض...»[1] فالجزالة وحسن الاطراد في الكامل هيأت لأبي ذؤيب الاسترسال في سرد حكايات الألم عنده وعند من عاش ما عاشه من الألم، في النماذج التي تحدث عنها بعد الأربعة عشر بيتا الباكية. لذلك كان الكامل أكثر ملاءمة لهذه القصيدة من المديد والرمل؛ فأبو ذؤيب لم يطلب اللين البكائي في نظمه لحرقة فقده بنيه، بل طلب الجزالة والقوة مع حسن الاطراد الذي هيأ له الاسترسال في سرد الحكايات النظيرة. وقول القرطاجني هذا قول ملؤه علم بفنون النغم والقول. وسنفرد له دراسة مستقله في بابه بحول الله.

الأربعة عشر بيتا الأولى، الباكية الجَزِعة من عينية أبي ذؤيب

أَمِـن المنـونِ وريبِهـا تتوجَّـعُ ... والدَّهـرُ ليس بمعتـبٍ مـن يَجزعُ

قالـتْ أميمةُ ما لجسـمِكَ شاحباً ... منـذ ابتُذِلـتَ ومثـلُ مالـكَ ينفعُ

أَم مـا لجنبِـكَ لا يلائـمُ مضجعـاً ... إلا أقـضَّ عليـك ذاك المضجـعُ

فأجبتُهـا أن مـا لجسـمي أنَّـه ... أودَى بَـنيَّ مـن البـلاد ووَدَّعـوا

أَودى بـنيَّ وأعقَبـوني حـسرةً ... بعـد الرُّقـادِ وعـبرةً لا تُقلـعُ

ولقـد أَرى أنَّ البـكاءَ سـفاهةٌ ... ولسـوف يُولـعُ بالبُـكا مـن يُفجَعُ

سَـبقوا هَـوَيَّ وأَعنَقـوا لهواهُـمُ ... فتَخرَّمـوا ولـكلِّ جنـبٍ مـصْرَعُ

فعـبَرتُ بعدهُـمُ بعيـشٍ ناصـبٍ ... وإخـالُ أَنيِّ لاحـقٌ مُسـتَتْبِعُ

ولقـد حَرَصـتُ بـأَن أُدافِـع عنهُمُ ... فـإذا المنيَّـةُ أَقبلـتْ لا تُدْفـعُ

(١) القرطاجني (أبو الحسن حازم) - منهاج البلغاء وسراج الأدباء تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة-الدار العربية للكتاب تونس-ط٣ ٢٠٠٨م-ص ٢٤١.

وإذا المنيَّـةُ أنْشَـبتْ أَظفارَهـا ... أَلفيْـتَ كلَّ تميمـةٍ لا تَنفـعُ
فالعـينُ بعدهـمُ كأنَّ حِداقَهـا ... سُـمِلَت بشـوكٍ فـهي عُـورٌ تَدمَـعُ
حـتَّى كأنِّي للحـوادثِ مـروةً ... بصَفـا المُـشرِّقِ كلَّ يـومٍ تُقـرعُ
وتجـلُّدي للشَّـامتينَ أُرِيهُـمُ ... أنِّي لريـبِ الدهـرِ لا أتضَعْضَـعُ
والنَّفـسُ راغبـةٌ إذا رغَّبتَهـا ... وإذا تُـردُّ إلى قليـلٍ تَقنَـعُ[1]

قال عبد الله الطيب مميزا لهذه الأبيات عن بقية القصيدة: «وأبيات الرثاء هذه في جملتها قوية جدا. والعاطفة التي فيها من نوع واضح شديد لا يحتاج إلى تفسير. ويصل إلى القلب بلا واسطة. وهي في بابها أقوى من كلام الشريف وكلام البحتري، والصدق فيها أظهر، كما أنها أدخل في طبعة بحر الكامل لجمعها بين طرفي الغناء، والعنف في الإفصاح بما يختلج في الصدر من لذْع الألم وحُرقة الحزن. ولو قد اكتفى بها أبو ذؤيب لكان قد أصاب حق الإصابة لأنه أبلغ بها السامع كل ما أراد أن يقوله، ولكنه لم يكتف وطلب أن يتأمل ويتعمق على منهج شعراء هذيل في الرثاء من ذكر هلاك الأوابد والنسور والوعول وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة. وهاته سبيل تزِل بالسالك في بحر الكامل»[2].

المحور الثاني: توظيف آليات اللفظ

لابد أن اللفظ واحد من أهم أدوات تكثيف الدلالة البكائية في عينية أبي ذؤيب كلها، وفي الأربعة عشر بيتا الأولى على وجه الخصوص. وللألفاظ آليات داخلية تعمل على بسط الدلالة مقصد الشاعر، منها: آلية صوت الحرف، آلية المعنى المعجمي، آلية المعنى الجمالي (الإشارات والإيحاءات). والبحث في ساحات ألفاظ النص سيكون من خلال آلياتها التي برزت في ثنايا ألفاظ بعينها؛ هي الألفاظ الدالة على البكائية القاتمة. وتتنوع أجناس الألفاظ الباكية في العينية ما بين: الاسم، والفعل، والصفة. وتتشكل معانيها لتتآلف لخدمة معاني الدلالة القصد، التي كان أبرزها وأعمقها:

(١) السكري ص٥-١١.

(٢) عبد الله الطيب-المرشد ج ١ -ص٣٤٧.

الجزع واللوعة، افتراس الألم، والاستسلام للفجيعة. يجري ذلك على كل الألفاظ في الأبيات سواء منها ما جاء على لسانه، أم ما جاء على لسان المحاور (أميمة)، أم من شَمَلَهم أبو ذؤيب بقوله:(والدهر لا يُبقِي على حدثانه)؛ الحمار الوحشي (جون السراة)، والأتان (الجدائد)، البقر الوحشي (شَبَبْ)، الفارس المدجج (مستشعرٌ حَلَقَ الحديد)، أم غير ذلك من دلائل حرقة الألم التي شيَّدها في النص:

والدَّهـرُ لا يُبْـقِي على حَدثانِـهِ جُـون الـسَّراةِ له جَدائِـدُ أربـعُ

***

والدَّهـرُ لا يُبـقي على حدثانِـهِ شـبَبٌ أفزَّتـه الـكلابُ مُـروَّعُ

***

والدَّهـرُ لا يُبـقي على حدثانِـهِ مُستَشـعِرٌ حَلَـقَ الحَديـدِ مُقنَّعُ

فيتبع كل بيت من هذه الأبيات الثلاثة بحكاية فَجيعٍ قهره الموت ومزق أحشاءه، في تشبيه تصويري ملحمي يقارب فيه بين فجيعته وهذه الحكايات، عله يُوصِلُ إلينا مقدار ما لحق به إثر فقده بنيه.

لقد كان لحرقة الحزن وخِواء الروح بعد الفقد الكبير الذي أصاب أبا ذؤيب، دور كبير في انتقاء الشاعر لألفاظ القصيدة التي تُشبِع دَوِيَّ صوت الجرح الغائر، وتُظهر طنين ذبذبات الأنين؛ تلك الألفاظ التي انتقاها وجدانه وصاغتها انفجارات أحشائه المهترئة فَجَعَا. وسنورد أدناه الألفاظ الباكية في الأبيات الأربعة عشر الأولى من القصيدة مرقمة بأرقام الأبيات في القصيدة- من دون إيراد التكرار ومن دون إلحاق أدوات النفي أو الاستثناء، وحروف الجر والعطف، وقالب الإضافة، وهي:

١/ المنون، ريبها، تتوجَّع، يجزع.
٢/ شاحِبا، ابْتُذِلْتَ.
٣/ مَضْجَعا، أَقَضَّ.
٤/ أَوْدَى، بَنِيَّ، وَدَّعُوا.
٥/ أَعْقَبُوني، حَسْرَة، عبْرَة، تُقْلِعُ.

٦/ يُولَع، يُفجَعُ.
٧/ هَوَيَّ، أَعْنَقوا، تَخَرَّموا، مَصْرعُ.
٨/ غَبَرتُ، ناصِب، لاحِق، مُسْتَتَبَعُ.
٩/ المنيَّة، تُدفَعُ.
١٠/ أَنْشَبَت، أَظْفَارها، تمِيْمَة، تَنفَعُ.
١١/ حِداقَها، سُمِلتْ، شَوْك، عُوْر، تَدْمَعُ.
١٢/ الحَوادِث، مَرْوَة، تُقْرَعُ.
١٣/ تَجَلُّدِي، شَامِتِين، رَيْب، الدَّهْر، أَتَضَعْضَعُ.
١٤/ راغِبَة، قَلِيل، تَقنَعُ.

أول ما نلاحظه من علامات التكثيف البكائي في المفردات أعلاه، هو بروز الآلية الصوتية في توافر حروف الجهر بالقصيدة عموما وفي الأبيات الأربعة عشر خصوصا؛ مما حشد لها قدرا كبيرا من دلالات العويل، والنحيب، وصوت نزيف الكَبِد وما يحدثه من زلزلة وجدانية حارقة، ما أتاح مساحة صوتية مفتوحة تتضح من خلالها حكاية الجَزَع الجزِع، ويتسع لها المدى البكائي في النص. ولم تخلُ أيٌّ من هذه المفردات أعلاه من حرفين من حروف الجهر. والجهر قوة الاعتماد على الحرف لدرجة امتناع النفس عن الجريان حتى ينتهي النطق به[1]، وحروف الجهر تسعة عشر حرفا، هي: (الهمزة، الباء، الجيم، الدال، الذال، الراء، الزاي، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، القاف، اللام، الميم، النون، الواو، الألف، الياء). قال أيمن رشدي سويد: «تكون صفات الحروف أوضح ما تكون في حالة سكون الحرف أو التشديد، أما في حالة الحركة تضعف الصفة قليلا ولكن لا تنعدم فتبقى الصفة موجودة في الحرف ولكن أقل من الحرف الساكن»[2] والتشديد كذلك مما توافر في الألفاظ الباكية كما هو بائن في رسمها، أي أن عنصر التكثيف الصوتي لحروف هذه المفردات أعلاه كان عالي

(١) أبو الإصبع السُّماتي الإشبيلي-مخارج الحروف وصفاتها-تحقيق محمد يعقوب تركستاني-ط١/١٩٨٤م-ص٨٥.
(٢) أيمن رشدي سويد-الدرر المنيرات في مخارج الحروف وصفاتها-نسخة إلكترونية- بدون طبعة، بدون تاريخ-ص٨.

الحدوث.. كل المفردات على حد السواء، دون استثناء.

ومن جماليات التكثيف البكائي التي تقف عندها الذائقة، التناسب الدلالي الصوتي الذي صنعه الشاعر في اختيار: «العين» الحرف القوي الجهور في روي القصيدة مع تقفية شَطريْ البيت الأول، وإردافها بالحالة الإعرابية: «الرفع بالضم»:

أَمِـنَ المَنُـونِ ورَيبِهـا تَتوجَّـعُ والدَّهـرُ لَيـس بمُعْتِـبٍ مَن يَجـزَعُ[1]

فخروج صوت العين مع صوت الضم تكاد ترى أثناءه خروج أمعاء الشاعر من عميق جوفه، وهذه حال يتجسد فيها الصوت في مشهد تشخيصي لا نخطئ إن قلنا أنه بائن الملامح، ولا نبالغ؛ ذلك أن «الإبانة التي هي وظيفة حركات الإعراب لا تقتصر على الكشف عن المعنى اللغوي فقط، كما فهم النحاة، بل هي شيء يتجاوز الإبانة بمعناها اللغوي الوظيفي إلى الإبانة بمعناها الجمالي الشكلي؛ أي أن للإعراب إلى جانب دوره في ضبط اللغة، وظيفة أخرى هي الوظيفة الجمالية... وإذا كانت الحركة ليست علما للإعراب، وليست دلالة الإعراب، وإذا كانت تُحذف في أكثر من مناسبة، فإن ذلك لَيحدثُ عن سليقة للعربية، وطلبا للخفة والرشاقة اللفظية، واستجابة لغاياتٍ جمالية موسيقية تستدعيها طبيعة السياق. وقد تستجيب حركة الإعراب لحاجات نفسية أو عاطفية تنتاب الشاعر، فتوظَّف حركة الإعراب كمعادل معنوي يعيد التوازن لنفس الشاعر»[2]، يحشد الشاعر كل ملكاته الفطرية ووجدانياته المهيمنة على صياغته لنظم القصيدة، لخلق عالم من الخيالات التي يُسْتَدَلُ بها على كيانه العاطفي الذي حفَّزَه للنظم. ذلك الكيان الذي يعمل على توليف الاختيارات الجمالية أو اللغوية وتركيبها بما يواءم حالته النفسية. فالشاعر «يهدف فيما يهدف إليه إلى شحن الألفاظ بأكبر قدر من المعاني، ولا يكتفي بما تدل عليه الألفاظ والتعابير من معنى حقيقي واضح الحدود في أذهان الناس، بل يَستغلُ إلى أبعد حدود الاستغلال ظلالَ المعاني وما توحي

(١) السكري ص٤.

(٢) نائل محمد إسماعيل يناير٢٠١٢م، حركات الإعراب بين الوظيفة والجمال، دراسة وصفية تحليلية-مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية-المجلد العشرين-العدد الأول-ص٢٧٩-٣١٢.

به العبارات من ذكريات وتجارب ذات أثر قوي في النفوس، وما استقر بها من عاطفة»[1] وقد كان للإدغام في لفظتي: (تتوجَّعُ والدَّهر) عمل ظاهر في تكثيف إيحاءات الألم مع بيان ضعف الحيلة بل وفقدانها تجاه ما كان وما وقع.

كل لفظة في هذا البيت المَطْلَع: (أمِن المنون...) كان لها دور عظيم في رسم صورة كاملة غير منقوصة للجَزَع والفَجْع الذي كابده الشاعر والسواد الذي غمره؛ سواء في ذلك الاسم والفعل والحرف. فهو بيت باكٍ يحكي حياة عامرة بصولاتها وجولاتها وبكل حالها، تخطفها الموت ومحاها محوا قاسيا تكالبت فيه الآلام وتهافتت لتستقر في عمق كيان الشاعر الوالد هذا المعنى فاعل كل الفاعلية، وأن كلمة غير هذه الكلمة تكاد لا تصلح لبيان الدلالة المنشودة: «المنون جماعة لا واحد لها. وقال الأصمعي: المنون واحد لا جماعة له... والمنون تُذكَّر وتُؤنَّث... وسُمِّيت المنون لأنها تَمُنُّ كلَّ شيء، أي تنقصه... والمنون الدهر، لأنه مُضْعِفٌ مُبْلٍ، مثل الحبل المَنِيْن الذي قد بَلِيَ...»[2] هذا يحدو بنا إلى القول بأن دلالة المعنى المعجمي لمفردات القصيدة كلها والأبيات الأربعة عشر الأولى على وجه الخصوص، هي جزء أصيل في أداء التكثيف البكائي الذي طغى وطفح وأزْبدَ على سطوح الأبيات. كلها. فالتكثيف الدلالي في مثل عينية أبي ذؤيب لابد أن يكون بألفاظ ظاهرة، وبتراكيب ذات معانٍ مباشرة بعيدا عن التبطين والتأويل، فكل الإيحاءات والخيالات التي تلازم المعاني الأجدر أن تأتي مناولة اليد؛ لأنها من فعل طوفان الألم، والطوفان لا يعرف الترتيب والتنسيق والتدرُّج. علَّنا نستطيع إخضاع كل الأبيات لعميق التحليل اللفظي، ولكن لا متسع في هذا المقام البحثي محدودَ الأُطُر. نموذج آخر قوله:

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعْنَقوا لِهَواهُمُ وتَخَرَّمُوا ولِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[3]

بيت له من مختارات الألفاظ البكائية الكثير مما تم تحديده أعلاه، ألفاظ دعمتها حركاتها الإعرابية وتشكيلها التصريفي، فكان للفتح، والضم، والتشديد، والتنوين،

(١) إبراهيم أنيس-من أسرار العربية-مكتبة الأنجلو المصرية-ط٣/١٩٦٦م-ص٣٢٠.
(٢) السكري ص٤.
(٣) نفسه ص٧.

عمل كبير في تكثيف الدلالات وتركيزها. قال شارحو القصيدة أن (هَوَيَّ) من لغة هذيل، والمقصود (هَوَايَ)، وبالنظر الجمالي نجد أن لغة تميم كانت أكثر مناسبة من غيرها في استخدام هذه المفردة؛ إذ عبرت بحركاتها المغايرة عميق التعبير عن انكسار قلب الشاعر؛ فتجد فيها الكم الوافر من حزين التحنان، ومتقد العاطفة، ما لم تجده في مفردة (هَوَايَ): فكان الفارق الذي وَلَّدَ هذه الدلالات وشحناتها ذات الأنين، هو إدخال الإدغام على الياء آخر الكلمة. وهذا مما تضفيه الحركات والضبط بالشَّكل من صور ولفتات جمالية بالإضافة لما تحمله الكلمة من معانٍ معجمية ودلالات إيحائية.

ومن ألفاظ القصيدة التي حكت اللوعة والألم المفرط، كلمة: (تَخَرَّمُوا) التي حمل معناها المعجمي ما يكفي من اللوعة والحرقة. قال الأصمعي: «أن المعنى أُخِذوا واحدا واحدا. ويا له من معنى، ويا لها من حسرة تورث استسلاما مريرا لنكبات الدهر؛ إذ لكل جنب مصرع، فلا حيلة ولا مهرب من مخالب الدهر ورزاياه»:

وإِذَا المَنِيَّـةُ أَنْشَـبَتْ أَظْفَارَهـا أَلْفَيْـتَ كُلَّ تَمِيْمَـةٍ لا تَنْفَـعُ(١)

حتى في معاني الاستسلام والخضوع تجد الألفاظ الغارقة في الفجيعة والمتراصة تراص القبور بمشهدها المهول المُفزع: (وإذا المنية أنشبت أظفارها)، لكل حرف ولكل لفظ دوره في نبش كيان الشاعر، ذلك الكيان الذي تكاد تراه مهترئا مما حل به. ولقد جند أبو ذؤيب الألفاظ بكل أجناسها داخل هذه الأربعة عشر بيتا الباكية لرسم لوحة ملؤها الموت؛ فتجد الاسم والفعل والصفة والحرف، بكل حركاتها الإعرابية وتشكيلها الداخلي. جميعها تعاضدت لتُعِيْنه على إخراج ذلك اللهب الحارق من جوف جوفه. فحُقَّ لها سِمَة: (ذوات الدلالة الدالة)، ذلك بالاقتران الناجح للألفاظ مع آلياتها وتحقيقها قيمة فنية عالية، من خِلال جَلال جَرْسها، وتأديتها مقاصد الكلام ومنشود الدلائل. فتضافرت آليات الصوت، والمعنى المعجمي، والمعنى الجمالي، تضافرا مكَّنَها من إصابة غاياتها المعنوية والإيحائية التكثيفية.

هذا.. ولقد شكلت حروف العطف في مداخل ثمانية أبيات من الأربعة عشر بيتا،

(١) السكري ص٨.

بُعداً دلاليا كثيفا، وضع الشاعر في مقام اللاهث ألما وجزعا، كأنما أراد الهروب من ذلك الواقع القابع داخله، ولكن هيهات. جند لذلك حرفي العطف (الفاء الواو): (فأجبتها- ولقد- فغبرت- ولقد- وإذا- فالعين- وتجلدي- والنفس). في هذا ما نراه سموًّا في المهارة اللفظية والأسلوبية، وفي الإجادة التراكيبية التفصيلية.

المحور الثالث: توظيف المحتوى التراكيبي

دراسة مستوى التراكيب هي إحدى مفردات نقد الأسلوب في النصوص الشعرية قديمةً كانت أم حديثة، ويختلط فيها الدرس النحوي بالدرس البلاغي؛ من خلال معطيات علم المعاني وفنياته وجماليات تراكيبه، وتصاوير البيان. وهي واحدة من آليات تكثيف الدلالة البكائية في عينية أبي ذؤيب الهذلي، وسنشير هنا إلى بعض هذا المنحى الأسلوبي في قصيدة أبي ذؤيب، من خلال الوقوف على بعض من آليات هذا التوظيف كما نراها. منها: دلالة النفي والاستفهام والتوكيد- وهي أكثر الأساليب الإنشائية وروداً-، ودلالة الفعل الماضي والفعل المضارع، ودلالة الأسلوب التقريري، وأبرز اللفتات الجمالية في دلالة توكيد الخبر والتصاوير البيانية. ولن يكون ضمن محتوى هذا المحور من الدراسة، الحديث حول المعاني الاصطلاحية والقواعد النحوية واللغوية التي تنظم عمل هذه الأدوات، إلا ما اضطرنا إليه السياق.

أول ما يَستفتح به أبو ذؤيب قصيدته هو أسلوب الاستفهام الإنكاري في ثلاثة أبيات متتالية:

أمــن المنــون وريبهــا تتوجــع ... والدهـر ليـس بمعتـب مـن يجـزع
قالـت أميمـة ما لجسـمك شـاحبا ... منـذ ابتذلـت ومثـل مالـك ينفـع
أم مـا لجنبـك لا يلائـمُ مضجعـاً ... إلا أقـضَّ عليـك ذاكَ المضْجـعُ[1]

يليها بيتان هما إجابة صريحة مباشرة عن هذا الاستفهام، وقلنا سابقا أن المباشرة في طرح المعنى هي الأمثل للسياق:

(١) السكري ص٤-٥.

فأجبتهـا أنْ مـا لجسـمي أنَّـه أَوْدَى بـنيَّ مـن البـلادِ وودَّعوا
أَوْدَى بـنيَّ وأعقبـوني حَـسرةً بعـد الرقـادِ وعـبرةً لا تقلعُ[1]

ثم تتوالى الشروح المفسرة لفحوى الاستفهام إلى نهاية القصيدة. وتَضمَّن ذلك ثلاث آليات سردية هي: الحوار في الاستفهام والإجابة المباشرة:(خمسة الأبيات أعلاه)، ثم الانتقال للشروح المفسرة من خلال حكاية الحال الكائن في روحه وبث الأنين الفاجع، ثم السرد القصصي فيما يلي الأربعة عشر بيتا الأولى، في حكايات الحمار والأتان، والبقر الوحشي، والفارس المدجج: (من البيت الخامس عشر إلى البيت الثالث والستين نهاية القصيدة)؛ وكلها حكايات مفسرة لجواب الاستفهام، أخرجها في إطار واسع من التشبيه التمثيلي مترامي الجزئيات.

والاستطلاع بالاستفهام في القصائد هو واحد من سمات قوة لفت الانتباه ومهارة جذب المستمع؛ إذ أنه ينتظر الإجابة عنه سواء أكانت تصريحا أم تضمينا. وفي مقام تكثيف الدلالة البكائية يكون الاستفهام نفسه حاملا لكم كبير من تلك الدلالة قبل ما يمكن أن تحمله الإجابة عنه؛ لأنه يحوي إثبات معاني الوجع، وإظهار تأثيره على روح الشاعر وعلى جسده وكيانه: (التوجع-الشحوب-الأرق) في أقوى صورها؛ إذ أردف الاستفهام وما حوى من معانٍ، بمعانٍ أخرى تبرز عميق أثرها: (الدهر ليس بمعتب من يَجْزَعُ- منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع- إلا أقض عليك ذاك المضجع). كل عبارة من هذه العبارات حوت مفردة تكثيفية عميقة الدلالة دقيقة الصورة: (يَجْزَعُ- ابتُذِلْتَ- أَقَضَّ).

ومواضع النفي الصريح في الأربعة عشر بيتا الباكية تأتي في قوله: (ليس بِمُعْتِبٍ-لا يلائم مضْجعاً- لا تُقْلِعُ-لا تُدْفَعُ- لا تَنْفَعُ- لا أتضَعْضَعُ)، في البيت الأول، والثالث، والخامس، والتاسع، والعاشر، والثالث عشر. وانحصر في أداتي النفي: (ليس: في موضع واحد، ولا: في بقية المواضع الخمسة). ونجد تراكيب النفي كلها تجسد ملامحَ الفَزعِ التي ترسم صورة الشحوب في مظهر الشاعر وملامحه الجسدية، التي نكاد نرى

(١) نفسه ص٦.

هزالها رأي العين خلال هذه التراكيب النافية. وهذا هو التصوير من غير بيانٍ؛ لا تشبيه، ولا استعارة، ولا كناية. ويقف هذا شاهدا على التصوير التعبيري التراكيبي الجمالي في الشعر العربي القديم، وحجة أمام من حصر التصوير عند قدامى الشعراء في باب البيان، ذلك الحصر الجائر الذي يخفي الكثير الغزير من جمالياته الكامنة داخل تفصيلات تراكيبه؛ لا سيما النحوية والصرفية. وهذه أبواب واسعة للمدارسة والتنقيب، نأمل أن نقف عليها في دراسات لاحقة.

إن دلالات تراكيب النفي في الأربعة عشر بيتا الباكية، أخبرتنا بأن الشاعر مجبر قهرا على التعامل مع فقد بنيه، مع كل ما يكابده من احتراق أقضَّ مضجعه وأورثه غصةً داميةً وجَدَت مستقراً لها في حلقه. نعم.. هي غصة دامية تلك التي لا تُقلِع. وعندما قال:

وتجـلُّدي للشَّـامتين أُريهُـمُ أنِّي لريبِ الدَّهر لا أتضعضعُ(١)

كان في حقيقة الأمر يتضعضع، وكأنما أتى بأسلوب نفي النفي دلاليا. بل نراه بقوله هذا قد أزاح عن الشامتين مسألة أن يشمتوا على حاله ومآله بعدما ألم به من فجع، فلم يُبقِ هذا البيت للشامتين بُدَّاً من تركه وشأنه، بل كأننا نكاد نراهم قد تحولوا إلى مشاركته العويل والبكاء. والله أعلم.

وفي مقام التكثيف باستخدام التوكيد، نجد أن أبا ذؤيب قد أكثر من التوكيد اللفظي بالتكرار في كل القصيدة، سواء أكان تكرار العبارات أم بتكرار المفردات، مما وفَّر للمعاني ترنُّما حزينا ساهم في علو نبرة البكائية والاستسلام لمآل الفَجْع. ومن تكرار العبارات قوله: (أودَى بَنِيَّ) في البيتين الرابع والخامس، وقوله:(وإذا المنية) في البيتين التاسع والعاشر. أما تكرار المفردات فقد يأتي اشتقاقا، أو بجناس غير تام، كقوله:(جسمك- جسمي) في البيت الثاني والبيت الرابع، وقوله: (البكاء- والبكى) في البيت السادس، وقوله: (هَوَيّ- وهَواهُمُ) في البيت السابع، وقوله: (راغبةً- ورَغَّبْتَهَا) في البيت الرابع عشر، وقوله: (يَنْفَعُ- وتَنْفَعُ) في البيت الثاني والبيت العاشر. ذلك

(١) السكري ص١٠.

بجانب تكرار مفردتين هما أُسُّ البكائية التي كَسَت القصيدة: (الدَّهْر- والمَنِيَّة) وكلتاهما استخدمت بمعنى الموت[1] ومن جميل أسلوب التكرار الذي أورث الدلالات غورا عميقا في معنى الألم، تكرار التراكيب التي أتت في شطر كامل من البيت؛ كتكراره الشطر: (والدهر لا يبقي على حدثانه)[2] ثلاث مرات في مطالع سرد الحكايات التي شَبَّه بها حاله، فأصبح وكأن للقصيدة أربعة مطالع؛ المطلع الأول: (أمن المنون وريبها تتوجع)، وهذه المطالع الداخلية الثلاثة.

وعنصر آخر من عناصر توظيف الدلالة التراكيبية في بكائية أبي ذؤيب، هو توظيف فعلي المضارع والماضي وما تحمله هذه التصاريف النحوية من معان لغوية وجمالية أسهمت في تكثيف بكائية النص. أول ذلك معنى الآنية مع الاستمرارية الذي يناسب ويلائم رسوخ الحال الذي تلبس الشاعر بعد فقده بنيه؛ وتفسيره في أحوال المضارع هو وضع دلالة الحال في الفعل. قال رمزي بعلبكي: «وعندنا أن هذه الدلالة هي الأصل في المضارع المرفوع، وذلك لأن الاستقبال يتعين غالبا بالسين وسوف وبالقرينة والطلب والنصب، والمعنى بالقرينة...»[3] ويقول السيوطي عن دلالة المضارع على الحال أنها الدلالة الراجحة: «وذلك إذا كان مجردا لأنه لما كان لكل من الماضي والمستقبل صيغة تخصه ولم يكن للحال صيغة تخصه، جُعلت دلالته للحال راجحة-أي المضارع- عند تجرده من القرائن جبرا لما فاته من الاختصاص بصيغة، وعلله الفارسي بأنه إذا كان لفظ صالحا للأقرب والأبعد، فالأقرب أحق به والحال أقرب من المستقبل»[4]. وألفاظ المضارع الواردة في الأبيات موضوع الدراسة، هي-على التوالي-: (تتوجَّعُ، يَجزَعُ، يَنفعُ، يُلائمُ، تُقلِعُ، أَرَى، يُولَعُ، يُفجَعَ، أُدافِعُ، تُدفَعُ، تَنفَعُ،

(١) راجع شرح البيت الأول، والبيتين التاسع والعاشر في شرح السكري، ص: ٨/٤.

(٢) نفسه ص: ٤٩/٣٦/١٥.

(٣) رمزي منير بعلبكي- نحو الفعل المضارع ومكانته في التراكيب الإسنادية- رسالة مقدمة إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، لنيل درجة أستاذ في الأدب في الجامعة الأمريكية ببيروت-١٩٧٥م- ص٢٩.

(٤) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع- تحقيق أحمد شمس الدين- دار الكتب العلمية بيروت -ط١/١٩٩٨م-ج١- ص٣٢.

تَدْمَعُ، تُقرَعُ، أُرِيْهُمُ، أَتَضَعْضَعُ، تُرَدُّ، تَقْنَعُ) فتجد منها الاثنين والثلاثة في بيت واحد، وقد ورد جمهورها في نهايات الأبيات؛ وهي الأفعال المنتهية بحرف العين روي القصيدة، ودلت على الحال حسب تفسير السيوطي، إلا ما قل منها دلَّ على الاستقبال نحو: (أرى) لقوله: (ولقد أرى)، و(يولع) لقوله: (ولسوف يولع)؛ باقتران «قد، وسوف» الدالة على الاستقبال. «ودلالة المضارع على الزمن واسعة، فهو يتعيَّن للماضي وللحال وللاستقبال بحسب القرينة المصاحبة له، ولهذا نراه عصب الدلالة الزمنية في اللغة العربية، فمن يتقن استعمال المضارع يتحكم في التعبير الزمني الذي يقصد إليه»[1] وغالب الظن أن دلالة الحال هذه، هي الدلالة الزمنية التي طلبها أبو ذؤيب؛ حسبما يقتضيه حال الخطاب في القصيدة، وحسبما خرجت عليه أفعال المضارع أعلاه. انظر قوله:

ولقــد أرى أنَّ البُــكاءَ ســفاهة ولســوف يُولَعُ بالبكا مــن يُفجعُ

أي أن الحياة وحوادثها توقفك وتطلعك على حقيقة الأمور وجلاء المعاني؛ فقد كان ينظر للبكاء على أنه جهل وسفه، ويراه اليوم سلوة وترويحا وتفريجا للْهُمَّ والكرب. ولقد أدخل المعنى في الشطر الثاني في قالب الحكمة مما أضفى عليه جلالا وبهاء مع الاحتفاظ بكونه قد دثرته الآلام. وإخراج المعنى في قالب الحكمة هو من أساليب الشعر الجاهلي التي تمددت على عصور الأدب العربي الزاهرة، نجد منها في الأبيات: الدهر ليس بمعتب من يجزع- سوف يولع بالبكا من يجزع- إذا المنية أقبلت لا تدفع- والبيت:

وإذا المنيــة أنشــبت أظفارهــا ألفيــت كل تميمــة لا تنفــع

ثم:

والنفــس راغبــة إذا رغبتهــا وإذا تــرد إلى قليــل تقنــع

هذا البيت حمل معنى إقناعه لروحه المنصهرة ألما بذاك البلاء الذي ألم به، وروضها على ركوب الحزن عسى أن يهدأ جزعه، فالنفس إن هيأتها تهيَّأت وإن اقنعتها اقتنعت

(١) رمزي بعلبكي ص١.

ورضيت، وإن جاريتها تمادت وأفرطت، سواء أكان في الجزع أم في الفرح. نلاحظ في هذه الدلالات كلها وتراكيبها سلاسة الأسلوب البياني وعدم تكلفه، وإن توالى في الأبيات.

وفي البيت موضوع الحديث: (ولقد أرى أن البكاء سفاهة) نلاحظ قوة أفعال المضارعة: أرى- يولع- يفجع، كانت من الأدوات التكثيفية الدالة على مرارات وإحراقٍ آنِيٍّ أَلَمَّ بكيان الشاعر واستوطن جنبات حياته:

حـتى كَأَنِي للحَـوادثِ مَـرْوَةً بِصَفـا المُـشَرِّق كُلَّ يَـومٍ تُقرعُ

والفعل المضارع في كل الأبيات الأربعة عشر الباكية هيَّأَ للمعاني ترسيخ حال الفجع؛ بجعله كائنا ومستقرا، يعتصر كبد الشاعر، بل قد يصيب المتذوق شيئاً من صداهُ ويَلْحَقَهُ بعضاً من كَدَره، من قوة أداء الفعل لدوره المعنوي داخل الكلام، إلى جانب ماله من دور تحتمه صيغته النحوية. حقيقة الأمر أن الباحث عن بكائية الأبيات وأدوات تكثيفها، يجدها في الكثير من فنيات النظم؛ لفظه ومعناه وموسيقاه، مع مالها من تفصيلات ودقائق فنية وأدائية؛ في قواعدها الصارمة وفي قسماتها الجمالية. فهي من المُمْتِع المُبْكِي. ولعمري أنها من عجيب القرائن المنظومة شعرا. والناظر لشروح البيت (حتي كأني للحوادث مروة...) يجدها تحمل ما تنوء به الأسطر من معاني قسوة الألم: «... قال الأصمعي: يقول: كأنما أنا مروة في السوق تقرعُها أقدامُ الناس ومرورهم بها، للمصائب التي تمرُّ بي فتقرعُني كلَّ يوم... يقول: لا تزال قارِعةٌ من مصيبة تُصيبُني حتى كأنِّي حجرٌ بمجتمع الناس يُقرع كلَّ حين. ويقال: «قُرِعَتْ مروةُ فلان»، إذا أصابته مصيبةٌ تَشُقُّ عليه...»[1].

وجاء الفعل الماضي في الأبيات داعما للفعل المضارع في أداء المهام الدلالية الجمالية داخل السياق؛ إذ شَكَّل أداةَ تَوطِينٍ لمعاني الفقد والخسران. ذلك الفعل الذي عرفه أهل العلم بأنه الدال على حدوث شيء في الزمن الماضي قبل لحظة التكلم، وهو الكلمة الدالة على مجموع أمرين هما: المعنى والزمن الذي مضى وانتهى قبل التلفظ به. عجبا.. إنَّا

(١) السكري ص١٠.

نُحِسّ معاني الألم في مفردات هذا التعريف!!! فالشيء الذي حدث قبل لحظة التكلم هو أن أبناء أبي ذؤيب قد ودعوا وتخرموا، وأن عيناه قد سُمِلت بكاء عليهم. فألفاظ الماضي الدالة على المعنى وزمان حدوثه في الأبيات الأربعة عشر الباكية، كانت قد اختارها الألم وبنتها الفجيعة، ونظمها الشاعر داخل تراكيبه وتصاويره بعناية وحرص شديدين. تلك الألفاظ هي قوله: (ابتُذِلتَ- أَقَضَّ- أَوْدَى- وَدَّعُوا- سَبَقُوا- أَعْنَقُوا- تَخَرَّمُوا- غَبَرْتُ- حَرِصْتُ- أَقْبَلَتْ- أَنْشَبَتْ- سُمِلَتْ) وأقسى ألفاظ الماضي هنا وأكثفها دلالة، تلك التي لازمتها واو الجماعة؛ كونها تثاقَلَتْ وناءَتْ بِحَمْلِ نَبأ أَنْ قَدْ فُجِعَ الرجل في خمسة من بنيه. وفي رواية سبعة، ولا يغير ذلك من فجيعة الواقعة شيئا قط. ونراه قد نجح بقدر عالٍ في توظيف الأزمنة والأمكنة معا في بكائيته العينية، من خلال هذه الأفعال المضارعة والماضية.

ومن أساليب تكثيف الدلالة البكائية في الأبيات المختارة، استخدامه للأسلوب التقريري. وقد تداخلت التقريرية مع الاستفهام الاستنكاري في بعض التراكيب كما في قوله: (أمن المنون وريبها تتوجع)؛ فالاستفهام هنا إلى جانب أنه استنكاري، فهو تقريري يقرر معنى وحقيقة أن الحزن والجزع لا يغير من واقع نزول المصيبة أيًّا كانت. والشطر الثاني من البيت: (والدهر ليس بمعتب من يفجع) أسلوب تقريري أتم به معنى التسليم للنوازل الصواعق، فأصبح مطلع القصيدة كله تقريرياً صِرفاً في أسلوبه ومناسباً تمام المناسبة لموضوع الأبيات وللأسلوب التراكيبي الذي وقع عليه الشاعر لإخراج حَرَّتَهُ وإفراغ طَفْحَ جَوفِهِ الذي امتلأ دماً. والأسلوب التقريري في الكلام تقع عليه مهامة ترسيخ معان يختارها المتكلم، هي مقصده وعمود معناه وخلاصة فكره الذي أنزله نَصَّهُ. والتراكيب التقريرية في الأبيات موضوع الدرس هي: (والدهر ليس بمعتب من يجزع- ومثل مالك ينفع- أودى بنيَّ من البلاد وودعوا- ولسوف يولع بالبكا من يُفجع- لكل جنب مصرع- أني لاحق مستتبع- إذا المنية أقبلت لا تدفع- وإذا المنية أنشبت أظفارها...البيت- أني لريب الدهر لا أتضعضع- والنفس راغبة إذا رغبتها...البيت) فقد قررت هذه التراكيب معاني الألم، وشدة الحزن، والغم، وفقد

السلوى، وانعدام الحِيلة، واليأس، والاستسلام؛ ما يجعلها -فيما نراه- متناسبة مع غرض الشاعر من نظمه القصيدة.

نقول بأن الأساليب الخبرية والإنشائية قد لعبت دورا أدائيا جماليا بارزا في الصيغ التراكيبية في الأبيات المختارة كلها. فما زال الشاعر يؤكد أخباره بكل ألوان توكيد الخبر؛ بالجملة الاسمية الأصل، والجملة الاسمية المزاحة بالتقديم والتأخير، وبالجملة الاسمية الملحقة بأدوات توكيد الخبر لاسيما «إنْ، وأَنِّي، وأنَّه، وقد، والسين، وسوف، ولام الابتداء»، فتلون الخبر ما بين الابتدائي بالجملة الاسمية الخالية من أدوات التوكيد، والطلبي بأداة توكيد واحدة في التركيب، والإنكاري بأكثر من أداة توكيد في التركيب الخبري. ونلاحظ أن تراكيبه لم يحتج فيها إلى استخدام الخبر الإنكاري في أبياته إلا قليلا كالبيت:

ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يفجع

والبيت:

حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تقرع

ذلك أنه لا يحتاج كثيرا لتكثيف التوكيد أو تكرار التوكيد، لأن حاله الظاهر دال على مآله.

هذا.. ولقد كان التصوير البياني من الأدوات الأسلوبية التكثيفية البارزة من خلال الكناية، والتشبيه لاسيما التمثيلي منه، والاستعارة؛ فسطوح الأبيات لا تستطيع حمل تلك المعاني الكثيفة التي أراد الشاعر بثها، فكانت الدلالات التصويرية هي إحدى أدواته الناجحة في فرد شتات معانيه، تلك المعاني التي انفرطت منه حال الفجع إلا أنه نجح في ضمها وحزمها في قالب أسلوبي متعدد الفنون والتشاكيل والأساليب. ففاز بتكثيفٍ دلاليٍّ خدم معانيه تمام الخدمة وكاملها. من ذلك قوله في البيت:

أم ما لجنبكَ لا يلائمُ مضجعاً إلا أقضَّ عليك ذاك المضجعُ

تجد فيه معان تهافتت عليها الكناية في شطريه الأول والثاني، بجانب ما استفتح به

من حزين الاستفهام. أولها أن جنباته فارقت مضجعها، أي أنه قد جافاه النوم وفارقه وبَعُد عن جفونه كل البعد. وثانيها أنْ كأنَّ هذا الفِراش قد مُلِأَ حَصاً فمنعه الرقاد. أي أنه قد أوهنته الرزية فلم يعد يريح نفسه بل يكِدُّها ويجهدها حتى يسلو بها، ففارقه النوم ولازمه السُّهد. ومن أمثلة جميل الصور البيانية، توالي ثلاثة أساليب في ثلاثة أبيات متتالية هي الأبيات: (وإذا المنية...- فالعين بعدهم...- حتى كأني...) في البيت الأول صورة استعارية «أنشبت أظفارها» وفي البيت التالي كناية «سُمِلت بشوك» وفي الذي يليه تشبيه تمثيلي. وتوالي هذه الصور لم يورث الأبيات أي ثقل ولم تبدُ عليها أيّاً من ملامح تكلف الصنعة، فأتت طيعة لينة هينة جارية مع حلاوة الطبع ورونقه. ونلاحظ تكاثر الأساليب الإنشائية والخبرية في الأبيات وطغيانها على البيانية، وهذا من لزوميات السياق ومطالب المعاني. فلكل مقام مقال ولكل حال لبوسها.

الخاتمة

وبعد.. فإن ما استخلصناه من نتائج الدراسة نصغها فيما يلي:

١. أن هذه الأبيات الأربعة عشر الباكية في عينية أبي ذؤيب الهذلي، توافرت لها كل أدوات التكثيف الدلالي أو جلها، ما أخرجها مثالا لنظم معاني الرثاء في القديم والحديث.

٢. لقد اختار أبو ذؤيب الأدوات اللفظية والتركيبية الأسلوبية بما يلائم بل يوافق تمام الموافقة غايته من نظم القصيدة، سواء أكان في ذلك اختيارات المفردات أم الجمل بأنواعها أم في الأدوات أم التصاوير. فكانت له خير مرشد على معانيه وما أراد الإشارة إليه من دلالات.

٣. أن التكثيف الدلالي في مثل عينية أبي ذؤيب الهذلي لابد أن يكون من خلال اللفظ الظاهر وبكل تفصيلاته الصوتية والإعرابية، ومن خلال تراكيب بمعانٍ مباشرة بعيدا عن دفين الدلائل وشائك الإيحاءات، لذلك كثرت تراكيب الأساليب الإنشائية والخبرية وتشكيلاتها دون البيانية.

هذا.. ومازالت القصيدة مترعة بالتفاصيل الدلالية الجمالية التي لم نقف عليها أو لم نلاحظها، وسينبري لها بحول الله وفضله غيرنا من باحثي جلال الأدب العربي القديم وجماله.

هذا.. **ونوصي** باستمرار قراءة الشعر العربي القديم منذ الجاهلية، فمازالت كوامنه خفية على قارئيه، ومازال للذائقة النقدية الكثير لتقف عليه وتصفه وترسم ملامح فنيته وجماليته. هذا باب سيخدم به الدارسون واقع النقد الأدبي العربي الحديث، وسيعين على تقوية ملكة التذوق، وسيضيف الكثير من اللطائف الفنية لواقعنا الأدبي والنقدي.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم أنيس-من أسرار العربية-مكتبة الأنجلو المصرية-ط٣/١٩٦٦م.
٣. أبو الإصبع السُّماتي الإشبيلي-مخارج الحروف وصفاتها-تحقيق محمد يعقوب تركستاني ط١/١٩٨٤م.
٤. أيمن رشدي سويد-الدرر المنيرات في مخارج الحروف وصفاتها-نسخة إلكترونية- بدون طبعة، بدون تاريخ.
٥. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع- ج١- تحقيق أحمد شمس الدين- دار الكتب العلمية بيروت- ط١/١٩٩٨م.
٦. أبو الحسن حازم القرطاجني- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة-الدار العربية للكتاب تونس- ط٣ ٢٠٠٨م ص ٢٤١.
٧. أبو ذؤيب الهذلي-ديوان شعر-تحقيق أحمد خليل الشال-مركز أحمد خليل الشال الدراسات والبحوث الإسلامية بورسعيدط١/٢٠١٤م.
٨. رمزي منير بعلبكي نحو الفعل المضارع ومكانته في التراكيب الإسنادية رسالة مقدمة إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، لنيل درجة أستاذ في الأدب في الجامعة الأمريكية بيروت١٩٧٥م.
٩. أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري-شرح أشعار الهذليين ج١- تحقيق عبد الستار أحمد فراج- مراجعة محمود محمد شاكر- مكتبة دار العروبة-بدون طبعة، بدون تاريخ.
١٠. عبد الله الطيب-المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ج١-مطبعة حكومة الكويت ط٣/١٩٨٩م.
١١. أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني كتاب الأغاني تحقيق إحسان عباس وآخرون-المجلد السادس - خبر أبي ذؤيب- دار صادر بيروت ٢٠٠٨م-ط٣.
١٢. نائل محمد إسماعيل-يناير٢٠١٢م-حركات الإعراب بين الوظيفة والجمال، دراسة وصفية تحليلية- مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية-المجلد العشرين-العدد الأول-ص٢٧٩-٣١٢.
١٣. نورة الشملان- أبو ذؤيب حياته من شعره- عمادة المكتبات جامعة الرياض/السعودية- ط١/١٩٨٠مس.

ما تَبَقَّى مِنْ شِعْرِ
يزيد بن مُحَمَّد بنِ صِقْلاَب الأندلسي

جمع وتوثيق ودراسة

د.محمد محجوب محمد عبد المجيد

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية / جامعة أم درمان الإسلامية

The Remaining Poetry of *Yazeed Ibn Mohammed Ibn Seglab the Andalusian* - Collection, documentation and study

Dr. Mohammed Mahjoub Mohammed Abdulmajed - Associate Professor, Department of Arabic Language & its Literature, Faculty of Education/Omdurman Islamic University

مستخلص

خلصت هذه الدراسة- بعد جمعها لشعر ابن صقلاب الأندلسي ودراسته فنيّا-إلى تعدد الموضوعات التي أدار عليها شعره،وعلى رأسها الإخوانيات- بحكم منصبه وعلاقاته المتعددة- فضلا عن الغزل وبعض القضايا الأخرى، كالحديث عن القيم والمثل العليا، والخمر. لعل أهم ما يميز شعره، هو، حشده للمحسنات البديعية استجابة

Abstract

After the collection and artistic study of Ibn Seglab, the Andalusian poetry, this study revealed the variety of topics that his poetry dealt with, the most important one was brotherhoods (Ekhwani'at); due to his position and various relations, apart from lyrics and other issues such as talking about values, virtues and wine. The matter that characterizes his poetry the most is his mustering of rhetorical meliorations to respond to the soul

لروح عصره، ومجاراة للذوق العام وقتئذ، وأما لغته فاتسمت بالسهولة والبساطة، فضلا عن إفادته من الصيغ اللغوية والعبارات الجاهزة،وإعادته لأصوات الشعراء القدماء. التزم في أوزانه بالعروض الخليلي، وغلب على صوره الفنية التشبيه، ومع أنه حاول خلع الجدة والغرابة عليها لكنه تعذر ذلك عليه وأعوز.

of his era, and to cope with common appreciation of the time. As for his language, it was characterized with easiness and simplicity, apart from his report from readymade linguistic formulas and expressions and referring back to the voices of ancient poets, in his meters he was abided with Al-Oru'd Al-Khalilia, greatly focusing his artistic features on simile, even though he attempted to free it from novelty and oddity but that was inaccessible.

مقدمة

شهدت القصيدة الأندلسية في عصر الموحدين تحولات كبيرة على مستوى الشكل، إذ أصبح وَكْدُ الشعراء- بتأثير من ذوق العصر-هو التفنن بالتشكيل البديعي والإسراف فيه. ومع أن الإسراف فيه يفسد الشعر ويجعله مجرد تلاعب بالألفاظ إلا أننا نجد نفسنا مضطرين لدراسته، انطلاقا من إيماننا بأن ناقد الشعر مثل عالم النبات الذي يدرس الزهر والشوك على حد سواء. ولعل هذا ما دفعني إلى اختيار ابن صِقْلاب الأندلسي والتعريف به، وجمع شعره، ودراسته دراسة فنية بوصفه ممثلا ممتازا لعصره ولذوقه الفني، ولأن يد الباحثين- على حد علمي- لم تمتد له بالدرس والنقد.

هو أبو بكر يزيد بن أبي عبد الله محمد بن صِقْلاب[1] المَرِيّ أو المريي-على غير قياس- من أهل المَرِيَّة[2] ووجهائها، وليس بين أيدينا شيء عن تأريخ مولده، وإن كنا

(١) **انظر أخباره وأشعاره** في:تحفة القادم:١٧٨،الحلة السيراء:٢/٢٩٤، المغرب في حلى المغرب:٢/٢٠٦، قلائد الجمان:١٠/٣٣٣، فوات الوفيات:٤/٣٢٤،الوافي بالوفيات /٣/١٦٧، و١١/١٨، البدر السافر: ٢/١١١٩، عقود الجمان: اللوحة:٣٤٨، المقتضب: ١٧٩، الأعلام:٨ / ١٨٧

(٢) المَرِيَّةُ: مدينة كبيرة، وهي بوابة الشرق، فيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، يضرب ماء البحر سورها، ويعمل بها الوشي والديباج فيُجاد عمله» معجم البلدان:٥/١١٩، ويقول ابن سعيد: لها على غيرها من نظرائها أظهر مزية، بنهرها الفضي، وبحرها الزبرجدي، وساحلها التبري، وحصاها المجزع ومنظرها

نرجح أنه ولد بعد منتصف القرن السادس الهجري.

ولا ندري على وجه اليقين هل كان صاحبنا عربي الأرومة، أم من صقالبة الأندلس، فاسم جده صقلاب- الرجل الأبيض أو الأحمر- يشي بأمرين، الأول: أنه قد يكون من صقالبة الأندلس، والثاني: أن تكون تسميته على سبيل التشبيه بألوان الصقالبة[1].

نشأ ابن صقلاب في أسرة ذات يَسَار، فأبوه أبو عبد الله محمد بن صقلاب كان عاملا (واليا) على مدينة المرية[2] على عهد الموحدين، ولا شك أنه تعهد ابنه يزيد رعاية في التربية، واهتماما بالتعليم، وحرصا على السير في المهيع الذي سلكه هو، فكان أن بدأ بحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، والتفقه بمذهب أهل الأندلس المالكي، فضلا عن علوم العربية.

وبعد أن شبَّ عن الطوق، وقوي عوده ألحقه بديوان المرية، وحرص على تدرجه في الوظائف درجة درجة، يقول الفاسي المقرئ: «إنه شاهده- يعني ابن صقلاب- سنة ٦٠٢هـ، وهو يتولى الإشراف بديوان المرية»[3]. ولعل هذا يؤكد أنه تدرج في الوظائف حتى غدا- فيما بعد- صاحب أعمال المرية.

وليس من شك أنه لم يكن منقطعا لوظيفته انقطاعا تاما، بل كان بين الحين والآخر يركن لنفسه- بعد أن يضيق ذرعا بعمله- ليمتص من رحيق الحياة، أو يستل ما يعلق على قلبه ولبه من رهق العمل وكدره، وهو في كليهما يقول الشعر، تارة يتماجن غزلا[4]، وتارة يتساجل مع أخدانه ورصفائه.

يظل ابن صقلاب يتعهد مدينة المرية اهتماما ورعاية، وشعره نظما وتنضيدا حتى اخترمته المنية سنة ٦١٩هـ[5] الموافق ١٢٢٢م.

المرصع، فضلا عن حسن مزاج أهلها، وطيب أخلاقهم، ولطف أذهانهم» .المغرب في حلى المغرب:١٩٢/٢

(١) يقول ياقوت الحموي» الصقلاب الرجل الأبيض، وقال أبو عمرو: الرجل الأحمر، وقيل للرجل الأحمر صقلاب على التشبيه بألوان الصقالبة « معجم البلدان: ٣/ ٤١٦

(٢) تحفة القادم:١٧٨، المقتضب:١٧٩

(٣) قلائد الجمان:٣٣٣/١٠

(٤) يقول ابن الأبار"وكان غزلا ماجنا "وفي قوله نظر: تحفة القادم:١٧٨

(٥) تحفة القادم:١٧٨،فوات الوفيات:٣٢٤/٤،المقتضب:١٧٩

أخلاقه وصفاته:

درج معظم من ترجم لابن صقلاب على الثناء عليه وتقديره، يقول ابن الأبار: «كان صاحب إبداع، وسرارة وسخاوة»[١]، وينعته ابن سعيد بـ «عالي الهمة، واسع الأدب، ممتع الحديث»[٢]، وأما ابن الشعار الموصلي فيقول: «كان رجلا كبير القدر، جليل المنزلة، سمحا ذا مروءة وأريحية، ويرجع إلى أدب وفضل ونباهة ومعرفة»[٣]، وأما الفاسي المقرئ فيقول عنه- وقد رآه بأم عيني رأسه-: «لم يكن في زمانه أكرم نفسا منه، ولا أجود كفا منه»[٤]، ولعل هذه الصفات تخفف- إلى حد كبير-حِدَّة وصفه بأنه كان ماجنا كما يقول ابن الأبار- بل تجعله أقرب إلى التماجن (المزاح) منه إلى المجون.

أصدقاؤه:

سبق أن أشرنا إلى ثناء القدماء عليه، ولا شك أن الخصال التي كان يتحلى بها،من همة عالية، وسعة علم، ولطف حديث، ومكانة اجتماعية وسياسية مرموقة- كبير المدينة (واليها)-، فضلا عن مكانته الأدبية بوصفه شاعرا وكاتبا، قد جعلته قبلة للشعراء والكتاب وعلية القوم من بَلَدِيِّيه المريين، أو من رصفائه من الأقاليم الأندلسية الأخرى، ولعل أشهر أصدقائه، أبوبكر بن مسعدة[٥] خطيب جامع قصبة غرناطة، وابن نوح الغافقي قاضي المرية[٦]، وابن عبد ربه الحفيد[٧] والي مالقة، وإبراهيم بن

(١) تحفة القادم:١٧٨،

(٢) المغرب في حلى المغرب:٢٠٦/٢

(٣) قلائد الجمان:٣٣٣/١٠

(٤) السابق نفسه: الصفحة نفسها

(٥) أبو بكر عبد الرحمن بن علي بن محمد بن مسعدة(٥٠٨-٦٠٠ه)من بيت رفيع في غرناطة، كان أديبا كاتبا صاحب نظم ونثر، ولي الخطبة بجامع قصبة غرناطة، توفي في سن عالية» انظر: التكملة:٤٢/٣، صلة الصلة:١٤٤/٣، المغرب في حلى المغرب:١١٢/٢، تحقة القادم:١٢٤، الوافي بالوفيات:١١٥/١٨

(٦) أبو القاسم محمد بن أيوب بن نوح الغافقي(٥٥٤-٦١٤ه)من أهل بلنسية، كان متقدما في الآداب، شاعرا مكثرا، كان قاضيا على المرية، ومنها نقل إلى قضاء بلنسية سنة ٦١١ه، ولم تحمد سيرته فصرف.توفي سنة ٦١٤ه. انظر: تحفة القادم:١٢٤،التكملة:١٠٨/٢، المغرب في حلى المغرب:٣٠٨/٢، الوافي بالوفيات:١٧٣/١

(٧) محمد بن عبد ربه الكاتب سكن مالقة وكتب لواليها، ثم ولي عمالة جيان. كناه ابن الأبار أبا عمرو، بينما كناه ابن سعيد أبا عبد الله. انظر: المغرب في حلى المغرب:٤٢٧/١، الوافي بالوفيات:١٦٦/٣، نفح

إدريس بن جامع والي سبتة[1]، وغير ذلك. ولاشك أن علاقاته سواء كانت مع بلدييه المريّين، أو غيرهم كالعلاقات الإنسانية التي تعتورها الجفوة، أو الخلاف أحيانا، يقول ابن سعيد: إن «محمد بن حَبْرُون كانت بينه وبين ابن صقلاب صداقة ثم تغيرت»[2]. ومهما يكن الأمر فقد كان صاحبنا صاحب شأن أدبي وسياسي واجتماعي كبير في مدينته.

مكانته:

يبدو أن اهتمام ابن صقلاب بأمور الحكم والسياسة وإدارة دولاب العمل بمدينة المرية قد صرفه كثيرا عن عالم الشعر، أو لم يكن الشعر هو أكبر همه وهو ينهض بعبء عمله، لكن هذا لا يمنع من القول إنه كان شاعرا كبيرا وكاتبا فذا، وحقا أنه لم يصلنا شئ من كتاباته النثرية لكن نعت القدماء له بالكاتب[3] يدل على رسوخ قدمه في النثر رسوخها في الشعر. لقد حظي ابن صقلاب باهتمام القدماء على الرغم من أنه عاش في فترة اضمحلال الدولة الموحدية واضمحلال الأدب فيها، فترجمة ابن الأبار وابن سعيد وغيرهم تدل على علو مكانته، والحق أن شهرته تجاوزت بلاد الأندلس ووصلت إلى بلاد المشرق، فها هو ابن الشعار الموصلي المعاصر له يترجم له في كتابه قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان[4].

شعره:

تعددت الموضوعات التي أدار عليها ابن صقلاب شعره، وكان على رأسها– بحسب

الطيب:٢/٩٧

(١) إبراهيم بن إدريس بن جامع من بيت كبير كان مخصوصا بالوزارة موصوفا بحسن الإدارة، ولي سبتة إلى أشغال بحرها في آخر وزارة أخيه أبي الحسن سنة ٦٢١ه، توفي قبل سنة ٦٢٥ه كما يقول ابن الأبار.انظر: الحلة السيراء: ٢/٢٩٤

(٢) انظر المغرب في حلى المغرب:٢/٢٠٥

(٣)تحفة القادم:١٧٨، المغرب في حلى المغرب:٢/٢٠٦، فوات الوفيات:٤/٣٢٤، البدر السافر: ٢/١١١٩، عقود الجمان: اللوحة:٣٤٨

(٤) انظر:قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان:١٠/٣٣٣

ما بين أيدينا من شعره - الإخوانيات أو المساجلات الشعرية التي كانت تدور بينه وبين أخدانه، فضلا عن الغزل وبعض القضايا الأخرى، كالحديث عن القيم والمثل العليا، والخمر.

سبق أن قلنا إن ابن صقلاب كان أنسانا فذا بمعنى الكلمة، وكان محط أنظار معاصريه ومبعث اهتمامهم ومثار إعجابهم، فكان من الطبيعي بمكان أن تكون له مراسلات ومساجلات شعريه مع أخدانه الشعراء والكُتَّاب، كتب له صديقه إبراهيم بن إدريس بن جامع[1]:

يـا نازِحـاً حبُّـه وَكِيـدُ ومـن تُـراعَى له العهـودُ
حَلَلْـتَ مـنّي مَحَـلَّ نفـسي فأنـت دانٍ مـني بعيـدُ

فرد عليه بقصيدة من وزنها (مخلع البسيط) ورويها (الدال):

قَـدْكَ اتَّئِـبْ أيُّهـا الحسُـودُ دَارَتْ على راحـتي السُّـعودُ [2]
واهْـتَزَّ عِطْـفُ الزَّمـانِ لِينـاً وكـم عَسَـا للزمـانِ عُـودُ

وفيها يرد على الحساد الذين ضرهم علاقة وده وصداقته لابن جامع. ومثلما يفاخر بصداقته لابن جامع نجده يشيد بصديقه ابن عبد ربه الحفيد، ويبدع في تصوير ملكته الكتابية وتأثيرها في نفوس المتلقين:

أمَـا والهـوى العُـذْريّ وهـو يَمِـينُ عليـه مـن الطَّـرْفِ الكَحِيـلِ أمينُ[3]
لقـد خُضْـتُ مِقْدَامـاً حَشَـا كُلِّ فَيْلَقٍ ولَمَّـا تَرُعْـنِي الحَـرْبُ وَهْيَ زَبُـونُ
وقـد حَادَ عَـنْ لُقْيَـا كِتَابِـك خَاطِرِي كمـا حَـادَ مَنْخُـوبُ الفُـؤادِ طَعِـينُ
أفي كُلِّ صَـدْرٍ منـك صَـدْرُ كَتِيبـةٍ وفي كُلِّ حَـرْفٍ غَارَةٌ وكَمِـينُ
عَجِبْـتُ للفْـظٍ منـك ذَابَ نَحَافَـةً ومعنـاهُ ضَخْـمٌ مـا أرَدْتَ سَـمينُ

(١) الحلة السيراء:٢/٢٩٤
(٢) النص: ٢
(٣) النص:١٣

وأعْجَبُ مـن هذيـن أنَّ بَيَانَـه حَيَـاةٌ لأرْبَـابِ الهـوى ومَنُـونُ
زَحَمْـتَ بـه في غُنجِهـا مُقَـلَ الدُّمى وَعَلَّمْـتَ سِـحْرَ التَّفْثِ كيـف يكونُ

وفيها يستعين بألفاظ الحرب والقتال «الفيلق- الحرب الزبون- صدر الكتيبة- الغارة- الكمين» ويقول إنه ومهما تجاسر في مواجهة الفيالق ولم ترعه الحرب وشدتها جاء فحاد عن مواجهة كتاب (أي ما يكتبه) ابن عبد ربه، بل جبن وارتد خائفا (منخوب الفؤاد)، ويسوق أدلة خوفه ونكوصه على عقبيه، فصدر كتابه (مقدمة ما يكتبه) يماثل صدر كتيبة مدججة بالسلاح، وحروفه غارة وكمين، مايلبث أن يقول إن ألفاظه وكلماته كثيفة المعاني، قوية الدلالة. وعلى نحو ما يتعجب من لفظه الكثيف القوي يتعجب من سحر بيانه، فقوته ترهب قلوب الأعداء خوفا، ورقته تلهب قلوب المحبين عشقا. ويختم قائلا إن جمال كتابته يزاحم دلال الغيد الرعابيب، ويشاكل سحر النافثين.

والحق أن إخوانيات ابن صقلاب لم تقتصر على غرضها الأصلي، بل امتزجت بالأغراض الأخرى، كالمدح والثناء، فها هو يمدح ابن نوح الغافقي وقد تولى قضاء المرية:

يا أبَـا الْقاسِـم ابْنِ نُـوْحٍ بقلبي لـك وُدٌّ رَطْـبُ المـكَاسِرِ لَدْنُ[1]
فـإذا أعْـرَضَ المُحِـبُّ فأقْبِـلْ وإذا مـا تنـازَحَ الخِـلُّ فَـادْنُ
لقَـدْ احْتَـازَتِ المَرِيَّـةُ نَدْبَـاً غَبَطَتْهاعليـه نَـاسٌ ومـدْنُ
مُشْرِفَـاً مُشْرِقَـاً في كُلِّ فَضْـلٍ لِيَ مِنْـهُ وللسِّـيادَةِ خِـدْنُ

وفيها يشيد به وبخلقه القويم وكرم محتده، ويقول إن المرية حازت سيدا نبيلا، وقاضيا فهما تمنَّته الأمصار الأخرى (مدن) وناسُها. ووصفه بالفضل والقيام بواجبه على خير وجه. ويرسل له صديقه ابن مسعدة قصيدة، وقد تذكر أيام اللهو، وأنه لم يعد في وسعه الصبابة والعبث وقد أحاط الشيب بفوديه، يقول ابن مسعدة:

(١) النص:١٢

وأكتـمُ لوعـتي حفْظَـاً لشَـيْبٍ لَحَـا في الحُـبِّ مـن كَشْـفِ القناعا[1]

فيرد عليه صاحبنا وقد كشف القناع، ولم يعد الشيب أو العمر يزجرانه عما هو سادر فيه، فها هو يقسم يمينا برّة بأن يحب ويتعشق:

حَلَفْـتُ وإنهـا ليمـينُ صـدْقٍ كَشَـفْتُ بهـا إلى الخَصْـمِ القِنَـاعَا[2]
لَقَـدُّكَ في لطيـفِ الوَهْـمِ مَثْـوَىً أمِنْـتَ بـه مـن الحَـدَقِ اطِّـلاعَا
وكُنْـتُ أقُـولُ في قلـبي ولكِـنْ خَشِـيْتُ عليـه مـن كَبِـدي انْصِدَاعَا

وتحتجن الأبيات معاني جميلة، كأن يجعل للمحبوب مثوى في لطيف وهمه حتى لا تطاله أحداق آفات المحبين-كما يسميهم ابن حزم-، ويقول إنه إذا أراد أن يخبأه في قلبه خشي على كبده أن يتصدع وينفطر حسدا وحنقا من قلبه الظافر به.

وله ميمية في الغزل لا تكاد تخرج عما هو ذائع في قصيدة الغزل التقليدي، فالفتاة طفلة لينة خميصة البطن، منتصبة القوام كالسيف، جميلة الهيئة كأنها من الحور العين، لينة متثنية المشية كأنها من خيزران، فضلا عن حلاوة الريق، وتحزز الأسنان:

وَطَفْلَـةِ الأطْـرَافِ خُمْصَانَـةٍ في قامَـةِ السَّـيْفِ وشَـكْلِ الغُلامْ[3]
مَكْحُولـةِ العينـينِ حُورِيَّـةٍ مـن اللـواتي قُـصِرْنِ في الخيـامْ
تـكادُ أنْ تُعْقَـدَ مـن لِينهـا وفَـتْرةِ العِطْـفِ وَهَـزِّ القَـوَامْ
يَحْلِـفُ مَـنْ أبْصَرَهـا أنَّهـا قُـدَّتْ لهـا مـن خَـيْزُرَانٍ عظـامْ
تَفْـتَرُّ عـن ذِي أُشُرٍ بـاردٍ أشـهى مـن الخمـرِ بمـاءِ الغمـامْ

ومهما يكن من الأمر، فالأبيات-وإن كانت- تفيض خفة ورشاقة، سهولة وميوعة- لكن معانيها وصورها مكرورة، بل يسهل استدعاؤها من أي قصيدة غزل. وأحيانا يمزج بين الغزل والخمر مزجا بديعا،مثل قوله:

(١) انظر القصيدة في الوافي بالوفيات: ١١٦/١٨
(٢) النص: ٥
(٣) النص:١١

وأخِي فِتْنَـةٍ أدَارَ عَلَيْنَـا ... مـن يَدَيْـه ومُقْلَتَيْـهِ رَحِيْقَا[1]
عايَنَتْـهُ عُيُونُنَـا فَصَبَغْنَـا ... دُرَّ خَدَّيْـه بالعُيـونِ عَقِيقَـا
جَعَـلَ النَّقْـلَ لَثْمَنَـا مِرْشَـفَيْهِ ... فانْتَقَلْنَـا على المُدَامـةِ رِيْقَـا
أسْـكَرَ النَّقـلَ والـشَّرابَ جميعا ... وأبَى الـكأسُ واللَّـمى أنْ أُفِيقَـا
كُلَّمـا قلتُ قـد صَحَـوتُ قليلا ... عُـدتُ في حَيْرَةِ الخُمَـارِ غريقَا

ويقول إن الساقي- ينعته بأخي فتنة- الذي يدير عليه خمرا (رحيقا) يسكره مرتين، مرة برحيق الخمر، ومرة بجمال مقلتيه. ويحتال في وصف حُمْرة خدِّه إذ يجعل نظرته إليه هي من يحيل خده من لون الدر بياضا إلى لون العقيق حُمرة، ولا يني يبدع في رسم صوره والتفنن في بنائها، إذ يقول إنه يستعيض عن النقل أو الفاكهة التي توضع أمام الخمر ليتسلى بها بلثم مقلتيه، ولا يزال يرتضع الخمر من أخلاف إبريقها حتى إذا أراد أن يفيق منها ردَّه ماتَبَقَّى من سُؤرها أو أثرها في رأسها (الخُمار) مرة ثانية صريع كأسها ونديم سَوْرتها.

ومن لطيف تغزله قوله مصورا فم محبوبه وقد وضعه على إصبعه- بعد أن أشار بالتحية عليه- بالخاتم على الإصبع (تختما)، أليس الفم يشبه الخاتم :

أهْـدَى التَّحِيَّـةَ بالإشـارةِ واضِعَـاً ... بَعْـدَ التَّحِيَّـةِ فَـوْقَ إصْبَعِـهِ فَمَـا[2]
فعَجِبْـتُ منـه ثُـمَّ قُلْـتُ لصاحـبي ... أثُـرَاه سَـلَّمَ أم ثُـرَاهُ تَخَتَّمَـا

ومن أغزاله التي تفيض رقة وصبابة قوله:

لَهْـفَ القَـصِيِّ لقـد طالَـتْ شِـكَايَتُه ... ولا طبيـبَ بقُـرْبِ الدَّارِ يَشْـكِيه[3]
قـد طارَحَتْـهُ حَمَـامُ الأيْـكِ نَغْمَتَهـا ... حَرْفَـاً بحـرفٍ فيحكيهـا وتحكيـه
وَسَـاجَلَتْ عَـبراتِ السُّـحبِ عَبْرَتُـه ... إذا تَفِيْـضُ فتَبْكِيهـا وتبكيـه

(١) النص: ٦
(٢) النص:١٠
(٣) النص: ٧

وفيها يصور لوعة البعيد ولهفته دون أن يجد أذنا تسمع شكواه، أو طبيبا يطبب جرحه، ولا يزال الضنى يستبد به حتى إذا ضاق ذرعا ببني البشر، ولّى وجهه شطر الطبيعة الأنيسة، فوجد في صوت حمام الأيك المبغوم صديقا يسمعه، ويشاركه أنَّته الشجية، وفي ماء السحب دمعا يماثل دمعه.

وله أبيات يصور فيها الناس وهم يتفاوتون خسة ودناءة، كرما ونبلا، ويقول إن الثياب الجميلة والجديدة غير قادرة على ستر سوءة اللئيم الخسيس:

من النَّـاسِ مَـنْ يَبْقَى مـن اللُـؤمِ عِرْضُهُ وإنْ زانــه ثَــوْبٌ عليــه جَدِيــدُ[1]

مايلبث أن يضرب صفحا عنه فهو لا يستحق أكثر من بيت واحد. ويسترسل في الحديث عن صاحب الهمة العالية والخلق النبيل- وكأنه يشير إلى ذاته التي اتسمت بكثير مما ذكره، أو كما نعته به معاصروه- ويقول إن الجود طبع في كريم الخصال وسجية حتى لوسئل نفسه جاد بها، وهو طلق الجبين، منبسط الوجه:

ومنهـم جَـوَادُ النَّفْسِ لو سِـيلَ نَفْسَـهُ لــكان بهــا طَلْــقَ الجبــينِ يجُــودُ

فسيرة الكريم الخصال باقية لا يعتورها شي، بل تنتصر على الموت، أليس الذكرى عمر ثان له:

فــذاك الَّذي تَبْــقَى مآثِــرُ مَجْــدِه وآثارُهــا في العالمــين شُــهودُ
فــإنْ عاشَ فالآمــالُ خــالدةٌ بــه وإنْ مــاتَ فالأمْــدَاحُ فيــه خُلــودُ

خصائصه الفنية:

لعل أهم ما يمز شعره هو **التشكيل البديعيّ** الذي يتجلَّى في معظمه، ولا غرو في ذلك فقد شهد العصر الذي عاشه صاحبنا ولعا شديدا به، فالبديع كما يقول فوزي عيسى[2] كان أحد مقاييس الذوق في عصر الموحدين -عصر الشاعر- لذلك لم يكن صاحبنا

(١) النص: ٣
(٢) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين:٢٣٠

بدعا عن غيره فقد حرص بتأثير من عصره، ومجاراة للذوق العام على الاهتمام بالبديع، والتفنن في تشكيله، يقول ابن الأبار» كان صاحب إبداع في قواف وأسجاع»[1]، والحق أن شعره معرض لأنواع متعددة من الفنون البديعية، على رأسها الجناس الذي تعددت أنواعه وأشكاله، فمن الجناس المقلوب قوله:

وإن أثْنَتِ الأعْصَارُ يوماً على امْرِئٍ فأنت الذي تُثْنِي عليه الأعَاصِرُ[2]

فالجناس واضح بين الأعصار والأعاصر، ومن الجناس المصحَّف قوله مجانسا بين مشرفا ومشرقا في قوله:

مُشْرِفَاً مُشْرِقَاً في كُلِّ فَضْلٍ لِيَ مِنْهُ وللسِّيادَةِ خِدْنُ[3]

ويبني بيتا معظمه من الجناس:

مَسَحْتَ بها حَرَّ الجوى عن جوانِحٍ حَوَتْ ضِعْفَ ما تحويه حَرَّةَ وَاقِمِ[4]

انظر الجناس اللطيف بين الجوى والجوانح، وحَرّ وحَرَّة. وعلى نحو ما يأتي الجناس طبعا وسجية، قد يأتي متكلفا سمجا يثقل على القارئ تحمل عنته وتكلفه، ومنه:

عُتِّقَتْ هذه وهذا عَتِيْقٌ فَشَرِبْا على العتيقِ عَتِيقَا[5]

وينوء البيت بمادة «عتق» عتقت (الخمر)-عتيق (كريم)العتيق-عتيقا. ويقوده الولع بالجناس إلى تجنيس القوافي:

دِنْ بالرِّضا واجْنَحْ لأسْبَابِهِ وَدَعْ من العَتْبِ وأوْصَابِهِ[6]
وقَاسِمِ الحُرَّ وأقْسِمْ به في حُلْوه إنْ كان أوْ صَابِهِ

(١) تحفة القادم:١٧٨
(٢) النص:٤
(٣) النص:١٣
(٤) النص:٩
(٥) النص:٦
(٦) النص:١

فقد جانس بين «أوصاب» المرض أو العيب، و«أو صاب» المكونة من «أو» الأداة و«صاب» (بمعنى المر). ولا شك أن مثل هذا الصنيع مرده الفهم الساذج لطبيعة الشعر في هذا العصر،فقد اعتقد معظم شعراء هذه الفترة «أن الشعر جهد عقلي يصدر عن التفكير الواعي المنظم، ويقوم على نوع من الحجاج المنطقي والتوليد الذهني»[١]. ومن ألوان البديع عنده الطباق الذي يفيد منه في رسمه لصاحب الهمة العالية والنفس الكريمة الذي يبقى منتصرا حيا وميتا:

فـإنْ عاشَ فالآمـالُ خـالدةٌ بـه وإنْ مـاتَ فالأمْـدَاحُ فيـه خُلـودُ[٢]

وهو إذ يجمع في البيت بين الحياة (عاش) والموت جمعا فنيا فإنه يبرهن على بقاء سيرته وانتصارها على الموت، ففي حياته تخلده المدائح، وفي موته تخلده المراثي (الرثاء=مدح الميت)[٣].

ومن البديع الذي أخذ طريقه لشعر صاحبنا، لزوم ما لايلزم، وهو- كما يقول ابن الأثير - «من أشق هذه الصناعة، وأبعدها مسلكا، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لايلزمه»[٤]، فتارة يلتزم حرفا قبل حرف الروي:

يا أبَـا الْقاسِـم ابْنِ نُـوْحٍ بقلبي لـك وُدٌّ رَطْـبُ المـكَاسِرِ لَدْنُ[٥]
فـإذا أعْـرَضَ المُحِـبُّ فأقْبِـلْ وإذا مـا تنـازَحَ الخِـلُّ فَـادْنُ

وتارة يلتزم أكثر من حرف:

أمـا ورِيَـاضٍ مـن ضَمْيرِكَ مَـادَرَتْ غَـزَارَةَ بَحْـر لا ولا بنْـتَ راقِـمِ[٦]
ولا رَقَّمَـتْ كَـفُّ الغَمَامـةِ بُرْدَهـا وقـد خَلَعَـتْ فيهـا جُلُـودَ أرَاقِـمِ

(١) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر:٣
(٢) النص:٣
(٣) يؤكد القدماء هذا القول، يقول قدامة بن جعفر: ليس بين المرثية والمدحة فصل" نقد الشعر:١٠٠
(٤) المثل السائر:٢٥٨/١
(٥) النص:١٢
(٦) النص:٩

والواضح أن صاحبنا يتكلف البديع تكلفا يفسد عليه نظمه، بل «يفسد الشعر ويزهق روحه، ويحيله إلى نظم ممسوخ ومشوه»(١).

أما **لغته** فالغالب عليها- بتأثير من الحياة الأندلسية المترفة وطبيعة العصر الذي عاشه-السهولة والبساطة،فقلما تجد لفظا غريبا غير مألوف ومأنوس، فالسهولة طبع فيه وسجية، انظر لقوله:

أنـا صَـبٌّ وابْـنُ صَـبٍّ بـالـعـوالي والـمـعـالي(٢)

فالبيت يشعرك بأنه يتحدث حديثا مباشرا وتلقائيا، ودون عنت في بناء الشعر. وتتأثر أداته اللغوية بالقرآن الكريم، فقوله:

مَكْحُولـةِ العينـينِ حُورِيَّـةٍ مـن اللـواتي قُـصِرْنِ في الخيـامْ(٣)

مقتبس من قوله تعالى «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ»(٤). والحق أن شعره يفصح عن ثقافة واسعة تؤكدها كثرة الإحالات التي يحيل القارئ إليها، فقوله:

مـن النَّـاسِ مَنْ يَبْـقَى من اللُـؤمِ عِرْضُهُ وإنْ زانـه ثَـوْبٌ عليـه جَدِيـدُ(٥)

مأخوذ من قول الشاعر السموأل:

إذا المـرءُ لـم يدنَـسْ مـن اللـؤمِ عِرْضُهُ فـكُلُّ رِدَاءٍ يرتديـه جَمِيـلُ(٦)

ومثلما مَدَّ بصره إلى الجاهليين جاء فمرَّ على العباسيين، فكان أن أخذ قوله:

قَـدْكَ اتَّئِـبْ أيُّهـا الحسُـودُ دَارَتْ على راحـتي السُّـعودُ(٧)

(١) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين:٢٣٣
(٢) النص:٨
(٣) النص:١١
(٤) سورة الرحمن: آية ٧٢
(٥) النص:٣
(٦) ديوانا عروة بن الورد والسموأل:٩٠
(٧) النص:٢

من قول أبي تمام:

قَـدْكَ اتَّئِـبْ أرْبَيْـتَ في الغُلْـواءِ كَـمْ تَعْذِلـون وأنتـمُ سُـجَرَائِي[1]

وابن صقلاب لم يستعر من أبي تمام عبارته «قدك اتئب» فحسب، بل أفاد من معنى البيت العام، فكلاهما (أبو تمام وابن صقلاب) يناشد (العاذل عند أبي تمام والحسود عند ابن صقلاب) أن يكف ماهو سادر فيه،وأن يرفق به ويستحي منه. ويفيد من أشعار بلدييه الأندلسيين، فقوله:

قـد طارَحَتْـهُ حَمَـامُ الأيْـكِ نَغْمَتَها حَرْفَـاً بحرفٍ فيحكيهـا وتحكيه[2]

فيه نظر لقول ابن سعد الخير البلنسي:

قـد طارحَتْـهُ بهـا الحَمَائِمُ شَـجْوَها فيجِيبُهـا ويُرَجِّـعُ الألْحَانـا [3]

وتكثر في أشعاره «الصيغ والعبارات الجاهزة التي توجه حركة اللغة في نفس الشاعر على نحو ييسر له بناء البيت»[4]، ومنها قوله: «رطب المكاسر: أي لين القياد» [5] وقوله: «أنت الذي تثنى عليك الخناصر: أي شريف وحميد الصفات»[6]وقوله: «منخوب الفؤاد: أي جبان»[7]. ويكثر من أسلوب الأمر لدرجة يكاد يبني بيتا كاملا عليه:

دِنْ بالرِّضـا **واجْنَـحْ** لأسْـبَابِهِ **وَدَعْ** مـن العَتْـبِ وأوْصَابِـهِ[8]

ومنه:

(١) شرح ديوان أبي تمام:٢٢/١

(٢) النص:٧

(٣) زاد المسافر: ١٠٤،هذا وقد جمعنا شعره وحققناه ودرسناه في بحثنا:ابن سعد الخير البلنسي"حياتُهُ وماتَبَقَّى من شعره"، وقد نشرته مجلة آفاق الثقافة والتراث،مركز جمعة الماجد بدبي،العدد ١١٣(مارس ٢٠٢١).

(٤) في الشعر العباسي (الرؤية والفن): ٤٥

(٥) البيت الأول: النص١٢

(٦) البيت الأول: النص٤

(٧) البيت الثالث: النص١٣

(٨) النص:١

فَـزِدْ بضمائـري شُرْبَ التَّصـافي وَرِدْ حَـوْضَ المُـنَى فِيَّ انْتِجَاعَا[1]

ونلاحظ التفاوت في صيغتي الأمر، ففي البيت الأول يبدو ناصحا مرشدا، أما في البيت الثاني فيبدو ضعيفا منتظرا مَنَّ صاحبه عليه. يبدو لي أن جريان صيغة الأمر على لسانه وإلحاحه عليها -حتى وإن تباينت دلالاتها - قد صار عادة عنده بتأثير من مهنته بوصفه واليا وصاحب مُلك.

ويتأثر أسلوبه الشعري بأساليب الكتابة النثرية، مثل الإكثار من أدوات الاستئناف، ومنها (أمَا) التي يفتتح بها قصيدته:

أمَـا ورِيَاضٍ مـن ضَمْيرِكَ مَـا دَرَتْ غَـزَارَةَ بَحْـرٍ لا ولا بنْـتَ راقِـمِ[2]

وقصيدته:

أمَـا والهـوى العُـذْريّ وهـو يَمِـينُ عليـه مـن الطَّـرْفِ الكَحِيـلِ أمـينُ[3]

وابن صقلاب إذ يبتدر قصيدته «أمَا والهوى العُذْريّ وهو يَمِينُ» بقسم ويمين فإنه يلفت النظر ويسترعي الانتباه لما سيقوله من جهة، ويؤكد على صدقه من جهة ثانية، فأداة الاستئناف (أمَا) هنا لا تستفتح الكلام وتهيِّء النفس لما هو بعدها فحسب، بل «تكسب الكلام عددا من المعاني، منها، تأكيدها للكلام واليمين»[4]. ويوظف أفعل التفضيل (أشهى- أرشق-أحلى) لإكساب المعنى مبالغة وغلوا:

تَفْـتَرُّ عـن ذِي أُشُرٍ بـاردٍ أشـهى من الخمـرِ بمـاءِ الغمامْ[5]
نَعِمْـتُ فيهـا ليلـتي كلَّهـا بأرْشَـقِ الْخَلْـقِ وأحْـلَى الأنَـامْ

(١) النص:٥
(٢) النص:٩
(٣) النص:١٣
(٤) من أسرار الجمل الاستئنافية:٣٠٢
(٥) النص:١١

ويكثر من صيغة القسم، ومنه: (حلفت وإنها ليمين صدق)[1]، وقوله (أنا واللهِ في جِوَارِ يزيدٍ) [2]وقوله: «أما والهوى.... وهو يمين»[3]، ويبدو أن كثرة الأقسام كانت ظاهرة منتشرة في المجتمع الأندلسي.

أما فيما يخص **الأوزان** فجاء بحر الطويل في مقدمتها بأربعة نصوص، ونصان لكل من البسيط تامه ومخلعه، والخفيف والوافر والسريع، ونص واحد لكل من الكامل ومجزوء الرمل.

وأما **قوافيه** فجاء حرف الميم في أولها بثلاثة نصوص، يليه الدال والنون بنصين لكل منهما، ونص واحد لكل من الباء والراء والعين والقاف والكاف واللام والهاء.

وعلى غِرار عنايته بأوزانه وقوافيه عني بالموسيقى الداخلية،ومنها حرصه على أن تكون الكلمة التي تسبق كلمة القافية من جنسها وسنخها، تارة علي سبيل التكرار(فيحكيها وتحكيه- فتبكيها وتبكيه)، وتارة ثانية على سبيل المجانسة (عبرات-عبرته)، لتهيئة القارئ للقافية التي تأتي موعودا منتظرا- كما يقول المرزوقي- في قوله:

قـد طارَحَتْـهُ حَمَـامُ الأيْـكِ نَغْمَتَهـا حَرْفَـاً بحـرفٍ فيحكيهـا وتحكيـه[4]
وَسَـاجَلَتْ عَـبراتِ السُّـحبِ عَبْرَتُـه إذا تَفِيْـضُ فتَبْكِيهـا وتبكيـه

ومن الموسيقى الداخلية نوع دقيق من التقابل الأفقي،وفيه تتساوى كل كلمة في صدر البيت مع الكلمة التي تقابلها في العجز، في وزنها الصرفي والعروضي:

فَمَسْرَحي/مُمْـرِعٌ /جَمِيـمٌ ومَشْرعي/سَلْسـلٌ/بَرُودُ[5]
متفعلـن/ فاعلـن/ فعولن متفعلـن/ فاعلـن/ فعولن

(١) النص:٥
(٢) النص:١٢
(٣) النص:١٣
(٤) النص:٧
(٥) النص:٢

وقوله:

و كُلُّ / ليلٍ / عليَّ / صُبْـحٌ وكُلُّ/ يـومٍ/ لَدَيَّ/عِيـدُ[1]

والحق «أن هذا التقابل يحدث إيقاعا متساويا تهش له الأذن، ولا تكاد تملّ سماعه»[2]. ومن ألوان الموسيقى الداخلية، التوشيح، وهو «أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته، ومعناها متعلقا به، حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها، إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته»[3]، ومنه:

إذا تَدْعـو فـأوَّلُ مـن يُلَـبِّي وإنْ تأمُـرْ فـأوَّلُ مـن أطـاعا[4]

فإذا سمعنا أنه أول من يلبي دعوته، أدركنا بعد سماعنا أمره أنه أول من يطيعه.

وتَنَكَّب على بعض الضرورات الشعرية، ومنها «إبدال بعض حروف الخفض موضع بعض»[5]، كاستعمال (في) في موضع الباء، مثل قوله:

نَعِمْـتُ فيهـا ليلـتي كلّهـا بأرْشَـقِ الْخَلْـقِ وأحْـلَى الأنَـامْ[6]

فهو يعدل عن حرف الجر الباء- ليستقيم له الوزن- ليستعيض عنه بفي، فيقول (نعمت فيها) بدلا عن (نعمت بها). ومن الإبدال أيضا قوله:

ومنهـم جَـوَادُ النَّفْـسِ لو سِـيلَ نَفْسَـهُ لـكان بهـا طَلْـقَ الجبـينِ يجُـودُ[7]

ففي قوله «سيل» ضرورة شعرية، فأصل القول «سُئِل»، ولما كان الشاعر لا يقوم له الوزن إلا بالإبدال جاز له ذلك»[8].

(١) النص: السابق نفسه

(٢) انظر بحثنا: موشحات أبي الحسن الششتري»**موسيقاها وعناصرها التراثية**»بمجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد بدبي،العدد (٩٢): ٥٥

(٣) نقد الشعر:١٦٨

(٤) النص: ٥

(٥) ضرائر الشعر (ابن عصفور):٢٣٣

(٦) النص:١١

(٧) النص:٣

(٨) ضرائر الشعر (القزاز القيرواني):٢٠٤

أما **صوره الفنية** فيغلب عليها التشبيه لا سيما البليغ، الذي يأخذ أشكالا متعددة، منها القائم على الإعادة (حاد كما حاد):

وقد حَادَ عَنْ لُقْيَا كِتَابِك خَاطِرِي كما حَادَ مَنْخُوبُ الفُؤادِ طَعِينُ[1]

ومنها ما يستغني عن الأداة ووجه التشبيه تاركا مهمة تقديرهما لفطنة القارئ:

وأعْجَبُ من هذين أنَّ بَيَانَه حَيَاةٌ لأرْبَابِ الهوى ومَنُونُ[2]

ومن التشبيه لون بديع لا يتأتَّى إلا لأصحاب البيان، وهو التشبيه الضمني، ومنه:

رأوا مِمَّنْ يُحِبُّهمُ نُحولا فعابوه بجَهْلِهِمُ عَلَيْهِ[3]
وأمْضَى ما يكونُ السَّيفُ قَطْعَاً إذا أخَذَ الضَّنَا من شَفْرَتَيْهِ

والجامع المنطقي بين البيتين هو لَوْمُ النّحول، فمثلما لا يليق أن نعيب نحول العاشق الوَلِه لا نلوم أيضا نحول شفرتي السيف، فالنحول في كليهما دليل وبرهان، دليل على حب وولهه، وبرهان على حدة وقطع. ولا تخلو صوره من أصداء القدماء، فقوله:

تكادُ أنْ تُعْقَدَ من لِينها وفَتْرةِ العِطْفِ وَهَزِّ القَوَامْ[4]
يَخْلِفُ مَنْ أبْصَرَها أنَّها قُدَّتْ لها من خَيْزُرانٍ عظامْ

فيه نظر لقول بشار:

إذا قامَتْ لِمِشْيَتِها تَثَنَّتْ كأنَّ عِظَامَهَا من خَيْزُرَان[5]

وإلى جوار التشبيه نجد بعض الصور الاستعارية وعلى رأسها الاستعارة المكنية، فها هو يمنح الغمامة كفا وريشة تكتب وتزركش:

(١) النص:١٣
(٢) السابق نفسه
(٣) النص:١٤
(٤) النص:١١
(٥) ديوان بشار بن برد:١٩٨/٤

ولا رَقَّمَتْ كَفُّ الغَمَامةِ بردَها وقد خَلَعَتْ فيها جُلُودَ أرَاقِمِ[1]

ومنها أيضا:

واهْـتَزَّ عِطْـفُ الزَّمـانِ لِينـاً وكـم عَسَـا للزمـانِ عُـودُ[2]

ويغالي في صورته إذ يجعل للزمان عطفا (جانبا) يلين له مع أن عوده غليظ ويابس(عسا). ويكثر من حشد الصور الفنية في بيت واحد انظر لقوله:

قـد جَمَّـعَ اللهُ بهـا فِتْنَـةً حَـلاوةَ اللَّفْظِ وسِـحْرَ الـكلامْ[3]

واللَّيـلَ والصَّبْـحَ وَدِعْـصَ التَّقَـا والغُصْـنَ والظَّـبْيَ وبَـدْرَ التمـامْ

ففي البيت الأول يباشرك بالمشبه والمشبه به (لفظها كالحلاوة، وكلامها كالسحر) وكأنه يمهد لما سيأتي بعده، مايلبث أن يأتي في البيت الثاني بحشد من الصور تاركا مهمة تقديرها لفطنة القارئ وسعة خياله، فالليل شعرها، والصبح لونها،والدعص كفلها، والغصن قدها، والظبي جيدها، والبدر وجهها. والحق أن قيمة البيت تكمن في تعدد العوالم التي جَمَّع منها صورته، ففيها السماء والأرض، وفيها النبات والحيوان، وفيها البادية والحضر.

وثمة ظاهرة تميزت بها صوره الفنية لا سيما الغزلية، وهي الطرافة، فها هو يفيد من تجاهل العارف- أو سوق المعلوم مساق المجهول كما يقول السكاكي- في تصوير حالة الدهشة التي أعترته عندما رأى محبوبه وهو يشير بالتحية:

أهْـدَى التَّحِيَّـةَ بالإشـارةِ واضِعَـاً بَعْـدَ التَّحِيَّـةِ فَـوْقَ إصْبَعِـهِ فَمَـا[4]

فعَجِبْـتُ منـه ثُـمَّ قُلْـتُ لصاحـبي أتُـرَاه سَـلَّمَ أم تُـرَاهُ تَخَتَّمَـا

ومن الطرافة أيضا قوله معتمدا على المبالغة التي جعلت المحبوبة تكاد تعقد من فرط لينها:

(١) النص:٩

(٢) النص:٣

(٣) النص:١١

(٤) النص:١٠

تـكادُ أنْ تُعْقَـدَ مـن لِينهـا وفَـتْرةِ العِطْـفِ وَهَزِّ القَـوَامْ[1]

لقد تنوعت أدوات بناء الصورة الفنية عنده وحاول في معظمها البحث اصطناع الجدة والغرابة، فتعذر ذلك عليه وأعوز، فالخيال- في الغالب- كان قاصرا بلا أجنحة محلقة، والصور مكرورة وباهتة.

منهجنا في هذا العمل:

- جمع وتوثيق كل ما توافر إلينا من شعر ابن صقلاب الأندلسي من المصادر الأندلسية والمشرقية.
- ترتيب النصوص على حروف المعجم و إثبات الروايات المختلفة للأبيات.
- شرح غامض اللفظ.
- تسمية الأبحر الشعرية.
- ضبط الأبيات بالشكل.

ومهما يكن الأمر فهذا كل ما تيسَّر لنا من شعر ابن صقلاب الأندلسي، ولا شك أن هناك ما ندَّ علينا أو غفلنا عنه، فالحمد لله الذي جعل الكمال له والعصمة لأنبيائه.

(١) النص:١١

شـــعـــره

(١)

الباء

من السريع

دِنْ بالرِّضـا واجْنَـحْ لأسْـبَابِهِ ... وَدَعْ مـن العَتْـبِ وأوْصَابِـهِ
وقَاسِـمِ الحُـرَّ وأقْسِـمْ بـه ... في حُلْـوه إنْ كان أوْ صَابِـهِ
وأرْبُـطْ على العَهْـدِ وحافِظْ على ... مـا قـاله الخِـلُّ وأوْصِي بِـهِ

التخريج:

تحفة القادم: ١٧٨، المقتضب: ١٧٩.

(٢)

الدال

من مخلع البسيط

قَـدْكَ اتَّئِـبْ أيُّهـا الحسُـودُ ... دَارَتْ على راحـتي السُّـعودُ
واهْـتَزَّ عِطْـفُ الزَّمـانِ لِينـاً ... وكـم عَسَـا للزمـانِ عُـودُ
أجْـنَى يَـدِي بَعْدَمـا تَجَـنَّى ... زَهْـرَ الأمـاني كمـا أُريـدُ
فَمَـسْرَحي مُمْـرِعٌ جَمِيـمٌ ... ومَـشْرعي سَلْسـلٌ بَـرُودُ
وكُلُّ ليـلٍ عليَّ صُبْـحٌ ... وكُلُّ يـومٍ لَدَيَّ عِيـدُ

التخريج:

الحلة السيراء: ٢/٢٩٤

المعاني:

قدك: حسبك.

اتئب: تمهل.

عسا: غلظ ويبس.

تجنى: قطف.

ممرع: خصيب.

جميم: الكثير من كل شيء.

(٣)

من الطويل

مـن النَّـاسِ مَنْ يَبْـقَى من اللُـؤمِ عِرْضُهُ وإنْ زانـه ثَـوْبٌ عليـه جَدِيـدُ
ومنهـم جَـوَادُ النَّفْسِ لو سِـيلَ نَفْسَـهُ لـكان بهـا طَلْـقَ الجبـينِ يجُـودُ
فـذاك الَّذي تَبْـقَى مآثِـرُ مَجْـدِه وآثارُهـا في العالمـين شُـهودُ
فـإنْ عاشَ فالآمـالُ خـالدةٌ بـه وإنْ مـاتَ فالأمْـدَاحُ فيـه خُلـودُ

التخريج:

تحفة القادم:١٧٩، فوات الوفيات: ٣٢٤/٤.

(٤)

الراء

من الطويل

إذا عُقِـدَتْ كَـفٌّ على ذي مُـروءةٍ فأنـت الذي تُثْـنَى عليـه الخَنَـاصِرُ
وإن أثْنَـتِ الأعْصَـارُ يومـاً على امْـرئٍ فأنـت الذي تُثْـنِي عليـه الأعَاصِرُ

التخريج:

تحفة القادم:١٧٨، المقتضب: ١٧٩

(٥)

العين

من الوافر

وكتب لصديقه ابن مسعدة رداً على قصيدة له:

حَلَفْتُ وإنها ليمينُ صِدْقٍ ... كَشَفْتُ بها إلى الخَصْمِ القِنَاعَا
لَقَدُّكَ في لطيفِ الوَهْمِ مَثْوَىً ... أمِنْتَ به من الحَدَقِ اطِّلاعَا
وكُنْتُ أقُولُ في قلبي ولكِنْ ... خَشِيْتُ عليه من كَبِدي انْصِدَاعَا
متى ماشئتُ لُقْيَا أمْسَكَتْنِي ... ولم أُتْقِلْ لها في الحين باعَا
إذا تَدْعو فأوَّلُ من يُلَبِّي ... وإنْ تأمُرْ فأوَّلُ من أطاعَا
فَزِدْ بضمائري شُرْبَ التَّصافي ... وَرِدْ حَوْضَ المُنَى فِيَّ انْتِجَاعَا
أأسْتُرُها عَلاقُةُ مُسْتَهامٍ ... فشَا وَلَهَاً بكُمْ وَنَمَى وشَاعَا
و يا لله لا أنْسَى رِيَاضاً ... سُلِبْتُ بها مُسَالمَةَ الشُّجَاعَا*
جرى الأدبُ المعينُ بحَافَتَيْهَا ... وأخْدَمَها الخَواطِرِ والبَرَاعَا
غَلَبْتَ بها النُّجومَ على سُراها ... وضَمَنَّتَ الرَّبيعَ بها الرِّقاعَا
وخُذْها من يَدَيْ زَمَنٍ ظَلُومٍ ... تَقَسَّم صِرْفُه النَّفْسَ الشَّعَاعَا

التخريج:

الوافي بالوفيات: ١٨/ ١١٦.

* يقول الصفدي: وفي قوله (مسالمة الشجاعا) لحن، فما أدري علام نصب الشجاع وهو مضاف، انظر: الوافي بالوفيات:١١٧/١٨.

(٦)

القاف

من الخفيف

وأخِي فِتْنَـةٍ أدَارَ عَلَيْنَـا	مـن يَدَيْـه ومُقْلَتَيْـهِ رَحِيْقَـا
عايَنَتْـهُ عُيُونُنَـا فَصَبَغْنَـا	دُرَّ خَدَّيـه بالعُيـونِ عَقِيقَـا
جَعَـلَ النَّقْـلَ لثْمَنَـا مِرْشَـفَيْهِ	فانْتَقَلْنَـا على المُدَامـةِ رِيْقَـا
عُتِّقَـتْ هـذه وهـذا عَتِيْـقٌ	فَشَرِبْنـا على العتيـقِ عَتِيقَـا
أسْـكَرَ النَّقـلَ والـشَّرابَ جميعـا	وأبَى الـكأسُ واللَّـمى أنْ أُفِيقَـا
كُلَّمـا قلـتُ قـد صَحَـوتُ قليـلا	عُـدتُ في حَـيْرَةِ الخُمَّـارِ غريقَـا
لـم أكُنْ شـاعِرَ الطَّريقـةِ لَكِنْ	مُـذْ تَعَشَّـقْتُه سَـلَكْتُ الطَّريقَـا
حَكَّمَتْنـا يَـدُ الهـوى في القـوافي	فَغَزَلْنَـا مـن الرَّقيـقِ رَقِيْقَـا

التخريج:

تحفة القادم:١٧٩، المقتضب: ١٨٠، البدر السافر:٢/١١١٩.

الروايات:

في المقتضب: **عابثته** بدلاً عن **عاينته**، و**فصبغن** بدلا عن **فصبغنا**.

في البدر السافر: **اللثم نقلنا** بدلاً عن **النقل لثمنا**.

المعاني:

النَّقْلُ: ما يُتَنَقّل به على الشراب من الفواكه والكوامخ وغيرها.

(٧)

الكاف

من البسيط

لَهْـفَ القَصِيِّ لقـد طالَتْ شِـكَايَتُه ... ولا طبيـبَ بقُـرْبِ الدَّارِ يَشْـكِيه
قـد طارَحَتْـهُ حَمَـامُ الأيْـكِ نَغْمَتَها ... حَرْفَـاً بحـرفٍ فيحكيهـا وتحكيـه
وَسَـاجَلَتْ عَبراتِ السُّـحبِ عَبْرَتُه ... إذا تَفِيْـضُ فتَبْكيهـا وتبكيـه

التخريج:

تحفة القادم:١٧٨، المقتضب: ١٧٩.

(٨)

اللام

من مجزوء الرمل

أنـا صَـبٌّ وابْـنُ صَبٍّ ... بالعـوالي والمعـالي
وبنـاني وَجَنَـانِي ... بهمـا قَـدّ المعـالي
فهمـا إنْ فَسَـحَ اللـ ... ـهُ مدى العُمْرِ معاً لي

التخريج:

تحفة القادم:١٨٠، الوافي بالوفيات:٣٢٥/٤.

(٩)

الميم

ولا رَقَّمَـتْ كَـفُّ الغَمَامـةِ بُرْدَهـا ... وقـد خَلَعَـتْ فيهـا جُلُـودَ أرَاقِـمِ
فللخاطـر السَّـيَّالِ فيهـا سَـحَابَةٌ ... وللقلـمِ الجـاري بهـا كَـفُّ راقِـمِ
لقـد أنْعَمَتْـني إذْ تَنَسَّـمْتُ عَرْفَهـا ... على رَمَـقٍ لا يسـتلينُ لناقِـمِ

وإنْ جَادَ يوماً بالرِّضى فهو مازِجٌ على إثْرِه شَهْدَ الرِّضَى بالعلاقِمِ
مَسَحْتَ بها حَرَّ الجوى عن جوانِحٍ حَوَتْ ضِعْفَ ما تحويه حَرَّةَ وَاقِمِ*

التخريج:

تحفة القادم:١٧٩، فوات الوفيات:٣٢٤/٤، عقود الجمان (مخطوط): اللوحة٣٤٨.

* حرة واقم: أطم من آطام المدينة، تنسب إليها الحرة، وفيها سقاية مؤنسة. معجم ما استعجم:٤٣٧/٢.

(١٠)

من الكامل

أهْدَى التَّحِيَّةَ بالإشارةِ واضِعَاً بَعْدَ التَّحِيَّةِ فَوْقَ إصْبَعِهِ فَمَا
فعَجِبْتُ منه ثُمَّ قُلْتُ لصاحبي أتُرَاه سَلَّمَ أم تُرَاهُ تَخَتَّمَا

التخريج:

قلائد الجمان:٣٣٣/١٠.

(١١)

من السريع

وَطَفْلَةِ الأطْرَافِ خُمْصَانَةٍ في قامَةِ السَّيْفِ وشَكْلِ الغُلامْ
مَكْحُولةِ العينينِ حُورِيَّةٍ من اللواتي قُصِرْنِ في الخيامْ
تكادُ أنْ تُعْقَدَ من لِينها وفَتْرةِ العِطْفِ وَهَزِّ القَوَامْ
يَحْلِفُ مَنْ أبْصَرَها أنَّها قُدَّتْ لها من خَيْزُرَانٍ عظامْ
قد جَمَّعَ اللهُ بها فِتْنَةً حَلاوةَ اللَّفْظِ وسِحْرَ الكلامْ
واللَّيلَ والصَّبْحَ وَدِعْصَ النَّقَا والغُصْنَ والظَّبْيَ وبَدْرَ التمامْ
تَفْتَرُّ عن ذِي أُشُرٍ باردٍ أشهى من الخمرِ بماءِ الغمامْ
فَضَلَّ من لَامَ على حُبِّها وضَلَّ من يسْمَعُ فيها المَلامْ
نَعِمْتُ فيها ليلتي كلَّها بأرْشَقِ الخَلْقِ وأحلَى الأنَامْ

التخريج:

المغرب في حلى المغرب:٢/٢٠٦.

المعاني:

دعص: قطعة من رمل.
أشر: تحزز في الأسنان.

(١٢)

النون

من الخفيف

وكتب لابن نوح الغافقي:

يا أبَا الْقاسِم ابْنِ نُوْحٍ بقلبي ... لك وُدٌّ رَطْبُ المكَاسِرِ لَدْنُ
فإذا أعْرَضَ المُحِبُّ فأقْبِلْ ... وإذا ما تنازَحَ الخِلُّ فَادْنُ
لقَدْ احْتَازَتِ المَرِيَّةُ نَدْبَاً ... غَبَطَتْها عليه نَاسٌ ومُدْنُ
مُشْرِفَاً مُشْرِقَاً في كُلِّ فَضْلٍ ... لِيَ مِنْهُ ولسِّيادَةِ خِدْنُ
قُلتُ إذ سامَها إليَّ هِبَاتٍ ... لم يُطِقْ حَمْلها بوازِلُ بُدْنُ
أنا واللهِ في جِوَارِ يزيدٍ ... موردي كَوْثَرٌ وداري عَدْنُ

التخريج:

تحفة القادم:١٧٣، المقتضب: ١٧٦.

المعاني:

رطب المكاسر: لين القياد.
مُدْن:جمع مدينة.
البوازل: جمع بازل وهو البعير الذي استكمل الثامنة.
البُدن: جمع بَدِين.

(١٣)

من الطويل

وكتب لابن عبد ربه الحفيد مع نثر:

أمـا والهـوى العُـذْريّ وهـو يَمِـينُ ... عليـه مـن الطَّـرْفِ الكَحِيـلِ أمـينُ
لقـد خُضْـتُ مِقْدَامـاً حَشَـا كُلِّ فَيْلَـقٍ ... ولَمَّـا تَرُعْـنِي الحَـرْبُ وَهْي زَبُـونُ
وقـد حَـادَ عَـنْ لُقْيَـا كِتَابِـك خَاطِري ... كمـا حَـادَ مَنْخُـوبُ الفُـؤادِ طَعِـينُ
أفي كُلِّ صَـدْرٍ منـك صَـدْرُ كَتِيـةٍ ... وفي كُلِّ حَـرْفٍ غَارَةٌ وكَمِـينُ
عَجِبْـتُ للفْـظٍ منـك ذَابَ نَحَافَـةً ... ومعنـاهُ ضَخْـمٌ مـا أرَدْتَ سَـمينُ
وأعْجَـبُ مـن هذيـن أنَّ بَيَانَـه ... حَيَـاةٌ لأرْبَـابِ الهـوى ومَنُـونُ
زَحَمْـتَ بـه في غُنْجِهـا مُقَـلَ الدُّمى ... وَعَلَّمْـتَ سِـحْرَ النَّفْـثِ كيـف يكونُ

التخريج:

تحفة القادم: ١٣٦، الوافي بالوفيات: ١٦٧/٣.

الروايات:

في الوافي: **عجيب** بدلاً عن **عجبت**.

(١٤)

الهاء

من الوافر

رأوا مِمَّـنْ يُحِبُّهـمُ نُحـولا ... فعابـوه بجَهْلِهِـمُ عَلَيْـهِ
وأمْـضَى ما يكـونُ السَّـيفُ قَطْعَاً ... إذا أخَـذَ الضَّنَـا مـن شَـفْرَتَيْهِ

التخريج:

تحفة القادم: ١٨٠، البدر السافر: ١١١٩/٢.

المراجع والمصادر

١. ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر،عبد العزيز الأهواني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١،١٩٦٢
٢. الأعلام،للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢
٣. البدر السافر عن أنس المسافر، للأدفوي، تح:قاسم السامرائي وطارق طاطمي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ط ١،٢٠١٥
٤. تحفة القادم،لابن الأبار،تح: إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط١،١٩٨٦
٥. التكملة، لابن الأبار، تح:عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ط١،١٩٩٥
٦. الحلة السيراء، لابن الأبار، تح:حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥
٧. ديوان بشار بن برد، شرح وتكميل: محمد الطاهر بن عاشور، راجعه وصححه: محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦
٨. ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،١٩٨٢
٩. زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لصفوان بن إدريس، اعتنى بنشره عبد القادر محداد،بيروت،١٩٣٩
١٠. شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت،ط ٢، ١٩٩٤
١١. الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩
١٢. صلة الصلة، لابن الزبير،تح:شريف العدوي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط ١،٢٠٠٨
١٣. ضرائر الشعر،للقزاز القيرواني، تح:محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، منشأة المعارف، الإسكندرية، طبعة ١٩٩٤.
١٤. ضرائر الشعر، لابن عصفور الإشبيلي، تح:السيد إبراهيم، دار الأندلس، ط١، ١٩٨٠
١٥. عقود الجمان على وفيات الأعيان(**مخطوط**)، للزركشي، تركيا، مكتبة الفاتح، السليمانية، رقم ٤٤٣٤.
١٦. فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، تح:إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
١٧. في الشعر العباسي»الرؤية والفن»،عز الدين إسماعيل،المكتبة الأكاديمية،القاهرة،ط ١، ١٩٩١
١٨. قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، لابن الشعار الموصلي، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥
١٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،لابن الأثير، تح:كامل عويضة، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ١، ١٩٩٨
٢٠. معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.ط
٢١. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، للبكري الأندلسي، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت.ط
٢٢. المغرب في حلى المغرب،لابن سعيد الأندلسي،تح:شوقي ضيف،دار المعارف، القاهرة، ط ٤
٢٣. المقتضب من تحفة القادم، لابن الأبار،اختيار وتقييد البلفيقي، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٩
٢٤. من أسرار الجمل الاستئنافية، أيمن عبد الرزاق، مطبعة الغوثاني، دمشق، ط ١، ٢٠٠٩
٢٥. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تح:د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.ط
٢٦. نقد الشعر،لقدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٨
٢٧. الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م
٢٨. المجلات:
٢٩. آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، العدد ٩٢، ديسمبر ٢٠١٥
٣٠. آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، العدد ١١٣، مارس ٢٠٢١

غلاف مخطوط: عقود الجمان على وفيات الأعيان للزركشي

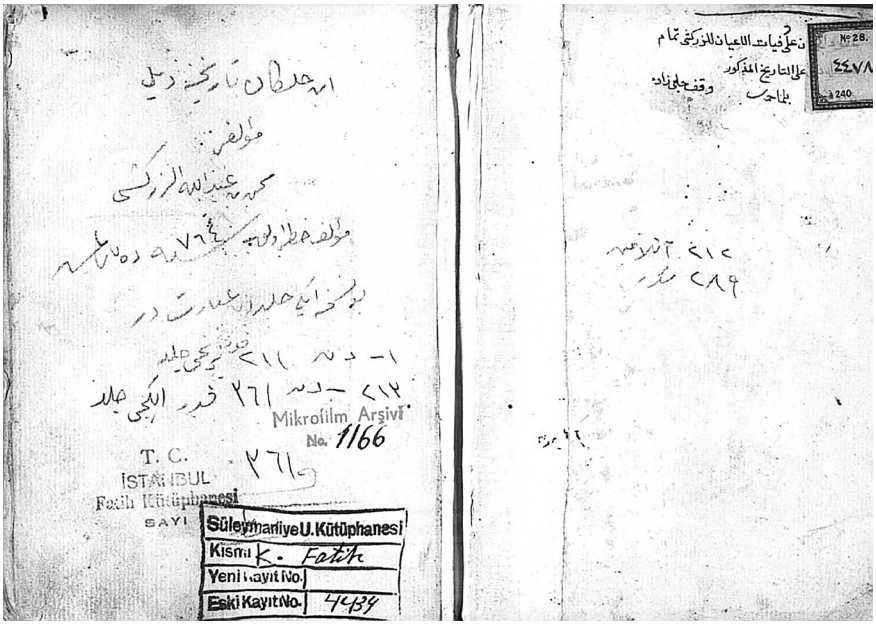

ترجمة وأشعار ابن صقلاب بمخطوط عقود الجمان: اللوحة: ٣٤٨

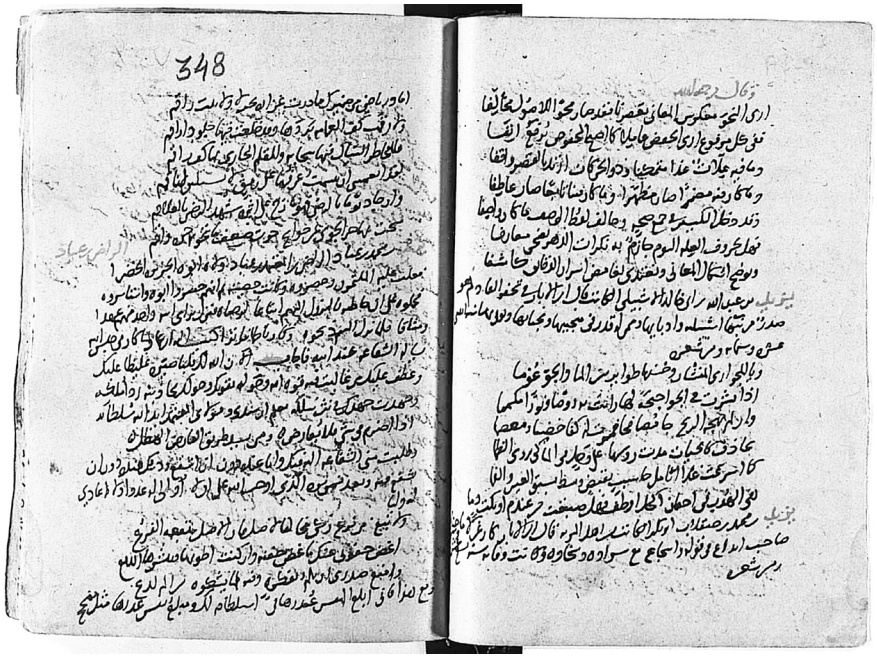

سورة الكوثر
دراسة أسلوبية

إعداد:
د. محمد أحمد عبد العاطي عبد الباقي
أستاذ علم اللغة المشارك بكلية التربية. قسم اللغة العربية.
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم. ولاية الجزيرة (ودمدني).

مستخلص

عندما يتعلق الأمر بالقرآن الكريم وخاصة المفردة منه، وهي التي تمثل اللبنة الأولى في نظمه ورصفه، يحتاج الأمر إلى إدراك أوسع يضم كل ما من شأنه أن يوضح أو يبين أثر تلك المفردة في النظم والدلالة معاً دون سواهما. وتعد الأسلوبية واحدة من الطرق المهمة في كشف تلك الظاهرة لما تتمتع به من عدم تجزئة النص. فتدرُس المستوى الصوتي بكل مكوناته، والمستوى المورفيمي بوصفه معنياً بأصغر وحدة

Abstract

The word in the Holy Qur'an، represents the first building block in its arrangement and alignment، the matter needs a broader understanding that includes everything that would clarify or show the effect of that word on the system and the semantics together without the other. Stylistics is one of the important ways to reveal this phenomenon due to its lack of fragmentation of the text. Stylistics study the phonetic level with all its components، the morphemic level as concerned with the smallest unit carrying meaning، and the structural level، the semantic level،

تحمل معنى، والمستوى التركيبي، فالمستوى الدلالي الذي هو محصلة الدرس اللساني قديماً وحديثاً. فجاء هذا البحث بهدف الكشف عن قيمة التحليل الأسلوبي، ثم توضيح مكانته في فهم **سورة الكوثر**، متبعاً المنهج الوصفي التحليلي والذي توصلت من خلاله إلى نتائج وتوصيات من أهمها: أن المقاطع الصوتية في مجملها بلغت ثمانية وعشرين مقطعاً صوتياً بين قصير، ومتوسط، وطويل، ومفتوح، ومغلق، مع غياب المقطعين الطويلين لعدم مناسبتهما للسياق الاجتماعي والنفسي للسورة، وأن السمات المتغيرة التي تعد تاج الأسلوبية قد ظهرت في اختيار مفردات (أعطى، الكوثر، الأبتر) دون غيرها من مفردات تشاركها في الدلالة العامة، كما أن السورة الكريمة ضمت أكثر المقاطع الصوتية شيوعا في اللغة العربية وأسهلها في النطق. وكان لهذا تأثير واضح في سهولة نطق الكلمات وسلاسة الأسلوب وتميزه، وأوصى الباحث بدراسة السياق الاجتماعي والنفسي للسورة الكريمة بصفة أدق.

which is the outcome of the linguistic. This research aims of reveal the value of stylistic analysis، and then clarifying its place in understanding (Surat); chapter Al-Kawthar. The researcher adopted the descriptive analytical method. The research concluded to results and recommendations، the most important of which Were: That the syllables in total amounted to twenty-eight between short، medium، long، and open And closed، with the absence of the two long syllables because they are not suitable for the social and psychological context of the (surah)، and that the changing features that are the prominent stylistics - have appeared in the selection of vocabulary (‘aetaa، alkawthar، al’abtar)، without other vocabulary shared in the general significance، and this surah included most of the syllables common in the Arabic language and the easiest to pronounce. This had a clear impact on the ease of pronunciation of words and the smoothness and distinction of style. The researcher recommended studying the social and psychological context of this surah more precisely.

١. المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأنبيائه سيدنا محمد وآله وسلم وبعد:

فقد اتجه الدرس اللساني الحديث اتجاهات أكثر عمقاً لمعرفة مراد المتكلم ومقصوده، بفضل علوم لغوية وغير لغوية ساعدت في الكشف عن معرفة دلالات الرسائل اللغوية، وإزالة الغبش والغموض أو التشويش الدلالي الذي يعتري بعض مضامينها أحياناً، وذلك عبر أدوات تحليلية مختلفة تيسر وتسهل عملية تحليل النصوص اللغوية والأدبية عامة، والنصوص الإلهية المقدسة خاصة.

ومن هنا جاء هذا البحث ليكشف عن واحدة من طرق التحليل اللغوي وهي (الأسلوبية) التي نقف من خلالها على السمات المتغيرة التي تُمَكِّن المتكلم بقسط وافر من الحرية في اختياره للمفردة من بين أخريات يشاركنها الدلالة العامة. وهو أمر امتاز به النص القرآني عامة، و**سورة الكوثر** خاصة.

وذلك بعد الوقوف على المستوى الصوتي والمقاطع المكونة له، والطاقة التعبيرية لصفات حروف السورة وفواصلها، ثم التحليل المورفيمي الذي أبرزنا من خلاله دور المورفيم في رسم إعجاز تلك السورة، ثم المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي الذي وضح من خلاله مكانة السياق بشقيه الداخلي والخارجي في ترجيح معنى **الكوثر** أصفة هي أم عَلَم؟.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن جميع النصوص اللغوية تعدُّ كائنات حية لا تقبل التجزئة من الناحية المنطقية، والدراسة الأسلوبية هي التي تستخرج المراد من النص عبر تحليل جميع المستويات اللغوية وليس بعضا منها.

أسئلة البحث:

١. ما السمات المتغيرة أسلوبيا في سورة الكوثر؟
٢. هل الأسلوبية كانت خادمة لأهداف سورة الكوثر ؟
٣. هل الكوثر نهر في الجنة (علَم) أم صفة للخير؟
٤. ما الأسلوبية؟.
٥. ما قيمة التحليل الأسلوبي؟.

الأهداف:

يهدف البحث إلى التالي:

١. الكشف عن قيمة التحليل الأسلوبي.
٢. توضيح أثر التحليل الأسلوبي في فهم سورة الكوثر.
٣. لفت الانتباه إلى الإفادة من الدراسات اللغوية الحديثة لتيسير فهم القرآن الكريم.

الأهمية:

للبحث أهمية نابعة من كونه يكشف عن دلالات النصوص القرآنية من خلال المدارس اللسانية الحديثة، للإفادة منها في فهمه عبر التحليل الأسلوبي الذي تبرز من خلاله المباينة في حرية الانتقاء من المفردات، والجمل والنصوص من متكلم إلى آخر، مما يجعل القرآن الكريم معجزاً في أقصر سوره وآيه وهي (سورة الكوثر)؛ لأنه من متكلم لا يزال قائلاً عليماً سبحانه.

أسباب اختيار الموضوع:

قد اخترت سورة الكوثر؛ لأن أفكار علم اللغة الحديث تستخدم للكشف عن السمات الأسلوبية أو الخصائص الشكلية التي تميز عملا دون آخر وقد لاحظت وجود تلك السمات والمتغيرات الأسلوبية في الطريقة التي طرحت بها مضامين سورة الكوثر وأن السياق بشقيه أضاف إليها بعداً دلالياً آخر تمثل في أن لفظة الكوثر هي الخير الكثير وليست فقط نهر في الجنة كما هو المشهور عند الناس.

المنهج:

اتبعت المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة تليها قائمة بأهم المصادر والمراجع.

٢. المحور الأول: أسماء سورة الكوثر وعدد آياتها وسياقها

١/٢:

أ. أسماؤها وعدد آياتها:

تذكر المصادر أن لسورة الكوثر أكثر من اسم فيقول البقاعي: «وتسمى النحر، مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون، واسمها الكوثر واضح في ذلك وكذا النحر؛ لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب»(١).

ويقول ابن عاشور: «سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ الَّتِي رَأَيْنَاهَا وَفِي جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ أَيْضًا «سُورَةَ الْكَوْثَرِ» وَكَذَلِكَ عَنْوَنَهَا التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «جَامِعِهِ»، وَعَنْوَنَهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» سُورَةَ: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(٢) وَلَمْ يَعُدَّهَا فِي «الْإِتْقَانِ» مَعَ السُّوَرِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنِ اسْمٍ، وَنَقَلَ سَعْدُ اللهِ الشَّهِيرُ بِسَعْدِيٍّ فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ» عَنِ الْبِقَاعِيِّ أَنَّهَا تُسَمى «سورة النحر».

ب. عدد آياتها:

تعد آيات سورة الكوثر من أقصر آي القرآن الكريم كلمات وأحرفاً؛ إذ تتكون من ثلاث آيات باتفاق يقول الإمام الداني: «وَهِي ثَلَاث آيَات فِي جَمِيع الْعدَد لَيْسَ فِيهَا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.٢٢ /٢٨٧.

(٢) صحيح البخاري باب (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ١٧٦/٦.

الخْتِلَاف»[1] ويقول الألوسي: «وآيها ثلاث بلا خلاف»[2] ويقول ابن عاشور: «وَعَدَدُ آيِهَا ثَلَاثٌ بِالِاتِّفَاقِ»[3].

٢/٢ سياقها وأغراضها:

جاء في سبب نزولها عنِ ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنها: «نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَدْخُلُ، فَالْتَقَيَا عِنْدَ بَابِ بَنِي سَهْمٍ وَتَحَدَّثَا وَأُنَاسٌ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فِي الْمَسْجِدِ جُلُوسٌ، فَلَمَّا دَخَلَ الْعَاصُ قَالُوا لَهُ: مَنِ الَّذِي كُنْتَ تُحَدِّثُ؟ قَالَ: ذَاكَ الْأَبْتَرُ، يعني النبيّ صلوات الله وسلامه عليه، وَكَانَ قَدْ تُوُفِّيَ قَبْلَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ مِنْ خَدِيجَةَ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ مَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ: أَبْتَرَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذه السورة»[4]. ويقول سيد قطب: «ومن ثم نزلت هذه السورة تمسح على قلبه -صلى الله عليه وسلم- بالرّوح والندى، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربه وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه»[5]. فالسياق الخارجي هنا يبين أن للسورة أغراضاً تتمثل فيما يلي:

- فيها بِشَارَة للرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- كما أمر فيها عليه الصلاة والسلام بأنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ بِالْإِقْبَالِ عَلَى عِبَادَةِ ربه سبحانه.

(١) البيان في عدّ آي القرآن،عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني،تحقيق: غانم قدوري الحمد،الناشر: مركز المخطوطات والتراث الكويت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ٢٩٢/١.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي،تحقيق: علي عبد الباري عطية،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ،الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ ٤٧٨/٥.

(٣) التحرير والتنوير،تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ ٥٧١/٣٠.

(٤) أسباب النزول،أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان،الناشر: دار الإصلاح، الدمام،الطبعة: ٢، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م ١/ ٤٦٦.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة.٩٨٨٧/٦.

- أَنَّ شكره صلى الله عليه وسلم لله تعالى وعبادته له هي الْكَمَالُ الحقيقي، لَا مَا يَتَطَاوَلُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ من ثَّرْوَة وَنِّعْمَة وَهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِأَنَّهُمْ أَبْغَضُوا رَسُولَهُ، وَغَضَبُ اللهِ بَتْرٌ لَهُمْ إِذَا كَانُوا بِمَحَلِّ السُّخْطِ مِنَ اللهِ.
- إِنَّ انْقِطَاعَ الْوَلَد الذّكر لَيْسَ بَتْرًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا أَثَرَ لَهُ فِي كَمَال الْإِنْسَان[1].

٣. المحور الثاني: الأسلوبية مفهومها وأهميتها:

٣/١ الأسلوب لغة واصطلاحاً:

جاء في **معجم مقاييس اللغة**: «السِّينُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَخْذُ الشَّيْءِ بِخِفَّةٍ وَاخْتِطَافٍ»[2] وفي **أساس البلاغة** «والتسليب عام، وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة»[3] وفي **مختار الصحاح** (الأسلوب) الفن[4]. وفي **لسان العرب** «ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب، بالضم: الفن؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه»[5]. وفي **المصباح المنير** «الْأُسْلُوبُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ الطَّرِيقُ وَالْفَنُّ وَهُوَ عَلَى أُسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ الْقَوْمِ أَيْ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِهِمْ»[6] وفي **معجم اللغة العربية المعاصرة** هو «طريقة، مذهب، نمط: سلكت أسلوب فلان في معالجة المشكلة- لكلّ إنسان أسلوب في الحياة - أسلوب حُكم: شكله ونظامه-أسلوب سلبيّ: تصرف سلبيّ- الأساليب الحديثة للتَّربية: المناهج، والطُّرق العلميَّة، طريقة في الكتابة «لكلّ أديب أسلوبُه- يُغَيّر أسلوبه» أساليب القول: فنونه المتنوِّعة- أسلوب العصر: السِّمة

(١) التحرير٣٠/٥٧١.
(٢) معجم مقايس اللغة لابن فارس مادة(سلب).
(٣) أساس البلاغة للزمخشري مادة(سلب).
(٤) مختار الصحاح مادة(سلب).
(٥) لسان العرب مادة(سلب).
(٦) المصباح المنير مادة (سلب).

الغالبة على العصر وتستخلص من كلّ مقدِّماته في الدِّين والفنّ والفلسفة والعلوم- أسلوب رشيق: أنيق- أسلوب سخيف: ركيك- ركاكة الأسلوب: ضعفه. وسيلة، طريقة الوصول إلى المطلوب»[١]. أما القواميس الأوروبية فتورد ما لا يقل عن عشرين تعريفاً لمصطلح الأسلوبية[٢].

وأما في الاصطلاح فقد تعددت تعاريفه نظراً لتشعب أفكار مدارسه ومناهجها، من شرقية وغربية، ولغوية وأدبية، نقدية ونفسية وغيرها، كل حسب منطلقاته الفلسفية، فإن تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً بلغة الأصوليين «ضرب من الاستحالة في العصر الحديث وهو أمر طبيعي في عصر مليء بالتباين والاختلاف في أصول الثقافة، والتفرع والتشعب في أصل الثقافة الواحدة، وقد يكون ذلك عقبة في الطريق حين نجد بعض الباحثين يقدمون لكتبهم ببحث في غموض المصطلح»[٣].

وسنختار من تلك التعريفات ما يلي: يعرِّف اللسانيون الأسلوبية بأنها عبارة عن «دراسة للتعبير اللساني» وبذلك يكونون قد عزلوه عن بقية النظم الإشارية التي تطلع هي الأخرى بالتعبير بواسطة أدوات غير لسانية[٤]. كالإشارة بالوجه وهز الرأس وحركة العين وغيرها من حركات الجسم.

ويعرفها سعد مصلوح بأنها «اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة، بغرض التعبير عن موقف معين ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخري بديلة، ومجموع الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به من غيره من المنشئين»[٥]. والأسلوب أيضا «هو العلاقة القائمة بين معدلات التكرار للعناصر الصوتية والنحوية والمعجمية، ومعدلات تكرار نفس هذه العناصر في قاعدة متصلة به من ناحية السياق»[٦].

(١) علم الأسلوب، مفاهيم وتطبيقات، د.محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من أبريل ص٥٦.
(٢) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، فضل ص٣٥.
(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة مادة(سلب).
(٤) الأسلوبية والأسلوب،بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي،مركز الإنماء القومي بيروت،د،ت، ص٦
(٥) الأسلوب دراسة لغوية إحصائية،د، سعد مصلوح،ط٣، ١٩٩٢م عالم الكتب ص ٣٨.
(٦) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته،صلاح فضل ص ٢٤٢.

يتضح من تلك التعاريف أن السمات اللغوية فيها الثابت، ويمثله النظام الأساس للُّغة مثل: تركيب الجملة الاسمية والفعلية، والمضاف والمضاف إليه، والصفة والموصوف الخ، وفيها المتغير وهو ما يمكن للمتكلم أن يتعامل معه بقسط أوفر من حرية الانتقاء، وأن هذا يمثل نقطة اهتمام الأسلوبي، وهي نقطة تعد بمنزلة الأرضية التي ينطلق منها اختلاف الأساليب(١).

٣/٢ الأهمية والوظيفة:

للأسلوبية أهمية ووظيفة تتمثل في أنها «لا تُعنى بالسمات المتفرقة التي تميز النص الأدبي، وإنما تُعنى من حيث تشكيلها للكل الشايك الذي يلم كل تلك السمات في وشاج موحد بما يمكن تسميته (كيفية التعبير)»(٢). ومن وظائفها أنها تعنى «بطول الجملة أو قصرها، وغلبة الأفعال فيها أو الأسماء، واستخدام الحروف بطرائق معينة ووفرتها أو ندرتها، وتحليل الأصوات اللافتة للانتباه، ودراسة الأوزان ودلالتها، وغير ذلك من ملامح وخصائص النص، كله مجال بحث الأسلوبية»(٣). كما تعنى بالسمات المتغيرة والتي تتمثل فيما يمكن للمتكلم أن يتعامل معه بقسط أوفر من الحرية، وذلك مثل المفردات، حيث يستطيع المتكلم اختيار مفردة من مجموع مفردات ذات دلالات عامة مشتركة وتعد هذه الميزة هي الأساس الذي تتشكل منه مختلف الأساليب(٤).

وبناءً على أهمية ووظيفة الأسلوبية يمكننا القول بأن تحليل النصوص بهذه الطريقة يعني أن اللغة كائن حي لا يقبل التجزئة منطقياً من جهة، ومن جهة أخرى فإن انتقاء أو اختيار مفردة من متعدد هو أسلوبية القرآن الكريم التي تفرد بها، يقول الرافعي(عليه رحمة الله): «فإن الخاصية في فصاحة هذه اللغة ليست في ألفاظها ولكن في تركيب ألفاظها، كما أن الهزة والطرب ليست في النغمات ولكن في وجوه تأليفها، وهذا هو الفن كل الفن في الأسلوب»(٥).

(١) علم الأسلوب، مفاهيم وتطبيقات، د.محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من أبريل ص ٦٩.

(٢) الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، د.عدنان حسن بن قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ٢٠٠١م، ص١٠٧

(٣) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان، دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٨م ص٤٣.

(٤) علم الأسلوب الكواز ص٦٩.

(٥) تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي؛ دار الكتاب العربي بيروت،٢٠٠١م ص١٩.

٤. المحور الثالث: مستويات التحليل الأسلوبي في سورة الكوثر (تطبيق)

إن المقصود بالتحليل «هو منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه، وردّ الشيء إلى عناصره المكونة له»[١]. ولا بد عند التحليل الأسلوبي من استحضار ثلاثة عناصر ومكونات أساسية تتمثل في الآتي:

١. العنصر اللغوي إذ يعالج التحليل نصوصاً قامت اللغة بوضع رموزها.
٢. العنصر النفعي الذي يؤدي إلي إدخال عناصر غير لغوية في عملية التحليل، كقائل النص ومتلقيه، أو السياق الخارجي بصفة عامة.
٣. العنصر الجمالي الذي يكشف عن تأثير النص في القارئ[٢].

١/٤: المستوي الصوتي:

هذا المستوى من التحليل تتناوله الأسلوبية الصوتية بوصفه هو «علم يدرس الوظيفة التعبيرية للأصوات» [٣] فالمادة الصوتية كما يري (بالي) «تكمن فيها إمكانات تعبيرية هائلة، فالأصوات وتوافقاتها، وألعاب النغم والإيقاع، والكثافة، والاستمرار، والفواصل الصامتة كل هذا يتضمن بمادته طاقة تعبيرية فذة»[٤] ونرمز للصوت الصامت ب(ص) وللصوت الصائت ب (ح) وكل مقطع انتهى بصامت فهو مغلق، وأما إذا انتهى بصائت فهو مفتوح، وأما من حيث الطول والقصر، فكل مقطع تكوَّن من صامت وصائت فهو القصير، وأما ما تكوَّن من صامت وصائت ثم صامت فهو المتوسط، وأما الطويل فهو ما سواهما وهو نوع خلت منه سورة الكوثر. وإليك شكل المقاطع الصوتية في السورة الكريمة عينة البحث.

١. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾

إن	نا	أع	طي	نا	ك
ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص
متوسط مغلق	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	متوسط مغلق

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،وهبة مجدي ص٩٠٩٨.
(٢) الأسلوبية، الكواز ص١١٥.
(٣) معجم علم الأصوات،محمد على الخولي،ص١١٢.
(٤) الأسلوب أدواته ومناهجه فضل ص ٢٧.

ٱلْكَوْثَرَ

ال	كو	ثر
ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص
متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق

٢. قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾

ف	صل	ل	ل	رب	ب	ك	ون	حر
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص
قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق

٣. قال تعالي: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾

إن	ن	شا	ن	ئ	ك	ه	ول	أب	تر
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص
متوسط مقلق	قصير مفتوح	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق

من خلال التحليل الصوتي المقطعي يتضح الآتي:

تألفت أبنية السورة الكريمة وتراكيبها من ثلاثة مقاطع وردت بنسب متفاوتة:

فقد ورد المقطع القصير المفتوح (ص ح) عشر مرات.

وورد المقطع المتوسط المغلق(ص ح ص) خمس عشرة مرة.

كما ورد المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) ثلاث مرات.

وامتازت السورة الكريمة بالوضوح السمعي من بدايتها إلى نهايتها، فكان لكل آية منها ما يناسب مضمونها من المقاطع والأصوات؛ إذ تحقق الوضوح السمعي في الآية الأولى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ من خلال المقطعين المتوسطين المفتوحين اللذين ناسبا عظمة الخالق والمعطى دون قصور أو حصر، وكذلك الهمزة تعد من بعض الأصوات التي تتمتع بدرجة عالية من الوضوح السمعي، من بينها صوت الهمزة الذي افتتحت به السورة، وصوت الراء الذي اختتمت به الفاصلة في السورة الكريمة، كما

أن دلالة الكوثر المعجمية تدور بين الكثرة من كل شيء ونماء العدد وازدياده[1]. وأما دلالتها في الآية فهي الكثرة من كل خير، وأصوات الكلمة دالة على ذلك فالكاف والواو وما فيهما من صفات القوة تقابلان أول الحدث وهو كثرة الخير، وصفة الرخاوة في الثاء تقابل سهولة هذا الخير وانسيابه كما تفيد صفة الجهر وتكرارها في حرف الراء تكرار العطاء غير المحدود.

كما جاءت المقاطع المتوسطة المغلقة سبع مرات لتدل على السرعة والحيوية لقصر مدتها الزمنية دون المفتوحة وذلك تماشيا مع كثرة العطاء الممنوح للنبي صلى الله عليه وسلم وسرعته وعدم محدوديته يقول الزمخشري واصفا إياه: «وتأمل كيف أن من أسند اليه إسداء هذه العطية إيتاء هذه الموهبة السنية هو ملك السموات والأرض، ومالك البسط والقبض وكيف وسَّع العطية وكثرها، وأسبغها ووفرها... وقد علم أنه إذا كان المعطِي كبيراً كان العطاء كثيرا فيا لها من نعمة مدلول على كمالها مشهود بجلالها»[2].

والآية الثانية ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ فقد تحقق وضوحها السمعي من خلال صيغة الأمر الذي ناسب أن يمثلها المقطع القصير المغلق والمفتوح وبعض أصوات الهمس واللين والشدة.

والآية الثالثة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ (شانئك) تدل مادتها على البغض[3] فالمقطع المتوسط المفتوح (شا) ناسب قوة الشانئ وحقده،كما أن صفة الشين من تفش وانتشار مع الألف التي بعدها وهي تعد امتداداً في الصفة يقابلان قوة الحقد،والنون بجهرها وقوتها وبعدها الهمزة وهي مثيلتها في القوة تقابلان تمكن الحقد واكتماله،والكاف بصفتها الشديدة تقابل عمق الحقد وقوته وتسلطه من الشانئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم[4]. الأبتر: وتدور مادتها حول استئصال الشيء قطعاً[5]

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (كثر) وتهذيب اللغة للأزهري مادة (كثر).

(٢) إعجاز سورة الكوثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، للزمخشري تحقيق حامد الخفاف، دار البلاغة،ط١، ١٤١١ه ١٩٩١م. ص ٥٧

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة(شنأ).

(٤) الإعجاز الصوتي في جزء عم، د، أناهيد عبد الحميد جمال الحريري، مكتبة الرشد،ط١، ٢٠٠٦م ص٢٦٣.

(٥) لسان العرب، مادة (بتر)وتهذيب اللغة للأزهري، مادة (بتر).

وناسب ذلك ثلاثة مقاطع متوسطة مغلقة دلت على التأكيد والسرعة، كما أن الهمزة والباء والتاء جميعها أصوات شديدة مغلقة انفجارية تناسب قوة البتر والقطع،كما أن صفة التكرار في حرف الراء تتناسب مع استمرار قطع هذا الشانئ فهو المنسي في الدنيا والآخرة، وإن ذُكِر ذُكِر باللعن[1]. علاوة على أن (الأبتر) مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة مغلقة تركت فيه ما عساه أن يكون أثراً نفسياً جال بخاطر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت البشارة لتمحو هذا الخاطر بثلاثة مقاطع قصيرة مغلقة أيضاً (الكوثر) فقوبل الأبتر بالكوثر[2].

علاوة على أن سورة الكوثر نزلت في سياقها الاجتماعي مع عدد من قصار السور في فترة انقطاع الوحي فجاءت مقاطعها متوسطة مغلقة وقصيرة مغلقة» مراعاة لمحنته صلى الله عليه وسلم واستمرارا للتواصل بينه وبين الوحي في لقاءات قصيرة وسريعة»[3] فتكون أصوات مقاطع السورة بهذا الشكل جاءت خادمة للهدف.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن السمات المتغيرة التي تعد تاج الأسلوبية قد ظهرت في اختيار المفردتين (الكوثر والأبتر) دون غيرهما من مفردات تشاركهما في الدلالة العامة، كما يلاحظ أن السورة الكريمة ضمت أكثر المقاطع الصوتية شيوعاً في اللغة العربية وأسهلها في النطق، وكان لهذا تأثير واضح في سهولة نطق الكلمات وسلاسة الأسلوب وتمييزه.

أما الفاصلة في السورة الكريمة فكانت بمنزلة معالم واضحة للوقف والابتداء لها أثر بارز في إحداث الانسجام الصوتي بين آيات السورة الكريمة بصفة خاصة والنص بصورة عامة فقد اتفقت جميعها في الأنماط الصوتية للكلام، إضافة إلى ذلك أنها وقعت في كل آية من آياتها جزءاً من تركيبها مكملاً لبنيتها فلا يتصور تمام معناها بدونها وهذا من أدق صور الإيجاز في السورة الكريمة.

(١) الكشاف للزمخشري،٤/٨٠٦.

(٢) التحرير والتنوير٣٠/ ٥٧١.

(٣) القسم في القراءن الكريم، دراسة في العناصر التركيبية والسياقية، سيد محمد عبدالعاطي، عالم الكتب ط١، ٢٠١٤م.

وبناءً على هذا التحليل يمكن القول بأن تنوع المقاطع الصوتية وتباعد الأصوات مخرجاً في السورة الكريمة كان له أثر بارز في سهولة النطق والوضوح السمعي،وهذا بدوره يسهم في شد انتباه المتلقي ويقوده إلى استماع الآيات وفهم معانيها ودلالاتها وتدبرها لاستخلاص ما فيها من فوائد وعبر.

٢/٤: المستوى الصرفي (المورفيمي) في السورة الكريمة

١. قال تعالي: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾.

إنا: إن: مورفيم سابق مقيد ناصب أفاد التوكيد.

نا: مورفيم مقيد لاحق ضميري أفاد التعظيم والتبجيل والاختصاص.

أعطيناك: أعطي:(عط و)مورفيم جذري توليدي خام اشتقاقي[١] والهمزة مورفيم مقيد سابق أفاد التعدية، وأعطاه الشيء وهبه إياه[٢].

نا: مورفيم مقيد داخل ضميري أفاد التعظيم،وأشارإلى الفاعل(المعطِى).

ك: مورفيم مقيد لاحق أفاد المفعولية والاختصاص (المعطَى).

ويمكن هنا أن نورد الملاحظات الآتية:

أولاً: أن المورفيم الداخل(نا) مبتدأ،وهو قد حول الجملة إلي اسمية لتدل على الثبوت والدوام والاختصاص معاً، فالعطاء هنا ملء العين والخاطر، يقول الزمخشري: «حيث بنى الفعل على المبتدأ فدل على الخصوصية وجمع ضمير المتكلم فأذن بعظم الربوبية»[٣] لذا فقوله تعالى: «إنا أعطيناك» فيه استشعار بعظمة الله تعالى واستشعار بعظمة عطائه وقد علم أنه إذا كان المعطِي كبيراً كان العطاء كثيرا فيا لها من نعمة مدلول على كمالها مشهود بجلالها[٤].

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، مكتبة عالم الكتب، القاهرة ط٢٠٠٨،١م، مادة (ع ط و).
(٢) نفسه،٢/١٥١٧.
(٣) إعجاز سورة الكوثر، للزمخشري، ص ٥٧
(٤) نفسه ص ٥٦.

ثانياً: أن المورفيمات المكونة لمادة (أعطيناك) أشارت إلى الحدث (العطاء) وجعلت الفعل بصيغة الماضي لتحقق وقوعه وأن المتوقع من عطاء الكريم في حكم الواقع الآني وليس المستقبل.كما أفاد مورفيم الكاف أن هذا العطاء خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره.

الكوثر: ال: مورفيم مقيد تعريفي سابق. كوثر: مورفيم جذري توليدي خام على وزن فوعل أفاد الكثرة.

ويمكن هنا إيراد ملاحظتين:

أولاهما: أن المورفيم التعريفي السابق (ال) أفاد أن الصفة شاملة وأن العطاء كامل[١] فا لكوثر صفة تعني «الخير الكثير في الدنيا والآخرة»[٢].

والأخرى: أن المورفيم المقيد الإلحاقي (الواو) أفاد المبالغة في الكثرة مثل النوفل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد،أو القدر،أو الخطر كوثراً[٣] يقول سيد قطب رحمه الله» فإذا أراد أحد أن يتتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه فهو واجده حيثما نظر أو تصور»[٤] ويقول: «إنه الكوثر، الذي لا نهاية لفيضه، ولا إحصاء لعوارفه، ولا حد لمدلوله، ومن ثم تركه النص بلا تحديد، يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد»[٥].

٢. قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾.

ف: مورفيم مقيد سابق عاطف أفاد التعقيب.

صل: ص ل و: مورفيم جذري توليدي خام.

---

(١) إعجاز سورة الكوثر، ص ٥٧.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ص مادة (ك ث ر).

(٣) فتح القدير،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط٤، ١٤٢٤ه ٢٠٠٧م، ٦٥٩/١.

(٤) الظلال ٩٣٨٧/٦.

(٥) نفسه،٩٣٨٧/٦.

لربك: ل: مورفيم مقيد سابق جار له دلالته في الآية الكريمة إذ يفيد الاختصاص والاستحقاق أي استحقاق العبادة لله وحده واختصاصه بها دون غيره.

رب: ر ب ب: مورفيم اشتقاقي جذري توليدي خام.

ك: مورفيم مقيد إلحاقي له دلالته في سياق الآية الكريمة إذِ الإضافة فيها اختصاص وتشريف للرسول صلى الله عليه وسلم.

وانحر: الواو: مورفيم مقيد سابق عاطف.

انحر: ن ح ر: مورفيم اشتقاقي جذري توليدي خام.

أنت: مورفيم حر لاحق صفري.

له: مورفيم حر لاحق صفري.

فالمورفيم الصفري (الصيغة العدمية) «لها تأثير عميق في المعنى يتجاوز مبدأ (توفير الطاقة) فحذفُ ما شأنه الذكر يبرز المذكور، إلى جانب الاستغناء عن العلاقات النحوية العادية التي لا تحتاج إلى إظهار، وربما حسن تركها لفطنة المخاطب»[1].

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

إن: مورفيم مقيد سابق توكيدي.

شانئك: شانئ: مورفيم حر جذري توليدي خام،والألف مورفيم مقيد داخل أفاد معنىً؛ إذ نقل الفعل(شنأ) إلى الاسمية فأفاد اسم الفاعل.

ك: مورفيم مقيد ضميري لاحق أفاد التخصيص.

هو: مورفيم سابق حر ضميري أفاد الإفراد، والتذكير، والغيبة.

الأبتر: **ال**: مورفيم مقيد تعريفي سابق، أفاد الشمول فهو ينطبق على كل شانئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام.

ب ت ر: مورفيم حر جذري توليدي خام.

(١) الأسلوبية، الكواز ص ٥٢.

٤/٣: المستوي التركيبي

جاء أسلوب التركيب في الآية الأولى على صورة التوكيد وفي الثانية على أسلوب الشرط الذي قد حذفت جملة الشرط فيه، وبقيت جملة الجواب على صورة أسلوب أمر إنشائي، وختمت بالتوكيد، فقد جاءت الآية الأولى على نمط الجملة التركيبية الفعلية، مؤكدة بـ (إن) واسمها ضمير العظمة (نا) وخبرها جملة فعلية مكونة من فعل وفاعل ومفعول، وقد أفاد التركيب تأكيد العطاء وهو الكوثر وأن فاعل العطاء هو الله فلا يمكن لعقل أن يتصور سعته ومقداره؛ لأنه من الله وهذا يكفي. كما أفاد (ك) أنه عطاء مخصوص لرسول الله صلي الله وسلم لا يشاركه فيه أحد من الخلق، كما أنه غير معلل بوصف أو علة، يقول الرازي قال تعالى: «أَعْطَيْنَاكَ وَلَمْ يَقُلْ أَعْطَيْنَا الرَّسُولَ أَوِ النَّبِيَّ أَوِ الْعَالِمَ أَوِ الْمُطِيعَ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ ذَلِكَ لَأَشْعَرَ أَنَّ تِلْكَ الْعَطِيَّةَ وَقَعَتْ مُعَلَّلَةً بِذَلِكَ الْوَصْفِ، فَلَمَّا قَالَ: أَعْطَيْنَاكَ عُلِمَ أَنَّ تِلْكَ الْعَطِيَّةَ غَيْرُ مُعَلَّلَةٍ بِعِلَّةٍ»[١] كما أن التعبير بالماضي (أعطيناك) دون المضارع - سنعطيك - لأنه وعد محقق الوقوع وأنه أمر عزيز أبداً مرعي الجانب ذو إيحاء بالراحة النفسية الكاملة لهذا العطاء الواقع لرسول الله عليه الصلاة والسلام فهو أشرف ممن سيصير كذلك[٢].

فإذا كانت الجملة التركيبية الفعلية هنا أفادت سعة العطاء الإلهي لرسوله صلى الله عليه وسلم وعدم تصور محدود مع تأكيد اختصاصه به، فإن الجملة الاسمية التركيبية في آخر السورة (إن شانئك هو الأبتر) أيضا جاءت مؤكدة[٣] للبتر بكل أنواعه المتصورة وغير المتصورة، لمن شنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخصوص بكل شانئ له عليه السلام يقول الآ لوسي» إنه سبحانه يبتر شانئ رسول الله صلّى الله عليه وسلم من كل خير فيبتر أهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده، ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته تعالى ومحبته والإيمان برسله عليهم السلام، ويبتر أعماله فلا يستعمله سبحانه في طاعته، ويبتره

(١) مفاتيح الغيب التفسير الكبير،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري،دار إحياء التراث العربي بيروت،ط ٣،١٤٢٠ هـ ٣١١/٣٢

(٢) نفسه ٣١١/٣٢

(٣) التبيان في إعراب القران للعكبري ١٣٠٦/٢

من الأنصار فلا يجد له ناصراً ولا عوناً، ويبتره من جميع القُرَب فلا يذوق لها طعما ولا يجد لها حلاوة وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها وهذا جزاء كل من شنأ ما جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلم لأجل هواه»[1].كما تكون التركيب من ثلاثة أفعال هي:

أ. **أعطى**: وهو خلاف لفظ الإيتاء، فالإعطاء دليل التملك دون الإيتاء، كما أن الإيتاء يحتمل أن يكون واجبا وأن يكون تفضلا،والوجوب والاستحقاق في حقه تعالى مستحيل، بل محض الإرادة والمشيئة، ففعل الإعطاء بالتفضل أشبه وأليق،كما أن الإعطاء يستعمل في القليل والكثير دون الإيتاء، فالعطاء هنا الكوثر وهو قليل جدا لما هو مدخر لرسول الله عليه الصلاة والسلام من الدرجات العالية والمراتب الشريفة.

ب. **فصَلِّ**: دون - واشكر- مع أن الملائم للنعمة الشكر وذلك لسببين هما: أن فعل الصلاة شامل للشكر وزيادة،كما أن التركيب لو جاء بلفظ (الشكر) لأوهم أنه عليه الصلاة والسلام ما كان شاكرا لربه قبل هذا العطاء وهو أمر خلاف الواقع.والفاء تفيد الترتيب فالنحر بعد الصلاة لا قبلها.

ج. **وانحر**: الفعل (نحر) يكون للإبل والنوق، وهي خيار أموال العرب دون الذبح[2]. فهو فعل يمنع استعماله في هذا النوع من النعم.فلا يمكن استبدال ذبح مكان نحر.

٣/٥:المستوى الدلالي:

نكتفي في المستوى الدلالي بالسياق اللغوي بشقيه (الداخلي والخارجي) الذي يؤكد الدلالة الترجيحية لمستويات التحليل التي تقدمت وعلى رأسها أن الكوثر هو صفة، وليس عَلَمًا، وهو الخير الكثير وعليه تدل الآيات التالية:

١. فقد أعطاه الله القرآن الكريم شفاء وهدى للناس قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ الحجر.

(١) روح المعاني، للآلوسي ٤٨٠/١٥

(٢) تفسير الرازي ٣١١/٣٢ وروح المعاني للأولوسي ٨٠/١٥

٢. وفي سورة الضحى قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ الضحى: الآية (٥).

٣. وفي سورة الشرح نعم جليلة من شرح لصدره الكريم، ووضع لوزره، ورفع لذكره وأن بعد كل عسر يسراً،قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾الشرح: الآيات من ٦١.

٤. وفي سورة التين:وصف لبلده ومكان ميلاده مكة المكرمة بالبلد الأمين،وأعطىَ الأجر غير الممنون لكل من عمل صالحاً من أمته صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ التين: الآية (٣).

٥. وَبَعْدَهَا سُورَةُ «اقْرَأْ»، وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ الْقُرْآنُ بِالْإِجْمَاعِ[١] وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ.

٦. وفي سورة القدر أعطاه ليلة خيراً من ألف شهر بركة ويسراً، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ القدر: الآية (٣).

٧. وفي سورة البينة جعل أمته من خير البرايا بل، رضي عنهم ورضوا عنه، منحة وهبة منه سبحانه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ البينة: الآية ٨.

٨. وفي سورة الزلزلة حفظ له أعمال أمته فلم يضيع عليهم حتى مثقال الذرة من الخير، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾الزلزلة: الآية ٧.

٩. وفي سورة العاديات أَكْبَرَ لهم عَمَلَ الْجِهَاد، وَأَقْسَمَ بخيولهم الْعَادِيَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ العاديات: الآية ١.

١٠. وَفِي سورَةِ التَّكَاثُرِ:تربية وتوجيه لشكر النعم وأن شكرها هو سبب زيادة فضله، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ التكاثر: الآية ٨.

١١. وَفِي سُورَةِ الْعَصْرِ: جَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تُؤْمِنُ بِاللهِ وَتَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ، وَتَتَوَاصَى بِالْحَقِّ وَتَدْعُو إِلَيْهِ، وَتَتَوَاصَى بِالصَّبْرِ، وَتَصْبِرُ عَلَيْهِ، قال

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ مـ ١٢٦/٩.

تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ العصر: الآية ٣.

١٢. وَ فِي سُورَةِ قُرَيْشٍ: أَكْرَمَ اللهُ قَوْمَ حبيبه صلى الله عليه وسلم، فَآمَنَهُمْ من الخوف وَأَعْطَاهُمْ رِحْلَتَيْ الشتاء والصيف تجارة ورزقاً حلالاً، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ قريش: الآيتان ٢١.

١٣. وفي سُورَةُ الْمَاعُونِ صفات اختص بها وهي إذا كان الْمُنَافِقُونَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ فقَدْ أَعْطَاه الله الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وإذا قاموا بِدَعِّ الْيَتِيمِ ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴾ الماعون، فقد خاطبه ربه بقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ الضحى ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ الماعون، فَكَانَ هُوَ خَيْرُ مُوَكَّلٍ، وَخَيْرُ كَافِلٍ، كما وُصِفُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وهو الموجه بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ الضحى، فَكَانَ يُؤْثِرُ السَّائِلَ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَم سَاهُونَ عَنْ صَلَاتِهِمْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وهو المبرأ من تلك الخصال فضلاً من ربه وتكرماً عليه الصلاة والسلام.

١٤. وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ الكوثر قوله تعالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ الكوثر، أَدَاءُ الصَّلَاةِ والإخلاص فيها لِرَبِّهِ، وَإِطْعَامُ الْمِسْكِينِ بِنَحْرِ الْهَدْيِ وَالضَّحِيَّةِ وَالصَّدَقَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ[1].

أما السياق غير اللغوي فهو مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ النبوية المطهرة من أقوال حفظها عن رسول الله صلي الله عليه وسلم الثقات الأثبات الضابطون، وأفعال شوهدت بحضرة أصحابه الكرامكلها قطعية الدلالة في الخير والبركة الذين انعقد الإجماع على عدلهم دون أي استثناء رضي الله عنهم أجمعين. يقول الإمام النووي «اتَّفَقَ أَهْلُ الْحَقِّ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِ شَهَادَاتِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ وَكَمَالِ عَدَالَتِهِمْ رَضِيَ الله عنهم أجمعين»[2]. وهكذا تتآزر عناصر النص من لغوية وغير لغوية لبيان أهداف السورة، وأن الكوثر دلالته أوسع من كونه نهراً في الجنة فقط، وهذا ما قصدنا إبرازه.

(١) ينظر أضواء البيان للشنقيطي ١٢٧/٩ومابعدها.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: ٢، ١٣٩٢، ١١٩/١٥.

٦. الخاتمة

لله الحمد ختما وبدءا على إكمال هذا البحث المتعلق بالدراسة الأسلوبية في سورة الكوثر بعد رحلة علمية شاقة وعسيرة إلا أنها مثمرة، وقد توصلت من خلال المنهج الوصفي التحليلي للمادة عينة البحث إلى نتائج وتوصيات من أهمها ما يلي:

- أن المقاطع الصوتية في مجملها بلغت ثمانية وعشرين مقطعاً صوتياً بين قصير، ومتوسط، ومفتوح ومغلق.
- أن السمات المتغيرة والتي تعد تاج الأسلوبية قد ظهرت في اختيار مفردات يمنع السياق الاجتماعي منعاً قاطعاً اختيار غيرها.
- تم اختيار المفردات (الكوثر، وأعطى، والأبتر، وانحر) دون غيرها من مفردات تشاركها في الدلالة العامة أسلوبياً.
- أن السورة الكريمة ضمت أكثر المقاطع الصوتية شيوعا في اللغة العربية وأسهلها في النطق وكان لهذا تأثير واضح في سهولة نطق الكلمات وسلاسة الأسلوب وتميزه.
- خلت السورة من المقطعين الطويلين ص ح ح ص، ص ح ص ص؛ لأنهما لا يتناسبا ن مع السياق الاجتماعي والنفسي للسورة الكريمة.
- أن الصيغ الصرفية (المورفيمات) والتراكيب النحوية قد جاءت مؤازرة لسياق السورة فخدمت أغراضها وأهدافها باشتقاقاتها المختلفة وجملها التركيبية.
- أن الكوثر صفة للخير الكثير وليست نهراً في الجنة فقط.

التوصيات:

يوصي الباحث بدراسة السياق الاجتماعي والنفسي للسورة الكريمة بصفة أدق.

المراجع والمصادر

١. الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، د.عدنان حسن بن قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ٢٠٠١م.
٢. أساس البلاغة،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله،تحقيق: محمد باسل عيون السود،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ ه - ١٩٩٨ م.
٣. أسباب النزول،أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان،الناشر: دار الإصلاح، الدمام،الطبعة: ٢، ١٤١٢ ه- ١٩٩٢ م
٤. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية،د، سعد مصلوح،ط٣، ١٩٩٢م عالم الكتب.
٥. الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية،د،فتح الله أحمد سليمان،دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٨م.
٦. الأسلوبية والأسلوب،بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي،مركز الإنماء القومي بيروت،د،ت،
٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي:دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت– لبنان،: ١٤١٥ ه - ١٩٩٥ م.
٨. الإعجاز الصوتي في جزء عم، د، أناهيد عبد الحميد جمال الحريري، مكتبة الرشد،ط١، ٢٠٠٦م.
٩. إعجاز سورة الكوثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، تحقيق حامد الخفاف، دار البلاغة،ط١، ١٤١١هـ١٩٩١م.
١٠. البيان في عدّ آي القرآن،عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني،تحقيق: غانم قدوري الحمد،الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ه-
١١. التبيان في إعراب القرآن،أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري،تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر،عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٢. تحت راية القرءان، مصطفى صادق الرافعي،دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠١م.
١٣. التحرير والتنوير،تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ ه.
١٤. تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،أبو منصور،تحقيق:محمد عوض مرعب،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي،تحقيق: علي عبد الباري عطية،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ ه.

١٦. علم الأسلوب، مفاهيم وتطبيقات، محمد كريم الكواز،منشورات جامعة السابع من أبريل.
١٧. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته،د، صلاح فضل، دار الشروق، ط١، ١٤١٩ه ١٩٩٨م.
١٨. فتح القدير،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،دار المعرفة،بيروت' لبنان، ط٤، ١٤٢٤ه ٢٠٠٧م.
١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة.
٢٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ ه.
٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري،الناشر: دار صادر –بيروت،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ ه.
٢٢. مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي،تحقيق: يوسف الشيخ محمد،الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ه / ١٩٩٩م.
٢٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٢٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، مكتبة عالم الكتب، القاهرة ط١،٢٠٠٨م.
٢٥. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،وهبة مجدي،ط١،مكتبة لبنان ١٩٧٤م.
٢٦. معجم علم الأصوات،محمد على الخولي،مطابع الفردوس التجارية،١٩٨٢م.
٢٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩ه - ١٩٧٩م.
٢٨. مفاتيح الغيب التفسير الكبير،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري،دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط ٣،١٤٢٠ ه.
٢٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: ٢، ١٣٩٢.
٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البُعد الجماليُّ في محاكاة الألفاظ للمعاني في القرآن الكريم

د. مُيسَّر عُذيمان السّاري
جامعة الفرات، كلية الآداب، فرع الحسكة.

Artistic Aspect in the Words Emulating meanings in *Holy Quran*

Dr. Muyassar Adhyman Al-Shari - University of Furat, Faculty of Arts, Branch of Al-Haska

مستخلص

شغل اللَّفظُ والمعنى حيّزًا كبيرًا من الدرس اللغوي والأدبي والشرعي، ولاتزال العلاقة الوطيدة بينهما تثري مكتبتنا العربية بكل جديد في هذا المضمار؛ إذ هما وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ تتمثَّل في مجرد التوصيل تارةً، وترتقي إلى أعلى درجات الإبداع تارةً أخرى، وبحثنا يتناول هذه القضيَّة من زاوية محدَّدة؛ إذ يتبَّع نماذج مختارة من الألفاظ الَّتي تحاكي معناها في القرآن الكريم، وتُظهِر شكلًا آخر من أشكال

Abstract

The word and meaning have occupied great space in linguistic, literary and legal study, and still the ardent relationship between them enriches our Arabic libraries with every new in this context, as they are two faces of one truth which is represented in just conveying one time and upgrading to the high levels of creativity in the other. Our study deals with this matter from limited perspective, since it follows selected samples of words that emulate its meaning in Holy Quran, and reveals another feature of mastery

إعجاز هذا الكتاب العظيم الذي لا تنقضي عجائبه. تسمَّى الألفاظ التي تحاكي معناها في النقد الحديث الألفاظ الموحية. تلك الَّتي ترسم بجرسها وموسيقاها وظلالها صورة المشهد المراد بدقَّة متناهية، وتثير هذه المحاكاة في كتاب الله تعالى تأثّرًا وإعجابًا وانبهارًا في نفوس المتلقّين، لا يضارعه شيء من كلام البشر أيًّا كان مستوى إبداعهم. وقد توقف علماء البلاغة ونقادها عند لفظة «مُستشزرات» لامرئ القيس على سبيل المثال بين معياريّ لا يجيزها لتنافر حروفها ومخالفتها سنَن التَّعبير البياني لدى العرب، و مدافعٍ عن جودة استعمالها؛ إذ برز الجمال في دقّة وصفها للشَعْر المتطاير في كل الأنحاء لتلك الفتاة الجميلة راسمًا لوحة جميلة رصدتها تلك المفردة الَّتي تحاكي معناها. وبدا الأمر مختلفًا في الألفاظ الَّتي تحاكي معناها في القرآن الكريم تلك الَّتي عالجها اللغويون والمفسرون، واستشعروا جمالها، ونقلوه لنا، فاعتمد البحث المنهج الوصفيّ الانتقائيّ باصطفاء نماذج للتّدليل على هذه الظَّاهرة الفريدة من جهة، ولبيان عظمة البيان الإلهيّ وإعجازه من جهة ثانية.

of this noble book that its wonders are endless. The words that emulate their meaning in modern criticism are called suggestive words which draw with their echo, music and tone a picture wanted in a precisely way. This emulation in the book of Allah evokes impression, appreciation and astonishment in the self of learners, which cannot be equivocal to any of human speech whatever the level of their creativity, is. The scholars of rhetoric and its critics have considered the word (مستشزرات) for Amri Al-Qais as instance between standard which its letters cannot prove and its violation to conventions of rhetorical expressions among Arab as well as his defense to the quality of its use. The beauty of its precise description of disperses poetry to that beautiful girl drawing a nice painting observed by that word which emulates its meaning. The matter started different in the words that emulate their meanings in Holy Quran and those which the linguists and interpreters handled, felt with their beauty and reported to us. This study employed descriptive selective method by selecting models to use as evidence for this unique phenomenon on one hand and to reveal the greatness of God's statement and mastery on the other.

مقدمة:

الألفاظ المدوَّنة في بطون المعاجم تؤدي دلالاتٍ عامَّة، وهي جذور مرتّبة منظّمة نعود إليها كلّما دعت الحاجة إلى ذلك. فهي أشبه بلَبِنات مختلفة الأحجام والقياسات يستعمل منها البنَّاؤون المهَرة ما يلبي احتياجاتهم، وكذلك حال الألفاظ عندما تخرج من رحِم المعجم، وتنتظم مع غيرها في تراكيب متعدّدة في سياقات متنوعة، وتلقي بظلالها على ما حولها من مفردات، أو تستظل بها إن كانت أكثر جذبًا وأقوى دلالة، وهذا الانتظام والانسجام له غرض التَّفاعل مع الآخر للتأثير فيه تأثيرًا نفعيًّا وظيفيًّا في معظم الأحيان. وقد يتجاوز ذلك إلى الإمتاع تارةً، والإقناع تارةً أخرى.

بهذا الاختيار تتجلَّى براعة مستعملي اللغة، وفيه يتنافس المتنافسون، ويرتقي المبرِّز منهم أعلى الدرجات على سلم الإبداع، من هنا كان المبدعون من شعراء وكُتَّاب قلَّة بالقياس على عدد سكان المعمورة، وفي كثير من الأحوال لم تكن الألفاظ طيِّعة لهم، فأعادوا النظر في مُبْدَعاتهم مراتٍ ومراتٍ حتى تنضج، وتؤتي أكلها في المهرجانات الشّعرية والأندية الأدبيَّة. ولا أدلَّ على ذلك من مقولتهم الشهيرة: «خير الشّعر الحوليُّ المُحكّك»، وبروز قومٍ سُمُّوا: «عبيد الشّعر» لما يبذلون من جهود مضنية للارتقاء بفنهم.

على أنَّ الأمر مختلف تمامًا في ألفاظ القرآن الكريم الَّتي جاءت تحاكي المعاني الَّتي صيغت من أجلها، فترى اللَّفظة الواحدة تصوِّر مشهدًا كاملًا من مشاهد الحياة، وقد تتجاوز ذلك، وتتعدَّاه لتعبِّر أصدق تعبير عمَّا يدور في خبايا النَّفس البشريّة من مشاعر وأحاسيس. إنَّه كلام الباري عزَّ وجلَّ الذي أعجز بنظمه كلّ الفصحاء، وتحداهم أنْ يأتوا بسورةٍ من مثله.

مُحاكاة الألفاظ معانيها بين البلاغة والنّقد والنّحو:

قبل الخوض في ذكر نماذج لمحاكاة الألفاظ لمعانيها في كتاب الله عزَّ وجلَّ نتوقف عند الشّروط الَّتي وضعها علماء البلاغة المعياريّون للّفظةِ كي تكون فصيحة رشيقة

تتفاعل مع محيطها التّركيبيّ، ثم نرى ذلك لدى بعض النُّقاد الذين كان لهم رأيٌ مغاير، ثم نستطلع ما قاله النُّحاة وغيرهم في هذا المضمار.

قال الخطيب القزوينيّ (ت ٧٣٩هـ): «أمَّا فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي. فالتَّنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثّقل على اللّسان وعسر النّطق بها... ومنه ما هو دون ذلك كلفظ «مُستشزرات» في قول امرئ القيس:

غدائـرُه مُسْـتَشْزِراتٌ إلى العُـلا تَضِـلّ العِقَـاصُ فِي مُثَـنَّى وَمُرْسَـلِ»[1]

شرح الزَّوزنيّ (ت ٤٨٦ه) هذا البيت بقوله: «ذوائبها وغدائرها مرفوعات أو مرتفعات إلى فوق، يراد به شدّها على الرأس بخيوط، ثم قال: تغيب تعاقيصها في شعر مثنًى وبعضه مرسل، أراد به وفور شعرها، والتعقيص التجعيد»[2].

في حين «يرى بعض الدارسين أنَّ في صوت كلمة (مُستشزرات) حكاية دقيقة لمعناها، أي: أنّ التّفشّي الذي تلحظه في صوت الشّين، وانتشار الهواء وامتلاء الفم به حين النُّطق، يشبه إلى حدٍّ كبير انتشار الشّعر، وتشعيثه، وذهابه إلى هنا وهناك، وعندنا أنَّ بطء الكلمة، وثقلها على اللسان يذهب بهذه المزية فيها من حيث إنه يتعارض مع خفة معناها؛ لأنَّها تصف شعرًا جميلًا خفيفًا هفهافًا يرتفع إلى العلا، وينبغي أن يلاحظ أن استعمال هذا المقياس يحتاج إلى وعي وذوق؛ لأن هناك كلمات ثقيلة على اللسان، ولكن ثقلها من أهم مظاهر فصاحتها من حيث إن هذا الثقل يصور معناها بحق»[3].

وفي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: ٢٢] قال ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) «حضر عندي في بعض الأيّام رجل متفلسف، فجرى ذكر القرآن الكريم، فأخذت في وصفه، وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة، فقال

(١) القزوينيّ،محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط (٣)،ج١ص ٢١-٢٦.

(٢) الزَّوْزَنِيّ، أبو عبد الله حسين بن أحمد بن حسين، شرح المعلّقات السَّبع، دار إحياء التُّراث العربيّ، ط(١) ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م، ص ٥٥.

(٣) أبو موسى، محمد: خصائص التّراكيب (دارسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني) مكتبة وهبة، ط (٧)، ٦٣.

ذلك الرجل: وأيّ فصاحة هناك، وهو يقول: تلك إذًا قسمة ضيزى؟ فهل في لفظة (ضِيزَى) من الحسن ما يوصف؟ فقلت له: اعلم أنَّ لاستعمال الألفاظ أسرارًا لم تقف عليها أنت ولا أئمتك..... وهذه اللَّفظة الَّتي أنكرتها في القرآن، وهي لفظة (ضِيزَى) فإنَّها في موضعها لا يسدّ غيرها مسدّها؛ ألا ترى أنَّ السُّورة كلّها الَّتي هي سورة النَّجم مسجوعة على حرف الياء [الألف المقصورة]، فقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ١- ٢] وكذلك إلى آخر السُّورة، فلمَّا ذكر الأصنام وقسمة الأوَّلاد وما كان يزعمه الكفار قال: أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى؟ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. فجاءت اللَّفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السُّورة جميعها عليه، وغيرها لا يسدّ مسدّها في مكانها، وإذا نزلنا معك أيُّها المعاند على ما تريد قلنا: إنَّ غير هذه اللَّفظة أحسن منها، ولكنَّها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها، ولا مناسبة؛ لأنَّها تكون خارجة عن حرف السُّورة، وسأبيّن ذلك فأقول: إذا جئنا بلفظةٍ في معنى هذه اللَّفظة قلنا: قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أنَّ جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى، إلا أنَّا إذا نظمنا الكلام قلنا: ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ظالمة لم يكن النَّظم كالنَّظم الأوَّل، وصار الكلام كالشيء المُعْوِز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام، فلما سمع ذلك الرَّجل ما أوردته عليه ربا لسانه في فمه إفحامًا، ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد الذي مستنده تقليد بعض الزَّنادقة الذين يكفرون تشهيّا، ويقولون ما يقولونه جهلًا وإذا حُوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم»[1].

وقد فطن ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ) إلى محاكاة الألفاظ لمعانيها في خصائصه، فعقد بابًا سمّاه: **بابٌ في إمساس الألفاظ أشباه المعاني**، وممّا جاء فيه قوله: «اعلم أنّ هذا موضع شريف لطيف، وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازيّ تقطيعًا، فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر الَّتي

(١) ابن الأثير، أبو الفتح، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت١٤٢٠ هـ ج١، ص ١٦١-١٦٢.

جاءت على الفَعَلان: إنّها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النّقزان، والغَليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سَمْت ما حدّاه، ومنهاج ما مثّلاه. وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعَّفة تأتي للتكرير نحو: الزّعزعَة، والقلقلة، والصّلصلة، والقعقعة والصّعصعة والجرجرة والقرقرة، ووجدت أيضًا الفَعَلى في المصادر والصفات إنما تأتى للسرعة نحو: البشكى والجمزى والولقى»[1].

وبعيدًا عن الجانبين البلاغي والنحوي وقريبًا من قضية المحاكاة هذه تنبّه ابن القيّم (ت ٧٥١هـ) إلى نوع طريف من المحاكاة في بنية الكلمة، فقال: «ولو أطلقنا عنان القَلَم في ذلك لطال مداه، واستعصى على الضَّبْط. فلنرجع إِلَى مَا جرى الْكَلَام بِسَبَبِهِ فَنَقُول: الْمِيم حرف شفهي يجمع النَّاطِق بِهِ شَفَتَيْه، فَوَضَعته الْعَرَب علمًا على الْجمع فَقَالُوا للْوَاحِد: أَنْت فَإِذا جاوزوه إِلَى الْجمع قَالُوا: أَنْتُم، وَقَالُوا للْوَاحِد الْغَائِب: هُوَ فَإِذا جاوزوه إِلَى الْجمع قَالُوا: هم..... وَتَأمل الْأَلْفَاظ الَّتِي فِيهَا الْمِيم كَيفَ تَجِد الْجمع معقودًا بهَا مثل: لمَّ الشَّيْء يلمُّه إِذا جمعه، وَمِنْه لمَّ الله شعثه، أَي: جمع مَا تفرق من أُمُوره، وَمِنْه قَوْلهم: دَار لمُومة، أَي: تلمّ النَّاس، وتجمعهم..... وَمِنْه ألمَّ بالشَّيْء إِذا قَارب الِاجْتِمَاع بِهِ والوصول إِلَيْهِ، وَمِنْه اللَّمم: وَهُوَ مقاربة الِاجْتِمَاع بالكبائر وَمِنْه المُلمَّة: وَهِي النَّازِلَة الَّتِي تصيب العَبْد، وَمِنْه اللّمة: وَهِي الشّعر الَّذِي قد اجْتمع، وتقلص حَتَّى جَاوز شحمة الْأذن،وَمِنْه التمّ الشَّيْء وَمَا تصرف مِنْهَا وَمِنْه، بدر التّم إِذا كمُل، وَاجْتمعَ نوره، وَمِنْه التوأم للولدين المجتمعين فِي بطن، وَمِنْه الْأُمّ، وَأمّ الشَّيْء: أَصله الَّذِي تفرع مِنْهُ فَهُوَ الْجَامِع لَهُ، وَبِه سميت مَكَّة أمّ الْقرى والفاتحة أمّ الْقُرْآن واللوح الْمَحْفُوظ أمّ الكتاب»[2].

(١) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (٤)، ج ٢، ص ١٥٣، ١٥٤. الزَّعْزَعَةُ: تحريك الشيء لتَقْلَعَهُ، وتُزِيلَهَ. القعقعة: صوت الرَّعد. الصَّعصعة: التحريك والقلقلة، والجرجرة: الصوتُ، القرقرة: صفاء هدير الفحل وارتفاعه، والصَّلصلة: صوت الجرس، البَشَكَى والجمزى والولقى: ضروب من الْمَشْي.

(٢) ابن القيّم: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تح: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة الكويت، ط (٢)، ١٤٠٧ ١٩٨٧.ص ١٥٠.

نماذج لمحاكاة الألفاظ معانيها في القرآن الكريم:

هذه بعض النَّماذج القرآنية الَّتي بدا فيها التَّلاحم بين الألفاظ ومعانيها في صورة تؤكد أنَّ الباري عزَّ وجلَّ أنزل كتابه العظيم مراعيًا الدقَّة في دلالة الألفاظ على المعنى المراد من غير لبْس ولا تمويه، قال الله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ *وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * **فَكُبْكِبُوا** فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشّعراء: ٩١ – ٩٥] ، فالكفار يُطْرحون في الجحيم بعضهم على بعض مع شياطينهم، منكبِّين على وجوههم، والكبكبة: تكرير الكبِّ، فجعل التَّكرير في اللَّفظ دليلًا على التَّكرير في المعنى، كأنَّه إذا ألقى في جهنّم ينكبُّ مرة بعد مرة حتى يستقرّ في قَعرها[١]. ونقلت لنا لفظة (كُبْكِبوا)، صورة الأصنام الَّتي كان الغاوون يعبدونها من دون الله، وهي تُكبْكب في النّار، وتتساقط فلا تقوى على نفع نفسها، ولا تنْتصر لنفسها، ولا لهؤلاء الغاوين الذين يُكبون معها هم وجنود إبليس، فلا يقوى أحد منهم على الحركة أو التخلص من هذا العذاب، كلّهم منقادون لصنع الله بهم[٢]، «وفي التعبير بـ (كُبْكِبوا) تصوير صادق مؤثر لحالة هؤلاء الضالين، وهم يتساقطون في جهنّم، بلا رحمة، ولا عناية، ولا نظام، بل بعضهم فوق بعض وقد تناثرت أشلاؤهم»[٣].

وأسهمت البنية الصرفيّة في محاكاة اللَّفظ للمعنى المُراد، فجاءت بصيغة الرّباعي المضعّف الذي يتكرّر حرفه الأوَّل مع حرفه الثالث، وحرفه الثاني مع حرفه الرابع، لتفيد تكرار الحدث والمبالغة فيه، بأنّهم يُكبّون كبًّا بعد كبٍّ، فهو أمر متكرر، فكبكبوا مضاعف كُبّوا بالتَّكرير ولا شكّ أن تكرير اللَّفظ مفيد لتكرير المعنى[٤]،

(١) ينظر: الطَّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ٢٠٠٠م، ج١٩،ص٣٦٧، والزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ،ج٣، ص٣٢٢.

(٢) الشريف، نورة سعيد: التصوير بالحقيقة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود ص٧٠.

(٣) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، دار نهضة مصر، القاهرة، ط (١)، ١٩٩٧م، ج ١٠،ص٢٥

(٤) ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط (١)١٩٨٤، ج٢٠، ص١٥٢، والتصوير بالحقيقة في القرآن الكريم، ص٧٠.

فاللَّفظة جاءت موحية إذْ تظهر صورة تلك الأصنام وهي تُكبُّ مع عابديها في هوّة عميقة في نار جهنّم، وها هي الأصنام الَّتي كانوا ينظرون لها بعظمة وتبجيل، تكبُّ في نار جهنّم، وتتساقط جارفة معها أولئك الذين تعلّقوا بها، وصرفوا لها العبادة من دون الله. كما تستشعر من لفظة الكبكبة، العنف، حتى لتكاد تتصوّر أولئك المجرمين يكبّون على وجوههم، أو على مناخرهم، ويلقون إلقاء المهملين، فلا يقيم أحد لهم وزنًا، هذا كلّه في اللَّفظة المفردة، حيث تعبر تعبيرًا مستقلًا عن لوحة كاملة(١).

أما الفعل (دمْدَم) ببنيته المتضمِّنة تكرير الحروف المكوّنة له في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا **فَدَمْدَمَ** عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١١ – ١٥]. فجاء محاكيًا المعنى المراد؛ إذ « الدمدمة الغضب، وما يتبعه من تنكيل. واللَّفظ ذاته.(دمدم) يوحي بما وراءه، ويصوّر معناه بجرْسه، ويكاد يرسم مشهدًا مروّعًا مخيفًا، وقد سوّى الله أرضهم عاليها بسافلها»(٢)، ولم يتوقف الأمر عند محاكاة هذه اللَّفظة، بل جاء التّركيب كلّه يحاكي « المشهد الذي يرتسم بعد الدّمار العنيف الشّديد.جاء التَّرتيب في هذه الآيَة وفق ترتيب الأحداث في الواقع وهو أمْرٌ مستحسنٌ بديع»(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ **تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ [مريم- ٨٣]. فسّر ابن جنيّ الأزَّ بقوله: « أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللَّفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنَّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزِّ؛ لأنك قد تهزّ ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة»(٤)، وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ه): «الأزّ، والهزّ، والاستفزاز

(١) الصالح، صبحي: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط (٤)، ٢٠٠٠م، ص ٣٣٦.
(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة ط (١٧)، ١٤١٢ه،ج ٦، ص ٣٩١٩.
(٣) حبنّكة، عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت، ط (١)،١٤١٦ه، ١٩٩٦م، ج ٢ ص ٤٦٠.
(٤) ابن جنيّ: الخصائص، ج٢، ص ١٤٨.

أخواتٌ، ومعناها التّهييج وشدَّة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات[ما يحدث به الإنسان نفسه]. والمعنى: خلّينا بينهم وبينهم، ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرًا. والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات الَّتي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار، وأقاويلهم، وملاحّتهم، ومعاندتهم للرسل، واستهزاؤهم بالدين»[1]. وقد جاءت الهمزة والزَّاي المشدَّدة في مقام يوحي بالشدة متمثّلًا بهذا التَّركيب الفعليّ المؤكد بالمصدر: (تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) محاكيًا المعنى المراد.

ولمّا اختلف المقام اختلفت دلالة اللَّفظة الذي تستعمل فيه. قال تعالى حكاية عن السّيّدة مريم في محنتها: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * **وَهُزِّي** إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٣ – ٢٥] فقال سبحانه: (هُزِّي) هنا، ولم يقل: (أُزِّي)، كما قال في آية إرسال الشياطين على الكافرين (تؤزُّهم)، ولم يقل: (تهزُّهم)، وذلك للفارق الدلالي بين السّياقين: سياق الشّدة والعنف، وسياق اللين والحنان ومراعاة التناسب بين المعنى والمبنى. وهذا من رائع بيان القرآن ودلائل إعجازه.

ومن خلال استعمال لفظة (هُزّي) «كأنّ الحقّ تبارك، وتعالى يريد أنْ يُظهِر لمريم آية أخرى من آياته، فأمرها أنْ تهزَّ جذع النخلة اليابس الذي لا يستطيع هَزَّه الرَّجل القويّ، فما بالها وهي الضعيفة الَّتي تعاني ألم الولادة ومشاقّها ؟ كما أنّ الحق سبحانه قادر على أنْ يُنزِل لها طعامها دون جَهْد منها ودون هَزِّها، إنّما أراد سبحانه أنْ يجمع لها بين شيئين: طلب الأسباب والاعتماد على المسبّب، والأخذ بالأسباب في هَزِّ النّخلة، رغم أنها متعَبة قد أرهقها الحمل والولادة، وجاء بها إلى النَّخلة لتستند إليها، وتتشبث بها في وحدتها لنعلم أنَّ الإنسان في سعيه مُطَالب بالأخذ بالأسباب مهما كان ضعيفًا، لذلك أبقى لمريم اتخاذ الأسباب مع ضَعْفها وعدم قدرتها، ثمّ تعتمد على المسبِّب سبحانه الذي أنزل لها الرُّطَب مُسْتويًا ناضجًا. وهل استطاعت مريم أنْ تهزَّ الجذع

(١) الزّمخشريّ: الكشاف، ٢، ٤٢.

الكبير اليابس؟ إنها مجرد إشارة إليه تدلُّ على امتثال الأمر، والله تعالى يتولّى إنزال الطّعام لها»[1].

أما في تصوير الكيفية الَّتي كان الكافر يمشي بها فيأتي قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ **يَتَمَطَّى**﴾ [القيامة: ٣١ – ٣٣]. كافر من قريش قيل: إنه أبو جهل بن هشام[2]، وهذه صورة ممجوجة لمشية هذا الكافر المتغطرس، تفصح عن كبريائه وغروره، وتتمّ رسم صورة جهله وإعراضه، فقال: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾. فإيقاع الآية مشعر بمِشية الكِبْر لدى هذا المشرك المتعالي، ولكن يهمّنا كثيرًا هنا هذه اللَّفظة الَّتي وقعت محاكية وفاصلة، وهي: (يتمطّى) إذ وردت لامها ألفًا، وهي الطَّاء الثَّانية في أصل الكلمة إذ أصلها: (يتمطّط)، ولكنّ التّعبير القرآني عدَل عن الطّاء الَّتي في آخر اللَّفظة، إلى الألف بدلًا منها، لا لمجرّد اتساق حروف الرويّ فيها مع سائر الفواصل الَّتي تلتها، مثل (أَوْلَى)، و(سُدى)، و (يُمْنى)، و (سَوًّى)؛ إذ إنّ هذا ملحظ شكليٌّ ليس هو المراد هنا، وإن كان له قيمته الصّوتية الإيقاعيّة المؤثرة في نفس المتلقّي، وإنّما ورد (يتمطَّى) معدولًا عن أصله الطّائي (يتمطّط)، إلى الألف الواقعة حرف رويّ للفاصلة إيحاءً بتبختر صاحب هذه المِشية، وإشعارًا بما في نفسه من الزَّهو والخيلاء الفارغين من بواعث الحق والخير؛ إذ معنى (يتمطَّى) في اللغة: يتبختر، وأصله: يتمطَّطُ[3]، أي: يتمدّد؛ لأنّ المتبختر يمدّ خطاه. وقيل: هو من المطا، وهو الظهر؛ لأنه يلويه عند سيره. وأيًّا كان الأصل، فإنّ هذا اللَّفظ (يتمطَّى) حاكى صورة عملية مرئية لكِبْر ذلك الكافر وخيلائه الفارغة.

ويهمنا هنا كيف حاكى مدُّ الصّوت بالألف هذه المشية المكروهة المنهيّ عنها. فإذا قرأنا (يتمطَّى) بأداء صوتي مُجوّد، فأعطينا الطاء الشّديدة المطبقة المكررة بالتّشديد حقّها من الأداء الصّوتي، وأتبعناها مَدّة الألف واقفين عليها، حاكت الصورة اللَّفظية

(١) الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج ١٥، ص ٩٠٦٧ـ ٩٠٦٨.

(٢) ينظر: الطَّبريّ: جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٣، ص ٥٢٣.

(٣) الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٣)١٤٢٠هـ،ج ٣٠ ص ٧٣٦.

تلك المشية المَمْقوتة مِشية التلوّي صعودًا إلى الأعلى ونزولًا. وذلك من رائع محاكاة الألفاظ للمعاني في القرآن عن طريق الإيحاء الصّوتي، مضافًا إلى الدلالة اللغوية الأصلية للفظة، الَّتي تعرفها العرب في تحاورها.

أمّا صراخ الكفار في نار جهنّم -أجارنا الله منها- فجاءت صورته في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جهنّم لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ* وَهُمْ **يَصْطَرِخُونَ** فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦- ٣٧] فقولهُ:(يَصْطَرِخُونَ) يفتعلون من الصُّراخ، وهو الصِّياح بجهد وشدّة، أيْ: يستغيثون في النّار بالصّوت العالي، والصّارخ المستغيث[١]. وهذا ما أكّده الزركشيُّ (ت ٧٩٤ه) بقوله: « اعلم أنّ اللّفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بدّ أنْ يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أوّلًا؛ لأنّ الألفاظ أدلّة على المعاني. فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة، و (يَصْطَرِخُونَ)، فإنّه أبلغ من (يتصارخون)»[٢]. فنجد هنا قوةً في الحروف وتثاقلًا في النطق مع طول الكلمة، لأنَّها تعبّر عن أصواتهم الغليظة المتجاوبة من كلّ مكان بعد أنْ استقرّوا في نُزُلهم، فلمّا طال مُكْثهم وطال عويلهم طال نظم حروف الكلمة المُعبّرة عن ذلك، فجاء التعبير عن أصواتهم بلفظ أطول وحروف أكثر»[٣].

إنّ شدّة الصاد الذي يُجاور كلًا من الطّاء والراء، وكذلك الخاء، فيوجدُ أربعةُ أحرف احتكاكيّة تقوم بدور حِسّي يصوِّر معالجة النّار لأجسادهم، كما أنّ الطاء يضيف معنى الشدّة في استغاثة الكافرين. إنّه صُراخٌ قويّ نابع من نفوس مُحطّمة يائسة[٤]، فإن الإصغاء إلى جرس هذه الكلمة ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾، الَّتي ترسم صورة تملأ الأذن اضطرابًا،

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان:٤٧٦/٢٠، والكشاف:٦١٥/٣، ومفاتيح الغيب:٢٤٢/٢٦، والتحرير والتنوير، ج٢٢،ص ٣١٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن:٣٤/٣.

(٣) أحمد، صلاح الدين: التصوير المجازي والكنائي، مكتبة سعيد رأفت، مصر، ط (١)،١٩٨٨م، ص١٨.

(٤) الياسوف، أحمد: جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، سورية، ط (٣)،٢٠٠٩م، ص٢٢٧-٢٥٠.

وصراخًا وصوتًا غليظًا، وعويلًا من شدّة العذاب والألم الذي يعانيه الكافرون في نار جهنّم، كما أننا نسمع من جرس اللّفظ ضجة الاصطراخ والنّداء والصّوت الغليظ والإيقاع العنيف، فنرى القلق والاضطراب وعدم الاستقرار على حال، ثم ها نحن أولاء يطرق أسماعنا صوت غليظ محشرَج مختلط الأصداء، متناوح من شتى الأرجاء، فجَرْس اللّفظ نفسه يلقي في الحسّ هذه المعاني جميعًا، ويفيض بها من الكلمات، بما تعجز جيوش من الكَلِم أن تقوم بما قام به جرسها.

وغير بعيد عمّا سبق لكن مع اختلاف المقام يأتي قول الحق تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جهنّم وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * **يَتَجَرَّعُهُ** وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ – ١٧]. المعنى كما قال المفسّرون: أمام كلّ جبَّار عنيد جهنّم بانتظاره، ويسقى في النّار من ماء صديد، أيْ: مما يسيل من أجساد أهل النّار من قيح ودم، فهو ليس بماء في الحقيقة، وإنما ماؤه هذا الصّديد المتغير الذي يخرج من الجوف، يتحسّاه جُرعة بعد جرعة، ولا يكاد يبتلعه لكراهته، وسوء طعمه ولونه وريحه، ممّا يدل على التّألم حين ابتلاعه(١). فلفظة (يتجرّعهُ) بيان لحال هذا الجبّار العنيد عند تعاطيه الصّديد، حال من أحوال شقائه وعذابه، والمشهد هنا عجيب، إنَّه مشهد الخيبة لكل جبّار عنيد، حيث يقف هذا الموقف، ومن ورائه تخايل جهنّم وصورته فيها، وهو يسقى من الصّديد السائل من الجسوم، يُسقاه بعنف فيتجرّعه غصبًا وكرهًا، ولا يكاد يسيغه، لقذارته ومرارته، والتقزز والتكرّه باديان نكاد نلمحهما من خلال لفظ (يتجرّعهُ). إنّه مشهد عجيب يرسم الجبّار الخائب المهزوم ووراءه مصيره يخايل له على هذا النحو المروّع الفظيع. «وفي التفعّل تكلّف ومعنى التكلّف أنَّ الفاعل يتعانى ذلك الفعل ليحصل بمعاناته»(٢)، والجَرَعُ والجُرْعَاء: رمل لا ينبت شيئاً كأنّه يتجرع البذر(٣).

(١) ينظر: الطبري:جامع البيان،ج١٦،ص٥٥٠، والكشاف،ج٢،ص٥٤٦، والتحرير والتنوير،ص١٢،ص٢٣٩.

(٢) حقي الإستانبولي، إسماعيل، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د ت)ج٤، ص٢٦٩.

(٣) ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداوودي، دار العلم، الدار الشامية، دمشق، ١٤١٢هـ، ج١، ص١٩٢.

وأدّت لفظة (يتجرّعه)، معنى العمل المتكرر في مهلة وأخذ الشيء بعد الشيء، إذْ نقلت هيئة واحد من أهل النّار يُسقى من ماء صديد لا يجد له شرابًا غيره، وحين يستبدّ به العطش فيأخذه ليشرب فإنّه لا يستطيع فعل ذلك دفعة واحدة بالرغم من شدّة حاجته للشرب، بل يشربه جزءًا بعد جزء، يحاول استساغته وتقبّله، ولكنّه لا يسيغه(١).

وتسهم لفظة (يُدَعُّونَ) فتصور مشهدًا آخر من مشاهد يوم القيامة في قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ **يُدَعُّونَ** إِلَى نَارِ جهنّم دَعًّا ﴾ [الطور: ١١ – ١٣] المكذبون يوم يدفعون إلى نار جهنّم دفعًا عنيفًا شديدًا بإرهاق وإزعاج. والدَّعُّ: الدفع العنيف، وذلك أن خزنة النّار يغلون أيدي الكفّار إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النّار دفعًا على وجوههم وزخًّا في أقفيتهم(٢)، فلفظةُ (الدّعّ) تحاكي بجرْسها مشهدًا عنيفًا مفزعًا، نرى ونسمع ما يزلزل، ويرعب، من ويل وهول، وتقريع وتفزيع للمكذّبين، والملائكة تلجئهم إلى الإذعان والاستسلام، وهي حركة غليظة تليق بهم، فيساقون سوقًا، ويدفعون في ظهورهم دفعًا إلى جهنّم.

كلُّ تلك المعاني أوْحت لنا بها لفظة (الدّعّ)، فهي جملة من المعاني يشترك فيها اللَّفظ بجرْسه وإيحائه، الذي جعلنا نتصوّر مشهد دفع المكذّبين في نار جهنّم، ولهم أصوات الإزعاج من جرّاء الدفع بعنف في أقفيتهم وظهورهم، فيحصل لهم العذاب الأليم والمعاناة، جزاء بما كسبت أيديهم في الدنيا، وقد تقاطعت هذه المعاني مع إيحاء اللَّفظة بها، ومع جرْسها من خلال الإيقاعات الموسيقية لمقاطع الكلمة وحروفها.» رسمت بنظم حرف الدال مع العين الصّوت الذي يخرج من الإنسان عندما يُدفع بشدة في ظهره، وذلك يوحي بأنّه دفعٌ شديد يحصل به الألم الذي لا يجد المتألّم حياله إلا أنْ يَفتح فاه ليخرج هذا الصّوت الذي هو مظهر الشدة والألم معًا، ولو عبّر عنه بالدفع مثلًا لأفاد

(١) ينظر: الشريف، نورة سعيد: التصوير بالحقيقة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة الإمام محمد بن سعود.ص٦٦.

(٢) والزَّخُّ: دفْعُك الإنسانَ فِي وَهْدَة. ابن منظور، محمد بن مكرم:لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة(زخخ).

الشدّة فقط، وربّما فهم أنّها شدّة محتملة، ولكنّ مجيء اللّفظ القرآني بهذه الحروف خاصة ليبرز ألمهم وعويلهم، وأنّه فاضح لأصحابه فهم لا يستطيعون كتمانه»[1].

أما طريقة جلوس من عبدوا غير الله والشياطين فيصورها قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جهنّم جِثِيًّا ﴾ ﴿مريم: ٦٨﴾ قال أهل التفسير: ندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصوا ربهم، وخالفوا أمره ونهيه في النّار جثيًا، يقول: بروكًا على ركبهم، والجثيّ: شرّ الجلوس، لا يجلس الرجل جاثيًا إلا عند كرب ينزل به، أي أنهم لشدة ما هم فيه لا يقدرون على القيام، أو أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنّم عتلًا، أي: نحضر هؤلاء المجرمين حول جهنّم قعودًا على الركب، من شدة الهول والفزع، لا يطيقون القيام على أرجلهم لما يدهمهم من شدة الأمر[2].

وإذا تأملنا الأصوات الَّتي تكونت منها لفظة (جثيًّا) نجد الجيم وهي حرف مجهور انفجاري احتكاكي، ويتحدّث الباحثون عن أنّ المصادر الَّتي تبدأ بالجيم تدل على انفعالات نفسية سلبية، وأنّ لها انعكاساتها المحسوسة على وجوه الناس وأصواتهم مما يُشاهد بالعين أو يُسمع بالأذن[3].

وهكذا نجد أنَّ جثيّا تحاكي معناها فتنقل لنا العديد من الانفعالات النَّفسية داخل المشهد الذي تنقله، مشهد الكرب الذي يظهر في ملامحهم دون أن ينطقوا أو يتكلموا، ولكن وجوههم تنقل رَجَفاتِ قلوبهم، واضطراب أرواحهم، وتقلّب أجزاء جسدهم، نظرًا لهذا الجيش من التوجّس والقلق الذي يصيبهم جراء الانتظار، وهم في موقف مهيب لا تستر ولا تغييب فيه، في حساب عسير ينتظرهم، كل هذا نقله لفظة المصدر(جثيّا) المكوّن من حرف الجيم المجهورة وحرف الثاء المهموس الذي يلي حرف الجيم، وهذا الحرف المهموس الذي يشي بانكسار وذلّ لا يخفى، ثمّ تأتي الياء

(١) ينظر: أحمد، صلاح الدين: التصوير المجازي والكنائي، مكتبة سعيد رأفت، مصر، ط (١)،١٩٨٨م. ص١٨.

(٢) ينظر: جامع البيان،ج١٨،ص٢٣٨، والكشاف، ج٣، ص٣٣، ومفاتيح الغيب، ج٢١، ص٥٥٧،التحرير والتنوير، ج١٦، ص٦٨.

(٣) عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م، ص٤٣.

المشدّدة لتوحي بالتبعثر والانطلاق إلى ما لا نهاية وفيه وصف لكثرتهم يوم المحشر[1]، نجد لفظة (جثيّا)، ترسم لنا صورة لهؤلاء حول جهنّم في مكان يجثون على رُكبهم، ويحيط بهم الخوف والرعب والهلع، فهو المشهد المفزع الذي يجثو فيه العتاة جثوَّ الخزي والمهانة، ويروح فيه المتقون ناجين، ويبقى الظالمون فيه جاثين.

ويؤدي المدُّ الذي يمثل شكلًا من أشكال التنغيم دورًا ملحوظًا في محاكاة الألفاظ للمعاني إليك كلمتي باسقات ونضيد في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ **بَاسِقَاتٍ** لَهَا طَلْعٌ **نَضِيدٌ** *﴾ [ق: ٩ – ١٠] ففي الوقف في التلاوة على لفظة (بَاسِقَاتٍ) تمدّ الألف فيها ستّ حركات، وهو المدّ العارض للسكون، فيحاكي هذا الامتداد في اللَّفظ علوّ النَّخلة وارتفاعها شامخة في طبقات الجوّ مع رشاقتها المعهودة الَّتي تنتهي في أعلاها بذلك السعَف الجميل المتهدّل على جوانب قمّتها من كل جهة، حتى أنها لتبدو كفتاة جميلة فرعاء. وإذا تلا القارئ بعد ذلك لفظة (نضيد)، ووقف على الدال، استشعر السامع بهذا المدّ الهابط (الياء) خلاف ما استشعره بذلك المدّ الصّاعد، الذي قبله في (بَاسِقَاتٍ)؛ إذ يستشعر بسمعه قبل بصره، هذا التنضيد الذي في الطلع، وقد غُطّي بغطائه الربّاني الجميل، ذي الرائحة الذكية التي تأسر القلوب، وتخلب الألباب.

ومن الإيحاء الصّوتي المحاكي للشعور بالنّدم ما تحدثه (هاء السكت) في قول من فرّط في ما ينبغي عليه أداؤه إزاء ربه وأهله كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٩] إنها « وقفة طويلة، وحسرة مديدة، ونغمة يائسة، ولهجة بائسة. والسياق يطيل عرض هذه الوقفة حتى ليُخيّل إلى السامع أنها لا تنتهي إلى نهاية، وأن هذا التفجّع والتحسر سيمضي بلا غاية، وذلك من عجائب العرض في إطالة بعض المواقف، وتقصير بعضها، وفق الإيحاء النَّفسي الذي يريد أن يتركه في النفوس. وهنا يراد طبع موقف الحسرة وإيحاء الفجيعة من وراء هذا المشهد الحسير. ومن ثم يطول ويطول، في تنغيم وتفصيل. ويتمنى ذلك

(١) الشريف، نورة سعيد: التصوير بالحقيقة في القرآن الكريم، ص٤٨.

البائس أنه لم يأت هذا الموقف، ولم يؤت كتابه، ولم يدر ما حسابه كما يتمنى أن لو كانت هذه القارعة هي القاضية، الَّتي تنهي وجوده أصلًا فلا يعود بعدها شيئًا.. ثم يتحسر أن لا شيء نافِعَه ممّا كان يعتزّ به أو يجمعه: ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ.. هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ.. فلا المال أغنى أو نفع. ولا السلطان بقي أو دفع.. والرنة الحزينة الحسيرة المديدة في طرف الفاصلة الساكنة وفي ياء العلة قبلها بعد المد بالألف، في تحزن وتحسر.. هي جزء من ظلال الموقف الموحية بالحسرة والأسى إيحاء عميقًا بليغًا»[1].

ومن الإيحاء الصّوتي الإفرادي، المدّ بالألف المشعر بالندم والألم النَّفسي، في مثل قول الكافر يوم القيامة، وقد وقف بين يدي ربه للحساب ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ **يَا حَسْرَتَا** عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر- ٥٦]فقوله: (يا حسرتا) لفظ يحاكي صوت توجّعه وندمه من خلال هذين المدّين اللذين اكتنفا اللَّفظ، وهما مدُّ (يا) ومدُّ (تا)، مضاعفًا إحساس المتلقّي بندم المُلقي المرير، فضلًا عما في نداء الحسرة بحرف النداء (يا)، من تشخيص استعاري للحسرة، حين جعلها تنادي كما ينادي العاقل، وهذا من بليغ بيان التنزيل. «والألف في قوله (يَا حَسْرَتَا) هي كناية المتكلم، وإنما أريد: يا حسرتي، ولكن العرب تحوّل الياء في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفا، فتقول: يا ويلتا، و يا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء»[2].

وتحاكي لفظة (نضّاختان) كيفية استمتاع أهل الجنة بالخيرات الَّتي تخرج من عيون الجنة من ماء ومسك وعنبر وفاكهة في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ **نَضَّاخَتَانِ**﴾ [الرحمن: ٦١ – ٦٦] قال المفسرون: نضاختان يعني فوارتان بالماء، والنضخ أكثر من النضح؛ لأنّ النضح مثل الّرش، ولأنّ النضخ دون الجري، ومعنى نضاختان: تنضخان بالماء، أو ممتلئتان به، أو تنضخان بالماء وبألوان الفاكهة[3]. تحاكي هذه اللَّفظة بجرسها آلية اندفاع الماء، فيرشّ ما حوله، ويتناثر الرذاذ هنا وهناك، فيستمتع أهل الجنة بهذا الجو الجميل، ويشعرون بالأنس والدعة والسرور.

(١) قطب، سيّد: في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٦٨١-٣٦٨٢.

(٢) الطبري: جامع البيان، ج ٢١، ص ٣١٣.

(٣) الطبري: جامع البيان، ج٢٣، ص٧٢، والكشاف، ج ٤،ص٤٥٣، ومفاتيح الغيب ج٢٩، ص٣٧٩.

الخاتمة

وقف البحث أمام مجموعة من الألفاظ الَّتي تحاكي معناها في القرآن الكريم وقد كان معظمها يصور بجرس ألفاظه ما أراده الحق سبحانه وتعالى، وتجعل المتلقي يقلب الطرف ويشنف الأذن مبهورًا بعظمة الصورة ودقّتها ومطابقتها للحقيقة.

فضلا عما سبق تُحدث هذه المحاكاة في النَّفس المدربّة على تذوّق الجمال شعورًا لا يماثله شعور، فتراه يقف أمام صورة يتعرف من خلالها على أشياء قد يكون عرفها من قبل، لكن يلفت انتباهه براعة نقلها، ودقّة المحاكاة بينها، وبين الأصل الذي يعرفه، كما أنّ هناك علاقة وشيجة بين طبيعة الأصوات والمشاهد الَّتي تصورها، وهذا كلام ينطبق بعمومه على كل ما أبدعته قريحة الشّعراء والكتاب وأرباب اللسن والفصاحة، لكن يبقى النَّص القرآنيّ ذا خصوصية مستمدَّة من مرسله الذي صوّر، فأبدع سبحانه وتعالى.

النتائج

ومن النتائج الَّتي توصل إليها البحث:

١. أنّ اللَّفظ الذي يحاكي معناه ينفرد بمعنًى لا يكون في غيره، ويرسم بجرسه وموسيقاه المشهد متكاملًا دون اللجوء إلى أدوات البيان من تشبيه واستعارة وكناية، ولا بدّ أنْ يحوي داخله ظلالًا وإيحاءات تهز وجدان المتلقي، ولعل هذا الأمر يميزه عن نقل الحدث بطريقة إنشائية أو سرده كسرد الحكاية.
٢. تصوير المشاهد المتعدّدة الأحداث والصور باللَّفظة المفردة وإن كانت خاليةً من المجاز إلا أنّ ذلك لم يفقدها جماليتها الفنيّة نظرًا لتميّزها بإيحائها وظلالها وجرْسها وقدرتها الخاصة على نقل الأحداث الَّتي يتعيّن نقلها بطريقه دون غيرها.
٣. محاكاة الألفاظ لمعانيها في الآيات التي تصور عذاب الكفار والمتجبرين والمتكبرين خاصة تتجلّى في تصوير مشاهد القيامة، وقد يعمد الباري جل شأنه إلى إحضار المشاهد المرئية حولنا ليثبتها في الذهن، وتحقيق الغرض من

استحضارها بطريق الصورة الَّتي تبدو في الذهن أركز، وأعمق تأثيرًا.

٤. يبدو جمال الألفاظ الَّتي تحاكي معناها في أمرين أولهما: مادة اللَّفظ حيث يصطفي الحقّ سبحانه وتعالى لفظة دون غيرها لتكون خير معبر عن المعنى المراد دون الحاجة للعديد من المفردات، وثانيهما: جرس اللَّفظ وإيحاؤه الصّوتي وبنيته الصرفية تتضافر كلها في تشكيل الصورة ونقل المشهد والتأثير في المتلقي.

٥. رغم ما عبّرت عنه المفردات القرآنية من دقّة في محاكاة المعنى إلا أنّ ما يميزها هو حسن تناغمها مع جاراتها في إبراز المشهد المراد تصويره.

٦. فطن علماء العربيَّة بدءًا بالخليل بن أحمد مرورًا بسيبويه، وانتهاءً بابن جني ومن نحا نحوه إلى يومنا هذا إلى ظاهرة محاكاة الألفاظ للمعاني بجرسها أو ببنيتها الصرفية أو بطريقة نطقها وما يصاحبه من نبر وتنغيم، ففاضت قرائحهم بصور جميلة من كتاب الله تعالى المعجز في كلّ جزئيّة من أجزائه العظيمة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت١٤٢٠ ه.
٢. أحمد، صلاح الدين: التصوير المجازي والكنائي، مكتبة سعيد رأفت، مصر، ط (١)،١٩٨٨م.
٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (٤).
٤. حبنّكة، عبد الرحمن حسن: البلاغة العربيَّة، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت، ط (١)،١٤١٦ه، ١٩٩٦م.
٥. حقي الإستانبولي، إسماعيل، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
٦. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداوودي، دار العلم، الدار الشامية، دمشق، ١٤١٢ه.
٧. الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ه.
٨. الزَّوْزَني، أبو عبد الله حسين بن أحمد بن حسين، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، ط(١) ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢ م.
٩. الشريف، نورة سعيد: التصوير بالحقيقة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة الإمام محمد بن سعود.
١٠. الشّعراوي، محمد متولي: تفسير الشّعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
١١. الصالح، صبحي: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط (٤)، ٢٠٠٠م.
١٢. الطَّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ٢٠٠٠م.
١٣. طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، دار نهضة مصر، القاهرة، ط (١)، ١٩٩٧م.
١٤. ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط (١)١٩٨٤.
١٥. عباس، حسن: خصائص الحروف العربيَّة ومعانيها، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م.
١٦. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٣)١٤٢٠ه.
١٧. القزويني،محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط (٣).

١٨. قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة ط (١٧)، ١٤١٢ه.
١٩. ابن القيّم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تح: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، ط (٢)، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
٢٠. أبو موسى، محمد: خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) مكتبة وهبة، ط (٧).
٢١. الياسوف، أحمد: جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، سورية، ط (٣)،٢٠٠٩م.

آراء «عيسى بن عمر» النحويّة ورواياته
في كتاب سيبويه
دراسة وصفيّة نحويّة

إعداد:

د. محمد سعد محمد أحمد

أستاذ النحو والصرف المساعد. قسم اللغة العربية. الكلية الجامعيّة برنية - جامعة الطائف. المعار من قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة الخرطوم.

mohammedahamed36@yahoo.com.

د. محمد الطيب البشير بابكر

أستاذ النحو والصرف المساعد. قسم اللغة العربية. كلية التربية-جامعة الخرطوم.

mohammedaaba1984@gmail.com.

مستخلص

قامت هذه الدراسة على إبراز آراء عيسى بن عمر الثقفي النحويّة ورواياته في كتاب سيبويه، والنظر فيها بعين الفحص والتمحيص والتصنيف؛ ممّا دفعنا دفعاً لهذا البحث أسبقيّة الرجل في بسط القياس والتعليل في النحو، وعدم وصول مصنَّفٍ خاصٍ بالنحو

Abstract

This study aims to highlight the grammatical views of Isa Ibin Omar Al-Thaqafi and his narrations in Sibawayh's book, and to consider them with examination, and classification. What motivated me to this research was the man's primacy in the simplification of measurement and explanation in grammar, the failure to reach us with a grammar workbook attributed to

إلينا يُنسب لهذا العالم الجليل، وتناثر آرائه في الكتب المختلفة خاصة «كتاب سيبويه»؛ لهذا تهدف الدراسة إلى: محاولة إظهار الرؤى النحويّة لأحد السابقين الكبار في الدرس النحويّ في إمام كتب النحويين. وقد تمدّد ذكر عالمنا الجليل في كتاب سيبويه بين قسمين أساسيين: قسم يحمل آراء نحويّة أو صرفيّة، وقسم يحمل روايات أو نقلاً له عن العرب أو عن شعرائهم، وفي كلا القسمين قد نجده منفرداً في الأمر أو مشتركاً مع علماء آخرين، وتفصيل الحديث في موقعه المحدد من البحث سيبيّن ذلك وغيره من المتعلّقات. هذا، واتَّبعت الدراسة المنهج الوصفيّ والاستقرائي. ولعلَّ من أهمَّ ما توصَّلتْ إليه الدراسة من نتائج ما يلي: انحصار آراء عيسى بن عمر في إمام كتب النحويين في الجانب النحوي، ولم يرد له رأيٌ صرفيٌّ إلّا في رواية التخفيف بحذف الهمزة، انفراد عيسى بن عمر ببعض الآراء النحويّة، بروز رأيه النحويّ أحياناً من خلال قراءته للقرآن الكريم أو من خلال رواية قراءة العرب لبعض الآيات.

كلمات مفتاحيَّة:
كتاب سيبويه - عيسى - النحويَّة.

this great scholar, and the scattering of his views in various books, especially "Sibawayh's book". Therefore, the study attempts to show the grammatical visions of one of the great predecessors in the grammatical lesson at Imam Books for Grammarians. Mention of our great scholar was extended in Sibawayh's book between two main parts: a section that carries grammatical or morphological opinions. And a section carrying narrations or quotations from the Arabs or their poets, and in both sections we may find it alone in the matter or in common with other scholars, and the detail of the hadith in its specific location in the research will show that and other related matters. The study will employ descriptive and inductive method. The study has revealed a number of findings, the most important of which are: the opinions of Isa Ibn Omar on Imam of grammarians' books were almost limited in grammatical aspect, and there had been no morphological opinions of him reported except in the novel of "Takhfif" with omit of "Hanza". Isa Ibn Omar had unique grammatical opinions such as his conjugation and alteration of some verbs. Grammatical opinion was sometimes extracted through reading Holy Quran or through narration of Arab reading for some verses.

Key words:
Sibawayh's book - Isa - the grammatical.

المقدمة:

كلُّ علمٍ من العلوم أو فنّ من الفنون كائنٌ حيّ يخضع لما يخضع له الأحياء من سنن الحياة؛ فيبدأ جنيناً فرضيعاً فطفلاً فيافعاً ففتى فشاباً فرجلاً اكتمل بناؤه. وهذا التدرّج المعهود انطبق على نشأة النحو العربيّ؛ فقد بدأ يسيراً عاماً ثم اكتمل عود قوامه فيما بعد(١).

وتقول معظم المصادر بأوّليّة أبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان في هذا العلم(٢)؛ قال ابن سلّام الجمحي: «وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود؛ وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن نفاثة بن حلس ابن ثعلبة بن عدي بن الدئل، وكان رجل أهل البصرة، وكان علويّ الرأي»(٣). ويقول أبو الفرج الأصفهاني عنه: «وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله»(٤).

أمّا أسباب وضع النحو وظهوره فلعل دافعها الأول وباعثها الأكبر انتشار اللحن على الألسنة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتمددها ومخالطة العرب غيرهم؛ وقد بدأ هذا الوباء قليلاً نادراً في صدر الإسلام ثم أخذ يتسع وينتشر كلما تقدّمنا منحدرين مع الزمن، وقد خُشي على القرآن الكريم والعربيّة منه(٥).

وتعدُّ المدرسة البصرية أوّل المدارس النحوية على الإطلاق، وهي التي أقامت أركان النحو ورفعت عماده ووضعت مقاييسه وعلله. وقد تعهد البصريون هذا العلم بالرعاية قرابة قرن من الزمان كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما شغلها من رواية

(١) انظر من تاريخ النحو العربي - سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، طبعة مكتبة الفلاح، ص٤.

(٢) انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، المكتبة العنصرية، ط١، بيروت - ١٤٢٤هـ، ج١ ص٤٩، وانظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، ج٢ ص٢٢، وانظر أخبار النحويين – أبو طاهر البزّار: عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم، تحقيق: مجدي فتحي السيّد، طبعة دار الصحابة للتراث، ط١، طنطا - ١٤١٠ه، ص٢٣.

(٣) طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبعة دار المدني – جدة، ج١ ص١٢.

(٤) الأغاني أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين، تحقيق: د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين والأستاذ: بكر عباس، طبعة دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م، ج١٢ ص ٢١٥.

(٥) انظر من تاريخ النحو العربي - سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، ص٨.

الأشعار والأخبار والميل إلى التندر بالطرائف من الملح والنوادر، فكان حينها ما من علمٍ متصلٍ بعقلٍ ونظر إلا والبصريون أصحابُهُ، وما من علمٍ متصلٍ بروايةٍ وخبر إلا والكوفيون روادُهُ، ثم تكاتف - من بعد ذلك - الفريقان على استكمال قواعده، واستحثّهما التنافس الذي جدّ بينهما واستعرت ناره ردحاً من الدهر ينيف على مائة سنة خرج بعدها هذا الفن تام الأصول كامل العناصر(١).

وقد وضع أبو الأسود الدؤلي– كما مرّ -اللبنات الأولى في هذا العلم، ثم تلت بعد ذلك أجيال البصريين تباعاً؛ فقد اشتغلت فيه بعد أبي الأسود طبقتان من البصريين حتى تأصّلت أصول كثيرة وعرفت بعض أبوابه؛ فالطبقة الأولى التي أخذت عن أبي الأسود استمرت في تثمير ما تلقته عنه، ووُفّقت إلى استنباط كثيرٍ من أحكامه، وقامت بقسط في نشره بين الناس، وكان من أفذاذ هذه الطبقة عنبسة بن معدان الفيل ونصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر العدواني، ولم يدرك أحد من رجال هذه الطبقة الدولة العباسية(٢).

أمّا الطبقة الثانية فقد كانت أكثر عدداً من سابقتها، وكانت أوفر منها حظاً في هذا الشأن؛ فازدادت المباحث لديها، وأضافت كثيراً من القواعد، ونشأت حركة النقاش بينها فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط، واستطاعت التصنيف فدونت فيه بعض كتب مفيدة، وكان من رجال هذه الطبقة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء(٣).

إذاً عالمنا الجليل عيسى بن عمر الثقفي يُعدّ من السابقين في الدرس النحوي؛ فهو من الجيل الذي تتلمذ على يدي تلاميذ أبي الأسود الدؤلي أوّل من ينسب إليه نشأة علم النحو العربي أو على تلاميذهم، وهو من أوائل العلماء الذين بسطوا القياس والتعليل كما سيأتي.

وتلا هذه الطبقة الثانية من البصريين الجيل الذي تكاملت على يديه أركان النحو

(١) انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة - الشيخ محمد الطنطاوي، تحقيق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، طبعة مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣١.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٣٢.

(٣) انظر المرجع السابق نفسه، ص٣٣.

العربي في القياس والتعليل والضبط وغير ذلك؛ والمعني بذلك أفذاذ أئمة البصريين الخليل بن أحمد وسيبويه وأبي زيد الأنصاري ويونس بن حبيب؛ أمّا الخليل فهو يُعدّ إماماً في هذا العلم وفي غيره؛ فقد كان عقله من العقول الخصبة النادرة، فهو لا يلم بعلم حتى يلتهمه التهاماً ويستوعبه ويتمثله وينفذ منه إلى ما يفتح له أبوابه الموصدة، وحقاً ما قاله ابن المقفع فيه: من أنّ عقله كان أكثر من علمه، وهو عقل جعله يتصل بكل علم ويحوز لنفسه منه كل ما يبتغي من ثراء في التفكير ودقة في الاستنباط تذهل كل من يقف على وضعه لعروض الشعر ورفعه لصرح النحو ورسمه المنهج الذي ألف عليه معجم العين أول معجم في العربية(١). وهو أستاذ سيبويه وعامة الحكاية في كتابه عنه؛ فكلّما قال سيبويه: سألته أو قال من غير أن يذكر المسؤول والقائل يُعلم أنّه يعني الخليل(٢).

أمّا سيبويه فهو تلميذ الخليل الذي لازمه ودوّن عنه كلّ ما قاله تقريباً، ومع ذلك فإنّه تتلمذ على غيره كعيسى بن عمر الثقفي، ويونس وغيرهم، ووضع كتابه المعروف بالكتاب، الذي طار طائره في الآفاق وملأ الدنيا وشغل الناس وهو المصدر الرئيس والأساس الذي بُنيت عليه كل المصادر اللاحقة(٣).

ثم تتابعت بعد ذلك أجيال العلماء البصريين الذين صنفوا المصنفات على مرّ العصور؛ ففي من أتى من بعدُ الأخفش الأوسط الذي يُروى أنّه أوّل من فتح باب الاختلاف على سيبويه وأستاذه الخليل، وهناك قطرب محمد بن المستنير، ثم يأتي من بعدهم أبو عمر الجرمي والمازني، ثم المبرد صاحب كتابي الكامل والمقتضب وأصحابه أبو إسحاق الزجاج وأبو بكر بن السراج، ويتبعهم من بعدُ أبو سعيد السيرافي(٤).

وقد قام نهج البصريين على أسس راسخة؛ إذ طلبوا في قواعدهم اطرادها ، وأن

(١) انظر المدارس النحوية شوقي ضيف: أحمد شوقي عبد السلام ضيف، طبعة دار المعارف، ص٣٠ ٣١.

(٢) أخبار النحويين البصريين، السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م، ص٣٢.

(٣) انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، طبعة دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٢٢.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٩.

تقوم على الاستقراء الدقيق، وأن يُكفل لها التعليل وأن تصبح كل قاعدة أصلاً مضبوطا تقاس عليه الجزئيات قياساً دقيقاً؛ أما من حيث الاطراد في القواعد فقد تشددوا فيه تشدداً جعلهم يطرحون الشاذ ولا يعولون عليه في قليل أو كثير، وكلما اصطدموا به خطئوه أو أولوه؛ وأمّا من حيث الاستقراء فقد اشترطوا صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم، ومن أجل ذلك رحلوا إلى أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة يجمعون تلك المادة من ينابيعها الصافية التي لم تفسدها الحضارة، وبعبارة أخرى: رحلوا إلى القبائل المتبدية المحتفظة بملكة اللغة وسليقتها الصحيحة، وهي قبائل تميم وقيس وأسد وطي وهذيل وبعض عشائر كنانة.وكان القرآن الكريم وقراءاته مدداً لا ينضب لقواعدهم، وكانوا لا يحتجون بالحديث النبوي ولا يتخذونه إماماً لشواهدهم وأمثلتهم؛ لأنّه روي بالمعنى إذ لم يكتب ولم يدون إلّا في المائة الثانية للهجرة، ودخلت في روايته كثرة من الأعاجم(١).

وأما من حيث القياس والتعليل فقد توسعوا فيهما؛ إذ طلبوا لكل قاعدة علّة، ولم يكتفوا بالعلة التي هي مدار الحكم فقد التمسواعِللاً وراءها. وقانون القياس عام، وظلاله مهيمنة على كل القواعد إلى أقصى حدٍ؛ بحيث يصبح ما يخرج عليها شاذاً، وبحيث تفتح الأبواب على مصاريعها ليقاس على القاعدة ما لم يسمع عن العرب ويحمل عليها حملاً، فهي المعيار المحكم السديد(٢).

وبعد زمان ليس بقصير ظهرت المدرسة الثانية في النشأة وهي المدرسة الكوفية، وقد انشغل علماء الكوفة بادئ الأمر بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه، وعنوا بالقراءات ورواياتها حتى اشتهر منهم عاصم وحمزة والكسائي، واهتموا أيضا برواية الأشعار والأخبار، فتركوا المجال لعلماء البصرة الذين حازوا فضل السبق في علم النحو والصرف(٣).

(١) انظر المدارس النحوية شوقي ضيف، ص١٨ ١٩.

(٢) انظر المدارس النحوية شوقي ضيف، ص١٩ - ٢٠.

(٣) انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي، ص١٠.

وتذكر المصادر أنّ أوّل نحويّ كوفي هو أبو جعفر الرؤاسي الذي طلب العلم في البصرة على أئمتها، فقرأ على أبي عمرو بن العلاء وعلى عيسى بن عمر الثقفي، ويقال أنّه كلّما وردت في كتاب سيبويه عبارة (قال الكوفي كذا) فإنما عنى الرؤاسي، ويتبعه في الذكر في الوقت نفسه عمه معاذ بن مسلم الهراء الذي عني بالصرف ومسائله خاصة، وتبعه في هذه العناية من قرأ عليه من الكوفيين(١).

ولكنّ أهم علَمين رفعا من شأن المذهب الكوفي النحوي ووضّحا نهجه هما الكسائي والفرّاء، فأمّا الكسائي فهو فارسي الأصل نشأ بالكوفة وتعلم النحو على كبر، فأخذ عن معاذ الهراء ما عنده ثم توجه تلقاء البصرة فتلقى عن عيسى بن عمر والخليل وغيرهما، ولما أعجب بالخليل قال له: من أين أخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فجاب هذه البوادي وقضى وطره، ثم انحدر إلى البصرة فألفى الخليل قضى نحبه، وخلفه يونس فجلس في حلقته، ثم عاد إلى الكوفة ينشر علمه، والكوفة متعطشة إلى نحو يضارع نحو البصرة وفي الكسائي نشاط في الدراسة والتصنيف فتقوى المذهب الكوفي، وبدأ يناهض النهج البصري، وعلى يد الكسائي تكاثرت الفوارق بين المذهبين لاختلاف الاتجاهين(٢).

وأمّا الفراء فهو تلميذ الكسائي الذي أخذ عنه كما أخذ عن غيره من العلماء كيونس بن حبيب، وكان هو والأحمر أشهر أصحاب الكسائي، وكانا أعلم الكوفيين بالنحو من بعده(٣)، وقد قوي به شأن المذهب الكوفي، ويُقال أنّه كان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه، وكان يتفلسف فِي تصانيفه، ويسلك ألفاظ الفلاسفة(٤).

ثم أتى من بعد هؤلاء كوفيون كثر لعلّ أشهرهم ثعلب أحمد بن يحيى الذي أخذ عن الفراء كل ما كتب، وأخذ عن الأخفش الأوسط، حتى تبحر في مذهبي البصرة

(١) انظرمن تاريخ النحو العربي - سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، ص٤١ ٤٢.

(٢) انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة - الشيخ محمد الطنطا وي، ص٩٤ ٩٥.

(٣) انظر معجم الأدباء - ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت - ١٩٩٣ م، ج٦ص٢٨١٣.

(٤) انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة السيوطي، ج٢ص٣٣٣.

والكوفة. واشتهر بعدوفاته من تلاميذه كثيرون، من أمثال أبي موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض الذي جلس بعد موت أستاذه مجلسه، وأبي عمر الزاهد وأبي بكر بن الأنباري، ثم جاء أحمد بن فارس الذي مد ظلال المدرسة الكوفية إلى حين إتيان ابن آجروم الصنهاجي الذي كان آخر النحاة الذين استظهروا آراء المدرسة الكوفية[1]. ولكلٍّ عالمٍ ممَّا سبقَ دوره في تشييد صرح النحو الكوفي ونشره.

ويتسم المذهب الكوفي النحويّ بسمات تميّزه عن نهج البصريين أهمّها جانب الاتساع في الرواية بحيث يؤخذ من العرب جميعاً بدويهم وحضريهم، فتفتح جميع الدروب والمسالك للأشعار واللغات الشاذة، كما يتميّز بالاتساع في القياس بحيث يقاس على الشاذ والنادر دون تقيّد بندرته وشذوذه، إلى جانب ذلك نجد بعض المخالفة في بعض المصطلحات النحوية وما يتصل بها من العوامل لما أرساه نحاة البصرة؛ ومن ذلك اصطلاح «الخلاف» وهو عامل معنوي كانوا يجعلونه علة النصب في الظرف إذا وقع خبراً في مثل «محمد أمامك»، أمّا البصريون فيجعلون الظرف متعلقاً بمحذوف خبر للمبتدأ السابق له، ومن ذلك اصطلاح الصرف الذي جعله الفراء علة لنصب المفعول معه في حين ذهب جمهور البصريين إلى أنّه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو، ومن ذلك اصطلاح الفعل الدائم ويقصدون به اسم الفاعل والمكني والكناية ويقصدون به الضمير، ويطلقون على البدل مصطلح «الترجمة» وعلى التمييز «التفسير» وعلى الصفة «النعت» وعلى العطف بالحروف «عطف النسق» وغير ذلك[2].

ولكن الناظر في مصطلحات النحو يلحظ أنّ اصطلاحات الكوفيين لم تجد السبيل للشهرة والانتشار في النحو العربي ما عدا مصطلحي: النعت وعطف النسق، وظلت المصطلحات البصرية هي السائدة.

ويوسم المذهب الكوفي بأنّ فيه مرونة في القياس وتركيب الجملة؛ فهم مثلاً يُجوّزون صياغة «أفعل التفضيل» من البياض والسواد، والفصل بين المضاف والمضاف إليه بفاصل ولو لم يكن ظرفاً أو جاراً ومجروراً، ويجوز عندهم توكيد النكرة إذا دلت على

(١) انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي، ص١٠.

(٢) انظر المدارس النحوية شوقي ضيف، ص١٥٨ ١٥٩، وص١٦٥ ١٦٧.

زمان معيّن، ويُبيحون إضافة الشيء إلى نفسه إن اختلف اللفظ مثل «حقّ اليقين» و«حبّ الحصيد»، وغير ذلك[1].

ومع هذا فينبغي أن يعلم أنّ الاختلاف بين المدرستين لم يكن في الأصول والثوابت وإنّما كان في جوانب فرعية كالعوامل التقديرية التي علّلوا بها الإعراب مع اتفاقهم في حكم الإعراب نفسه. وقد نجد إماماً في هذا الفريق يساند رأي المدرسة الأخرى على نسق ما رُوي من مساندة الكسائي لآراء البصريين في بعض المسائل، ومساندة المبرد البصري لآراء الكوفيين في مسائل أخرى[2].

وبعد أن بانت آراء ومذاهب الفريقين البصري والكوفي في مسائل النحو والصرف واتضحت فُتحت الأبواب على مصاريعها للعلماء التابعين للاختيار من نهج المذهبين ما يرونه صواباً.

وظهرت في الأمصار الإسلامية المختلفة في العصور اللاحقة أجيالٌ من العلماء أخذت تتعمّق وتمحّص في دراسات النحو والصرف مستهدية بآراء البصريين والكوفيين فأخرجت المصنّفات المتعدّدة، وقد كانوا يميلون إلى ما يرونه مناسباً من رأي الفريقين؛ لذلك عُرف نهجهم بنهج الانتخاب، ومع ذلك قد ينفذ العالم من هؤلاء في بعض الأحيان إلى آراءٍ خاصة به، وتدور في كتب النحو أسماء ثلاثة مذاهب من هذا النوع؛ وهي: المدرسة البغدادية والمدرسة الأندلسية والمدرسة المصرية.

ولعل من الراجح أن تكون التسميات الواردة لمدارس الانتخاب الثلاث: البغدادية والأندلسيّة والمصرية تسميات مناطق أكثر من كونها تسميات تحمل رؤى نحويّة محدّدة وموحّدة يُوحي بها الاسم على نحو ما يُوحي اسم المدرستين البصرية والكوفية؛ بل أنّ هذه المدارس تكاد تتوافق في نهج واحدٍ وهو منهج الاختيار للمناسب من آراء المدرستين الأوليين مع الاجتهاد في الخروج بآراء جديدة.

(١) انظر تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب د. محمد المختار ولد أبّاه، طبعة دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت - ٢٠٠٨م، ص١٠١.

(٢) انظر المرجع السابق، ص١٠٠ ١٠١.

أولاً: سيرة عيسى بن عمر وأخباره:

هو عيسى بن عمر الثقفي البصري، ولم يكن ثقفيّاً وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد، وهو نحوي مقرئ[١].

وأخذ عالمنا الجليل النحو عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق، وروى عن الحسن البصري والعجاج بن رؤبة وجماعة[٢]. وكانت بينه وبين أبي عمرو بن العلاء صحبة، ولهما مسائل ومجالس، وأخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن أبي إسحاق وروى الحروف عن عبد الله بن كثير وابن محيصن، وسمع الحسن البصري، وله اختيار في القراءة على قياس العربية، وروى القراءات عنه أحمد بن موسى اللؤلؤي وهارون بن موسى النحوي والأصمعي والخليل بن أحمد وسهل بن يوسف وعبيد بن عقيل[٣].

وقد أخذ عن عيسى بن عمر العلم الأصمعي وشجاع البلخي وعلي بن نصر الجهضمي وهارون الأعور والخليل بن أحمد وعبيد بن عقيل والعباس بن بكار ومن هم في طبقتهم[٤]. ولو لم يتتلمذ على يديه إلا الخليل لكان ذلك كافياً في إظهار فضله وجليل دوره.

ويُروى أن عيسى بن عمر ألّف مصنفات كثيرة في النحو وأنّها ذهبت جميعاً ولم يبق لمعاصريه منها إلّا «الجامع» و«الإكمال»؛ فقد ذكر ابن خلكان: أن سيبويه لما فارق عيسى بن عمر ولازم الخليل بن أحمد سأله الخليل عن مصنفات عيسى، فقال له سيبويه: صنف نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو، وإنّ بعض أهل اليسار جمعها وأتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق منها في الوجود سوى كتابين: أحدهما اسمه «الإكمال»، وهو بأرض فارس عند فلان، والآخر «الجامع» وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه وأسألك

(١) انظر معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» - عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م، ج١ ص٤٠٨.

(٢) انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة السيوطي، ج٢ص٢٣٧.

(٣) انظر وفيات الأعيان، ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٣ ص٤٨٦.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م، ج٧ ص٢٠٠.

عن غوامضه، فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه وقال: رحم الله عيسى، وأنشد[1]:

ذَهَـب النحـوُ جَميعـاً كلـه غـيرَ مـا أحـدثَ عيـسى بـن عمـر
ذاك إكمـالٌ وهـذا جامـعٌ وهمـا للنـاسِ شـمسٌ وقمـر

ويُقال إنّ «الجامع» في النحو هو الذي أخذه سيبويه وبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره، ولما كمل بالبحث والتحشية نسب إليه، وهو كتاب سيبويه المشهور[2].

ولعل في هذا الزعم بعض النظر؛ فهو لا يمكن تأكيده لعدم وصول كتاب «الجامع» حتى يقارن بما عليه كتاب سيبويه، ولكنّ الظاهر يُرجح أن يكون سيبويه قد أفاد من شيخه الأول عيسى إفادة التلميذ من أستاذه ويدخل في ذلك الإفادةُ من تصنيفه، وهذا شأن معروف في الدراسة النحويّة وغيرها، ويدلل على أنّ هذه الإفادة لا تتعدى أكثر من ذلك سعة كتاب سيبويه لقواعد النحو والصرف مقارنة بما كان قبله بما في ذلك كتاب «الجامع» الذي قال عنه صاحبه حسب ما روى القفطي: « وقال أحد العلماء لعيسى بن عمر: أخبرني عن هذا الذي وضعته في كتابك؛ يدخل فيه كلام العرب كلّه؟ قال: لا، قلت: فمن تكلم خلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلمُ به تراه مخطئا؟ قال: لا، قلت: فما ينفع كتابك!»[3].

ويقال: إنّ أبا الأسود لم يضع من النحو إلا باب الفاعل والمفعول والتعجب فقط، وإن عيسى بن عمر وضع كتابه على الأكثر وبوّبه وهذّبه، وسمى ما شذَّ عن الأكثر لغات[4].

وممّا يُروى عن عالمنا الجليل أنه كان صاحب تقعير واستعمال للغريب الوحشي في كلامه، وكان يطعن في كلام العرب حتى الفصحاء، ويخطئ المشاهير منهم كالنابغة وغيره، وكان به ضيق نفس؛ فوقع يوما بالسوق، ودار الناس حوله يقولون: مصروع،

(١) انظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣ ص٤٨٦ ٤٨٧.
(٢) انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، ج٢ ص٣٧٥.
(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، ج٢ ص٣٧٥.
(٤) انظر المصدر السابق، ج٢ ص٣٧٥.

فمن بين قارئ ومعوّذ، فلما أفاق نظر إلى ازدحامهم فقال: ما لي أراكم تتكأكأون عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عني، فسمع أحد الجمع قوله؛ فقال: إن جنيته لا تتكلم إلا بالهندية[1]. وفي قوله هذا ما لا يخفى من الفصاحة والغريب والتقعير.

ومن تخطئته للفصحاء تخطئته للنابغة في قوله:

فَبِتُّ كَأنّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرّقْشِ في أنْيابِها السّمُّ ناقِعُ

إذ جعل القافية مرفوعة، وحقها أن تنصب على الحال؛ لأن المبتدأ قبلها تقدمه الخبر وهو الجار والمجرور، وكأنّ النابغة ألغاهما لتقدمهما وجعل ناقعاً الخبر[2]. وقد يكون مراد النابغة: السم ناقعٌ في أنيابها؛ ثم قدّم وأخّر وجعل الجملة الاسمية حالاً.

ويُروى في سبب مرضه السابق أن بعض أصحاب خالد بن عبد الله القسري أودعه وديعة، فلما نزع خالد بن عبد الله عن إمارته بالعراق، وتقلد مكانه يوسف بن عمر بن هبيرة، كتب إلى واليه بالبصرة أن يحمل إليه عيسى بن عمر مقيداً، فدعا به وبالحداد، وأمره بتقييده، وقال: لا بأس عليك، إنما أراد الأمير أن يؤدب ولده، قال: فما بال القيد إذن! فبقيت مثلاً بالبصرة، فلما أتى به يوسف بن عمر، سأله عن الوديعة فأنكرها، فأمر به فضرب بالسياط، فلما أخذه السوط جزع، فقال: أيها الأمير، والله إنما كانت أثياباً في أسيفاط، قبضها عشاروك؛ فرفع السوط عنه، ووكّل به حتى أخذ الوديعة منه. وقال علي بن محمد بن سليمان: رأيت عيسى بن عمر طول دهره يحمل في كمه خرقة يحمل فيها سكر العشر والأجاص اليابس، وربما رأيته واقفاً عندي أو سائراً، أو عند ولاة أهل البصرة، فتصيبه نهكة على فؤاده، فيخفق عليه حتى يكاد يغلب، فيستغيث بإجاصة وسكرة يلقيهما في فمه، ثم يمتصهما فإذا ازدرد من ذلك شيئاً سكن عليه؛ فسألته عن ذلك، فقال: أصابني هذا من الضرب الذي ضربني يوسف بن عمر، فعالجته بكل شيء، فلم أجد له أصلح من هذا[3].

(١) انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي، ص٢٢٧ ٢٢٨.

(٢) انظر المدارس النحويّة، شوقي ضيف، ص٢٥ ٢٦.

(٣) انظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء - ابن الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، تحقيق: إبراهيم السامرائي، طبعة مكتبة المنار، ط٣، الزرقاء الأردن - ١٩٨٥ م، ص٢٩ ٣٠.

وقد روى ابن سلام الجمحي أنّ عالمنا الجليل كان يختار النصب على الرفع إذا اختلفت العرب؛ حيث قال: «وَكَانَ عِيسَى بن عمر إِذا اخْتلفت الْعَرَب نزع إِلَى النصب، كَانَ عِيسَى بن عمر وَابْن أَبِي إِسْحَاق يقرآن ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]، وَكَانَ الْحسن وَأَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء وَيُونُس يرفعون نردُّ ونكذِّبُ»[2]. ولعل لخفة النصب أثرٌ في ذلك، وقد يبين بعضاً من هذا النهج فيما يأتي من سطور في آرائه النحوية في كتاب سيبويه.

وتكاد المصادر والمراجع تجمع على أنّ تاريخ وفاة عيسى بن عمر كانت عام تسع وأربعين بعد المائة من الهجرة النبويّة[3].

ثانياً: كتاب سيبويه:

هو أوَّل كتاب نحوي جامع جُمعتْ فيه آراء العلماء السابقين لعهد سيبويه، واعتمد صاحبه في تأليفه اعتماداً أساسيَّاً على آراء الخليل ومن سبقه من النحاة، وقد عُرف عند بعض العلماء باسم قرآن النحو، وأطلق عليه المبردُ اسم (البحر) استصعاباً واستعظاماً، وبسط فيه سيبويه آراء العلماء وأضاف لها ما أملته عليه قريحته، فتحدَّث فيه عن النحو والصرف واللُّغة، وذكر فيه الكثير من مرويات العرب، وقسَّمه إلى أبواب، ولم يتمكن سيبويه من إكمال الكتاب، حيث لم يطلق عليه اسماً ولم يضع له مقدِّمة ولا خاتمة، وعُرف الكتاب عن طريق الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة الذي قرأه على أبي عليّ الجرمي وأبي عثمان المازني اللذين نشراه في الآفاق. وتسابق العلماء عبر العصور إلى دراسته وتدريسه، فكثر شُرَّاحُهُ ومن ذلك شرح أبي سعيد السيرافي والرماني وغيرهم، وتُرجمَ إلى عدة لغات، ويُعدُّ المصدر النحوي الأول

(١) الأنعام: ٢٧

(٢) طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي، ج١ ص١٩.

(٣) انظر تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم التنوخي: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر االمعري، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط٢، القاهرة - ١٩٩٢م، ص١٣٧.

بلا نزاع[1]. ولعلَّ من الآراء النحوية والروايات التي ظهرت جليّة في كتاب سيبويه آراء وروايات العالم الجليل عيسى بن عمر الثقفي.

ثالثاً: آراء عيسى بن عمر النحويّة ورواياته في كتاب سيبويه:

من خلال التتبع والتقصّي لآراء عالمنا الجليل عيسى بن عمر النحويّة أو الصرفيّة ورواياته في كتاب سيبويه اتضح أنّ ذكره في إمام كتب النحويين انحصر في اثنين وعشرين موضعاً؛ من خلال عشر مسائل نحويّة، وتسع روايات عن العرب وشعرائها، وهذا يبيّن أن ذكره في المسألة النحويّة أو في الاستشهاد بروايته قد يتكرر في الكتاب في أكثر من موضع، وسوف يفصّل الحديث في مواقع القسمين من خلال السطور التالية.

أ/ المواضع التي تحمل صفة الرأي النحويّ:

١/ قراءته بوجه النصب في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾[2]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[3]، فقد ورد في الكتاب «وقد قرأ أناس «والسارق والسارقة» و«الزانية والزاني»؛ وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة. وهذه القراءة تروى عن عيسى بن عمر، وهو على: اجلدوا الزانية والزاني، كما ذكرنا في قولنا «زيدا فاضربه»، وهو قوي في العربية ولكن القراءة سنّة منقولة»[4].

ووجه النصب جائز بل قويٌّ في مثل هذه المواضع إذا كان المقصود سارقة وسارقاً وزانية وزانياً بعينهم ومحددين؛ قال الفرّاء: «وقوله: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما...، مرفوعان بِما عاد من ذكرهما. والنصبُ فيهما جائز كما يَجوز أزيد ضربته، وأزيدًا ضربته. وإنما تختار العرب الرفع في «السارق والسارقة» لأنهما غير موَقَّتين، فوجِّها توجيه الجزاء كقولك: مَنْ سرق فاقطعوا يده، فـ (من) لا يكون إلا رفعًا، ولو

(١) انظر المدارس النحويّة، شوقي ضيف، ص٥٩ ٦٢.

(٢) المائدة: ٣٨

(٣) النور: ٢

(٤) انظر شرح كتاب سيبويه، السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ج١ ص٤٩٩.

أردت سارقًا بعينه أو سارقة بعينها كَانَ النصبُ وجه الكلام. ومثله وَالَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما»[١].

ومعلوم أنّ جمهور القرّاء يقرأون بالرفع في الآيتين، وهو متوافق مع المعنى الظاهر للآيتين لأنّ «أل» بمعنى «الذي» في الوضعين؛ والمقصد أن الذي سرق والتي سرقت حكمهما قطع اليد، والتي زنت والذي زنى حكمه الجلد؛ أي كل واحد يفعل ذلك من الجنسين[٢]. ولعل عالمنا الجليل كان يقرأ بالنصب تنويهاً إلى جواز ذلك، ومجاراة لأستاذه عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي الذي كان يقرأ بالنصب أيضاً تمسّكاً بالقياس[٣].

٢/ رأيه في قول الفرزدق:

ألـمْ تَـرِني عَاهـدتُ ربّي وأنّـني لبَـينَ رِتَـاجٍ قائمـاً ومُقـامِ
على حَلْفـةٍ لا أَشْـتمُ الدّهرَ مُسْـلِما ولا خَارِجـاً مِـنْ فِيَّ زُورُ كَلامِ

فقد كان يرى عيسى رحمه الله أنّ «خارجاً» حال وهي في موضع عطف على «أشتم» ولذلك الفعل المضارع في موضع نصب حال أيضاً أي: ولا شاتماً، في حين أنّ سيبويه يرى أنّ «خارجا» بمثابة خروجاً أي تنصب على أنها مصدر؛ قال سيبويه: «أراد ولا يخرج فيما استقبل كأنّه قال: ولا تخرج خروجا. ألا تراه ذكر عاهدت في البيت الذي قبله.قال: ولو حملته على أنّه نفى شيئا هو فيه ولم يرد أن يحمل على عاهدت لجاز، وإلى هذا الوجه كان يذهب عيسى بن عمر فيما نرى؛ لأنه لم يكن يحمله على عاهدت»[٤].

قال السيرافي: «فسّر أبو العباس وأبو إسحاق الزجاج في هذين البيتين قول سيبويه وقول عيسى بن عمر: فأما قول سيبويه فإنه جعل لا أشتم جواب يمين إمّا أن يكون

(١) معاني القرآن، الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١، ج١ ص٣٠٦.

(٢) انظر مشكل إعراب القرآن- أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥ه، ج١ ص٢٢٥.

(٣) المدارس النحويّة، شوقي ضيف، ص٢٤.

(٤) الكتاب، سيبويه:، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج١ ص٣٤٦.

جواب حلفة كأنه قال: عاهدت ربي على أن أقسمت، وعلى أن حلفت لا أشتم الدّهر مسلماً، أو يكون عاهدت بمعنى: أقسمت، كأنّه قال: ألم ترني أقسمت.ويكون خارجا في معنى خروجا ويكون التقدير: ولا يخرج خروجا عطفا على أشتم، وجعل خارجا في معنى خروجا. قال أبو العبّاس: ومثله: قم قائماً، أي: قم قياما، ومثله من المصادر: العاقبة والعافية، فهو على لفظ فاعل.

وفسّرا قول عيسى إنّ خارجا حال، وإذا كان حالاً فهو عطف على ما قبله، وإذا كان كذلك وجب أن يجعل الفعل في موضع الحال؛ فكأنه قال: لا شاتماً مسلماً ولا خارجاً من فيّ زور كلام، والفعل المستقبل يكون في موضع الحال كقولك: جاءني زيد يضحك، أي: ضاحكاً.

وجعلا العامل في الحال على مذهب عيسى بن عمر عاهدت؛ كأنه قال: عاهدت ربي لا شاتما الدهر مسلماً، فالمعنى: موجباً على نفسي ذلك ومقدّراً ألا أفعله، فهذا معنى تفسير أبي العباس وأبي إسحاق الزجاج.وكلام سيبويه الذي حكاه عن عيسى يخالفه لأنّه قال- يعني عيسى بن عمر-:لم يكن يحمله على عاهدت. ومعنى قول سيبويه لو حملته على أنّه نفى شيئا هو فيه، أي: نفي الحال وهو قوله:لا أشتم، ولا خارجاً، فإذا لم يكن العامل في الحال «عاهدت» على ما حكاه سيبويه عن عيسى كان نصبه على أحد وجهين: إما أن يكون المفعول الثاني من ترني كأنه قال: ألم ترني لا شاتماً مسلماً ولا خارجاً من فيّ زور كلام، فهذا وجه ذكره أبو بكر مبرمان. وأضاف السيرافي: ما يعجبني هذا؛ لأنّ «عاهدت» في موضع المفعول الثاني فقد تمّ المفعولان بـ«عاهدت». وأجود منه أن يكون على حلفة؛ كأنّه قال: على أن حلفت لا شاتماً ولا خارجاً، والمصدر وهو «حلفة» يعمل عمل الفعل. وكان الفرّاء يذهب مذهب عيسى بن عمر وينصب خارجا على الحال، ويجعل لا أشتم في موضع نصب؛ كأنه قال: لا شاتما مسلما و«لا خارجا» عطف عليه. وبعض النحويين ينصب خارجا لوقوعه موقع يخرج على ما تقدّم، وقد ذكرنا الحجّة[1].

(١) شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ج٢ ص٢٣٤ ٢٣٥.

وعلى ما يظهر لا يوجد مانع يمنع أن يكون العامل في الحال «خارجاً» و«أشتم بمعنى شاتماً» «عاهدت» على ما ذكر المبرد والزجاج، وإن كان سيبويه فهم من رأي عيسى بن عمر القائل بالنصب على الحال أنّه لا يجعل العامل فيه هو «عاهدت».

٣/ رفعه (الأوّل) بدلاً من الضمير في حكايتهم: ادخلوا الأوّلُ فالأوّلُ؛ فقد جاء في الكتاب «أن عيسى بن عمر كان يقول: ادخلوا الأول فالأول، على البدل من الواو؛ لأن معناه: ليدخل الأول فالأول»(١).

ولم يجز ذلك سيبويه لأن لفظ الأمر للمواجه لا يجوز أن يعرّى من ضمير، وإذا أبدل الظاهر منه فكأنه لا ضمير فيه، ألا ترى أنه لا يجوز: ادخلا الزيدان، ولا ادخلوا غلمان زيد، فتبدل من ضمير الاثنين والجماعة المخاطبين لأنا لا نقول: ادخل غلمان زيد، فإذا أبدلنا فقد أبطلت الواو. ولم يفسر سيبويه علته بل جوزه على وجه من وجوه ما يحمل على المعنى، وهو قولهم(٢):

لَيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ

وبعض النحاة يذهب إلى أنّ الرفع هنا على إضمار فعل آخر وليس على البدل؛ قال أبو حيان: «وإذا قيل: دخلوا الأولُ فالأولُ بالرفع كان بدلاً من الضمير، فلو قلت: ادخلوا الأولُ فالأولُ بالرفع، فليس بدلاً، بل على إضمار فعل، دلت عليه الأول تقديره: ليدخل الأول فالأول»(٣).

والوجه الذي يذهب إليه معظم النحويين في حكاية: ادخلوا الأوّل فالأوّل، هو النصب على الحال؛ بمعنى ادخلوا مترتّبين، وهو من قبيل الأحوال المعرفة القليلة الورود في الاستخدام، والتي تؤوّل بالنكرة؛ وهي إمّا مُعرّفةً بـ«أل» أو بالإضافة؛ فمن المعرّف بـ«أل»: جاءوا الجماءَ الغفيرَ؛ أي: جميعاً، وأرسلها العراكَ، أي: معتركة، ومنه قراءة

(١) الكتاب، سيبويه، ج١ ص٣٩٨.

(٢) شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ج٢ ص٢٨٨.

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ج٣ ص١٥٦٥.

بعضهم: «لَيَخْرُجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ»[1] بِفَتْحِ الْيَاءِ أَيْ ذَلِيلًا. ومن المعرف بالإضافة قولهم: رجع عودَه على بدئه، وجلس وحده، وفعل ذلك جهده[2].

٤/ رأيه في الصفة «الاسم المشتق» الذي هو ليس للاسم الأول؛ فهل ينصب على أنّه حال أم يتبع ما قبله، فقد جاء في الكتاب[3] «وصفتُ ما التبس به أو بشيء من سببه كمجرى صفته التي خَلصتْ له هذا ما كان من ذلك عملا. وذلك قولك: مررتُ برجلٍ ضاربٍ أبوه رجلاً، ومررتُ برجلٍ ملازمٍ أبوه رجلا. ومن ذلك أيضاً: مررت برجل ملازم أباه رجلٌ، ومررت برجل مخالط أبه داءٌ. فالمعنى فيه على وجهين: إن شئت جعلته يلازمه ويخالطه فيما يُستقبل، وإن شئت جعلته عملا كائنا في حال مرورك. وإن ألقيتَ التنوينَ وأنت تريد معناه جرى مثله إذا كان منوناً. ويدلك على ذلك أنك تقول: مررتُ برجلٍ ملازمك. فيَحسُن ويكون صفة للنكرة، بمنزلته إذا كان منونا. وحين قلت: مررتُ برجل ملازم أباه رجلٌ، وحين قلت: مررتُ برجل ملازم أبيه رجلٌ، فكأنك قلت في جميع هذا: مررتُ برجل ملازم أباه، ومررتُ برجلٍ ملازم أبيه، لأن هذا يجري مجرى الصفة التي تكون خالصة للأول. وتقول: مررتُ برجلٍ مخالِطِ بَدنه أو جسدِه داءٌ، فإن ألقيتَ التنوينَ جرى مجرى الأول إذا أردتَ ذلك المعنى، ولكنك تلقى التنوين تخفيفا.

فإن قلت: مررتُ برجلٍ مخالطِه داء، وأردتَ معنى التنوين جرى على الأول، كأنك قلت: مررتُ برجل مخالطٍ إياه داء. فهذا تمثيل، وإن كان يقبحُ في الكلام.فإذا كان يجري عليه إذا التبس بغيره فهو إذا التبس به أحرى أن يجري عليه.وإن زعم زاعمٌ أنه يقول مررتُ برجل مخالطِ بدنه داء، ففرق بينه وبين المنوَّن. قيل له: ألستَ تعلم أن الصفة إذا كانت للأول فالتنوين وغير التنوين سواء، إذا أردت بإسقاط التنوين معنى التنوين، نحو قولك: مررتُ برجل ملازمِ أباك، ومررت برجلٍ ملازمِ أبيك، أو

(١) المنافقون: ٨

(٢) شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ج٢ ص٣٢٦.

(٣) الكتاب، سيبويه، ج٢ ص١٨ ٢١.

ملازِمك، فإنه لا يجد بُدّاً من أن يقول نعم، وإلا خالف جميعَ العرب والنحويين. فإذا قال ذلك قلتَ: أفلستَ تجعل هذا العمل إذا كان منونا وكان لشيء من سبب الأول أو التبس به، بمنزلته إذا كان للأول؟ فإنه قائل: نعم،وكأنك قلت مررتُ برجل ملازم. فإذا قال ذلك قلتَ له: ما بالُ التنوين وغير التنوين استويا حيث كانا للأول واختلفا حيث كانا للآخِر، وقد زعمتَ أنه يجري عليه إذا كان للآخِر كمجراه إذا كان للأول. ولو كان كما يزعمون لقلتَ: مررتُ بعبد الله الملازمِه أبوه؛ لأن الصفة المعرفة تجري على المعرفة كمجرى الصفة النكرة على النكرة. ولو أن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق بعربيتها تقوله لم يُلتفت إليه، ولكنا سمعناها تنشد هذا البيت جراً، وهو قول ابن ميادة المُرّيّ، من غَطَفان:

وارتَشْـنَ حـينَ أردنَ أن يَرمينَنَـا نَبـلاً بـلا ريـشِ ولا بقِـداحِ
ونظـرْنَ مـن خَلَـل الخـدور بأعيُنٍ مَـرضى مُخالطهـا السّـقامُ صِحـاحِ

وسمعنا من العرب من يرويه ويروى القصيدة التي فيها هذا البيت، لم يلقنه أحدٌ هكذا.

وأنشد غيره من العرب بيتا آخر فأجروه هذا المجرى، وهو قوله:

حَمـينَ العَراقيبَ العصـا وتركنَه بـه نَفَـسٌ عالٍ مُخالطُـه بُهْـرُ

فالعمل الذي لم يقع والعمل الواقع الثابت في هذا الباب سواء، وهو القياس وقولُ العرب. فإن زعموا أن ناساً من العرب ينصبون هذا فهم ينصبون: به داء مخالطَه، وهو صفة للأول. وتقول: هذا غلامٌ لك ذاهباً. ولو قال: مررتُ برجل قائما جاز، فالنصب على هذا.

وإنما ذكرنا هذا لأنّ ناساً من النحويين يفرقون بين التنوين وغير التنوين، ويفرقون إذا لم ينونوا بين العمل الثابت الذي ليس فيه علاجٌ يرونه، نحو الآخذ واللازم والمخالط وما أشبهه، وبين ما كان علاجاً يرونه، نحو الضارب والكاسر، فيجعلون هذا رفعاً على كل حال، ويجعلون اللازم وما أشبهه نصباً إذا كان واقعاً، ويُجرونه على الأقل

إذا كان غير واقع. وبعضهم يجعله نصبا إذا كان واقعاً ويجعله على كل حال رفعاً إذا كان غير واقع. وهذا قول يونس، والأول قول عيسى.

وقد فصّل السيرافي رأي عيسى بن عمر بقوله[1]: «ولمن خالف سيبويه في الصفة المضافة التي ليست للأول، ولما التبس به في هذا الباب مذهبان: أحدهما: مذهب عيسى بن عمر، وهو أنه جعل ما في هذا الباب عملين. أحدهما- عمل ثابت ليس فيه علاج يرونه نحو الآخذ واللازم والمخالط وما أشبهه. والآخر- عمل فيه علاج نحو الضارب والكاسر، وفتح اللفظ به فيه على ثلاثة أقسام، فجعل ما كان من باب الصفات من باب الضارب والكاسر إذا لم يكن الاسم الأول الموصوف رفعاً على كل حال، كقولك: مررت برجل ضاربه عمرو، ورأيت رجلاً ضارب أبيه عمرو، والثاني: أنه جعل اللازم نصباً إذا كان واقعاً كقولك: مررت برجل ملازمه زيد، وبماء مخالطه عسل، وأتيت بلبن ممازجه ماء إذا كانت الملازمة والمخالطة والممازجة قد وقعت ووجدت، كأنه قال: ملازمه الساعة، ومخالطه الساعة، وممازجه الساعة، والثالث: أنه جعل الفعل والملازم إذا كان غير واقع جارياً على الأول؛ وذلك قولك: مررت برجل مفارقه الروح، وبرجل متلفه السير، إذا لم يقع المتلف ومفارقه الروح؛ كأنه قال: متلفه غداً السير».

٥/ قوله بجواز نصب الحال بعد النكرات المشابهة للمعرفة مقارنة بنصبها في نحو قولهم: هذا رجلٌ منطلقاً؛ جاء في الكتاب: «ومن قال هذا أول فارسٍ مقبلاً، من قبل أنّه لا يستطيع أن يقول هذا أولُ الفارس، فيُدخل عليه الألف واللام فصار عنده بمنزلة المعرفة، فلا ينبغي له أن يصفه بالنكرة، وينبغي له أن يزعم أن درهماً في قولك عشرون درهماً معرفة، فليس هذا بشيء، وإنما أرادوا من الفرسان، فحذفوا الكلام استخفافا، وجعلوا هذا يُجزِئُهم من ذلك. وقد يجوز نصبُه على نصب: هذا رجلٌ منطلقاً، وهو قول عيسى»[2].

(١) شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ج٢ ص٣٥١ ٣٥٢.
(٢) الكتاب، سيبويه، ج٢ ص١١٢.

ولعل هذه المقارنة مبنيّة في الأساس على أنّ الحال يقع بعد تمام الجمل الاسميّة، وهي ناحية موجودة في الوضعين.

٦/ نصبه «مطر» مع التنوين في قول الأحوص:

سـلامُ اللهِ يـا مطـرًا عليهـا وليـس عليـك يا مطـرُ السـلامُ

ورد في الكتاب: « وكان عيسى بن عمر يقول يا مطراً، يشبّه بقوله يا رجلاً، يجعله إذا نُوّن وطال كالنكرة. ولم نسمع عربياً يقوله، وله وجه من القياس إذا نُوّن وطال كالنكرة. ويا عشرين رجلاً كقولك: يا ضارباً رجلاً»[١].

واختيار عالمنا الجليل لتنوين النصب إنّما هو لرده إلى الأصل؛ إذ الأصل في المنادى أن يكون منصوباً، وقد تبعه في هذا عدد من النحاة فيهم يونس بن حبيب والجرمي والمبرد[٢].

٧/ تجويزه كسر همزة «إنّ» بتضمين معنى القول في الكلام؛ وذلك محمول على قراءته لقوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾[٣]؛ فقد ورد في الكتاب «كان عيسى يقرأ هذا الحرف: «فدعا ربَّه أني مغلوبٌ فانتصر» أراد أن يحكي[٤].

وهناك اختلاف يسير بين النحاة في هذه المسألة؛ فهل تضمّن الأفعال الموجودة معنى القول أم أن الكلام يضمّن معنى القول فيقّدر فيه وهو ما يُعرف بالحكاية؛ قال السيوطي: «وهل يلحق بالقول في ذلك معناه كـ «ناديت وجعوت وقرأت ووصيت وأوحى؛ قولان: أحدهما: نعم؛ وعليه الكوفيون نحو {ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك}[٥] - {فدعا ربه أني مغلوب فانتصر}[٦] بالكسر - {فأوحى إليهم ربهم لنهلكن

(١) المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٣.

(٢) شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١، عام النشر: عدة سنوات (١٣٩٣ - ١٤١٤ هـ)، ج٦ ص٥٤.

(٣) القمر: ١٠.

(٤) الكتاب، سيبويه، ج٣ ص١٤٣.

(٥) الزخرف: ٧٧.

(٦) القمر: ١٠.

الظالمين}[1] - قرأت {الحمد لله رب العالمين}[2] واختاره ابن عصفور وابن الصائغ وأبو حيان لسلامته من الإضمار؛ والثاني: لا؛ وعليه البصريون وقالوا الجمل بعد ما ذُكر محكية بقول مضمر للتصريح به في {نادى ربه نداء خفيا قال رب}[3]- {ونادى نوح ربه فقال رب}[4]»[5].

والظاهر أنّ رأي البصريين هو الأرجح في هذه المسألة؛ إذ أنّ تضمين الكلام معنى القول عبر الحكاية أوفق للمعنى؛ وهو ما لا يوجد في بعض الأحيان حال تضمين الفعل الموجود معنى القول.

٨/ عدم تجويزه صرف ما سُمّي بفعل لا ضمير فيه ولا زيادة في أوله وله نظير من الأسماء؛ قال سيبويه: «هذا باب ما ينصرف من الأفعال إذا سميت به رجلاً زعم يونس: أنك إذا سميت رجلاً بضارب من قولك: ضاربٌ، وأنت تأمر، فهو مصروف. وكذلك إن سميته ضارب، وكذلك ضرب. وهو قول أبي عمرو والخليل، وذلك لأنَّها حيث صارت اسماً في موضع الاسم المجرور والمنصوب والمرفوع، ولم تجيء في أوائلها الزوائد التي ليس في الأصل عندهم أن تكون في أوائل الأسماء إذا كانت على بناء الفعل غلبت الأسماء عليها إذا أشبهتها في البناء وصارت أوائلها الأوائل التي هي في الأصل للأسماء، فصارت بمنزلة ضارب الذي هو اسم، وبمنزلة حجرٍ وتابلٍ، كما أنَّ يزيد وتغلب يصيران بمنزلة تنضبٍ ويعمل إذا صارت اسماً.

وأما عيسى فكان لا يصرف ذلك. وهو خلاف قول العرب، سمعناهم يصرفون الرجل يسمَّى: كعبساً؛ وإنَّما هو فعل من الكعبسة، وهو العدْو الشديد مع تداني الخطا. والعرب تنشد هذا البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي:

---

(١) إبراهيم: ١٣.

(٢) الفاتحة: ٢.

(٣) مريم: ٣، ٤.

٤ / هود: ٤٥

(٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، ج١ ص٥٦٤.

أنـا ابـنُ جَـلا وطـلاّع الثنّايـا مـتى أَضَـعِ العِمامـةَ تَعْرِفـوني

ولا نراه على قول عيسى ولكنَّه على الحكاية، كما قال:

بَني شابَ قَرناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ

كأنّه قال: أنا ابن الذي يقال له: جلا.....»[1].

ولعل هذه المسألة تُعدّ فيما انفرد به عالمنا الجليل في آرائه النحويّة؛ بل وخالف فيها أئمة البصريين كما هو واضح من النص السابق، وقد استشهد لها ب»جلا» في البيت السابق؛ الذي وجّه سيبويه الأمر فيه على الحكاية؛ وهي ناحية محكوم بها إذا كان في الفعل ضميرٌ أو معه فاعل اسم ظاهر كما في البيت الثاني المستشهد به»بَني شابَ قَرناها»؛ لأنّ الوضع سيكون وضع جملة ويجب أن تُحكى.

٩/ تجويزه صرف امرأة اسمها عمرو ونحوه؛ فقد ورد في الكتاب: « فإن سميت المؤنث بعمرو أو زيد، لم يجز الصرف.هذا قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو، فيما حدثنا يونس، وهو القياس؛ لأنَّ المؤنث أشد ملاءمة للمؤنث. والأصل عندهم أن يسمى المؤنث بالمؤنث، كما أنَّ أصل تسمية المذكَّر بالمذكر.وكان عيسى يصرف امرأة اسمها عمرو، لأنَّه على أخف الأبنية.هذا باب أسماء الأرضين إذا كان اسم الأرض على ثلاثة أحرف خفيفةٍ وكان مؤنثاً، أو كان الغالب عليه المؤنث كعمان، فهو بمنزلة: قدر، وشمس، ودعد.وبلغنا عن بعض المفسَّرين أن قوله عزَّ وجلَّ: « اهبطوا مصر»، إنما أراد مصر بعينها»[2].

ومسألة صرف وعدم صرف نحو: عمرو وزيد إذا سمّيت به المؤنّث ناحية اختلف فيها النحاة؛ قال ابن السرّاج: «فإن سميت مؤنثاً باسم ثلاثي متحرك الأوسط فهو غير مصروف نحو: امرأة سميتَها بقدَمٍ، فإن كان الثلاثي ساكن الأوسط نحو: هنْدٍ ودَعْدٍ وجُمْلٍ فمن العرب من يصرف لخفة الاسم، وأنه أقل ما تكون عليه الأسماء من العدد

(١) الكتاب، سيبويه، ج٣ ص٢٠٦ ٢٠٧.

(٢) الكتاب، سيبويه، ج٣ ص٢٤٢.

والحركة، ومنهم من يلزم القياس فلا يصرف، فإن سميت امرأة باسم مذكرٍ -وإن كان ساكن الأوسط- لم تصرفه نحو: زيدٍ وعمروٍ، لأن هذه من الأخف وهو المذكر إلى الأثقل وهو المؤنث فهذا مذهب أصحابنا»[1].

وقد ورد التنبيه على رأي عيسى بن عمر السابق في موضع آخر من كتاب سيبويه؛ فقد ورد «باب تغيير الأسماء المبهمة إذا صارت علاماتٍ خاصة وذلك: ذا، وذي، وتا، وألا، وألاء وتقديرها أولاع. فهذه الأسماء لما كانت مبهمة تقع على كلّ شكل شيء، وكثرت في كلامهم، خالفوا بها ما سواهامن الأسماء في تحقيرها وغير تحقيرها، وصارت عندهم بمنزلة لا وفي نحوها، وبمنزلة الأصوات نحو: غاق وحاء. ومنهم من يقول: غاقٍ وأشباهها؛ فإذا صار اسماً عمل فيه ما عمل بلا؛ لأنَّك قد حولته إلى تلك الحال كما حولت لا.وهذا قول يونس والخليل ومن رأينا من العلماء، إلا أنك لا تجري ذا اسم مؤنث لأنه مذكر إلا في قول عيسى، فإنه كان يصرف امرأة سميتّها: بعمرو»[2].

١٠/ صرفه ل «أحيّ»؛ قال سيبويه: «وأما عيسى فكان يقول: أحيٌّ ويصرف وهو خطأ. لو جاز ذا لصرفت أصمَّ لأنَّه أخف من أحمر، وصرفت أرأس إذا سميت به ولم تهمز فقلت: أرس.وأما أبو عمرٍ فكان يقول: أحّيٍ. ولو جاز لقلت في عطاءٍ: عطيٍ لأنَّها ياء كهذه الياء، وهي بعد ياء مكسورة، ولقلت في سقايةٍ: سقيّية وشاوٍ: شوٍي.وأما يونس فقوله: هذا أحيٌّ كما ترى، وهو القياس والصواب»[3].

ولعلّ عالمنا الجليل بنى رأيه على نقص «أحيّ» وخروجه عن زنة «أفْعَل»؛ قال ابن يعيش: «ومن ذلك «أحْوَى»، وهو «أفْعَلُ» من «الحُوَّة»، وهي سُمْرَةُ الشَّفَة. يُقال: «رجلٌ أحْوَى»، و«امرأةٌ حَوّاءُ»، وهو من باب «الهُوَّة» و«القُوَّة»، عينُه ولامه واوٌ. وإنّما وقعت الواو رابعة، فانقلبت ياءً على حدّ انقلابها في «أغْزَيْت» و«أدعَيتُ»، ثمْ قُلبت الياء ألفًا؛ لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها. فإذا صغّرته قلت: «أُحَيٌّ» غيرَ مصروف، هذا مذهب

(١) الأصول في النحو، ابن السرّاج: أبو بكر محمد بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ب ت)، ج٢ ص٨٥.

(٢) الكتاب، سيبويه، ج٣ ص٢٨١.

(٣) المصدر السابق، ج٣ ص٤٧٢.

سيبويه، وذلك أنّك زدت ياءَ التصغير ثالثةً، فاجتمعت مع الواو التي هي عينٌ، فانقلبت ياء على ما قدّمناه، وكان بعدها الياء المبدلة من لام الكلمة، فاجتمع ثلاثُ ياءات، فحُذفت الأخيرةُ، ولم يُعْتَدّ بالنقص؛ لأنّ ما حُذف للتخفيف كان في حكم المنطوق به. وقاسَه سيبويه على «أصَمُّ» فإنّه لا ينصرف، وإن كان نقص عن بنيةِ «أفْعَلُ». ألا ترى الأصل «أصمَمُ»، فلمّا أريد الإدّغامُ نقلوا حركة العين إلى الفاء، ففارَقَ بناءَ «أفْعَلُ»، ومع ذلك فهو لا ينصرف. وكان عيسى بن عمر يصرفه؛ ويقول: «أُحَيٌّ يا فَتَى»، كأنّه اعتبر نَقْصَه وخروجَه عن زنةِ (أفْعَلُ)»[1].

ب/ الروايات عن العرب وشعرائها:

١/ روايته لقول الشاعر الآتي بحذف التنوين لالتقاء الساكنين؛ جاء في الكتاب: «وزعم عيسى أَن بعض العرب يُنشد هذا البيت، لأبي الأسود الدؤلي:

فألْفَيْتَــه غــيرَ مُسْــتَعْتِبٍ ولا ذاكِــرِ اللهِ إلاّ قَلِيــلاً

لم يَحذف التنوينَ استخفافاً ليُعاقِبَ المجرورَ، ولكنه حَذَفَه لالتقاء الساكنينِ، كما قال: رَمَى القومُ. وهذا اضطرارٌ، وهو مشبَّهٌ بذلك الذى ذكرتُ لك»[2].

وإسقاط التنوين لالتقاء الساكنين هو القياس، ويفترض أن يُجرّ اسم الجلالة بالإضافة بعد ذلك؛ ولكن بعض النحاة ينصبون اسم الجلالة مفعولاً به كأنّ التنوين موجود؛ وذلك لأنّ التنوين إنّما حذف لالتقاء الساكنين وليس لغرض الإضافة[3].

٢/ روايته لاسم الفاعل دون تنوين لدلالته على الماضي ووجه الإضافة هو المختار؛ قال سيبويه: « وزعم عيسى أنَّهم يُنشِدون هذا البيت:

(١) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ج٣ ص٤١٤ – ٤١٥.

(٢) الكتاب، سيبويه، ج١ ص١٦٩.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ابن الانباري:، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ج٢ ص٥٤٤.

هَـل أَنـتَ باعِـثُ دينـارٍ لِحاجَتِنا أَو عَبـدَ رَبٍّ أَخا عَـونِ بنِ مِخراقِ

فإذا أَخْبَرَ أَنّ الفعل قد وقع وانقطع فهو بغير تنوين البَتَّةَ؛ لأنَّه إنما أُجْرِيَ مُجرى الفِعل المضارِع له، كما أَشبَهه الفعلُ المضارعُ في الإعراب، فكلُّ واحد منهما داخل على صاحبه، فلما أَراد سِوى ذلك المعنى جرى مجرى الأسماء التي من غير ذلك الفعل، لأنَّه إنما شُبِّهَ بما ضارعه من الفعل كما شبه به في الإعراب؛ وذلك قولك: هذا ضاربُ عبدِ الله وأخيه؛ وجهُ الكلام وحدُّه الجرُّ؛ لأنَّه ليس موضعاً للتنوين. وكذلك قولك: هذا ضارِبُ زيدٍ فيها وأخيه، وهذا قاتلُ عمروٍ أَمسِ وعبدِ الله، وهذا ضاربُ عبدِ الله ضَرْباً شديداً وعمروٍ، ولو قلت: هذا ضاربُ عبدِ الله وزيداً، جاز على إضمارِ فِعل»[1].

ومن المعهود عند النحاة أنّ المشتق لا يعمل عمل فعله إلّا إذا كانت دلالته على المستقبل أو الحال؛ فإن كانت دلالته ماضية لم يعمل؛ ويُختار وضع الإضافة عندئذٍ؛ فإذا قلت: هذا مكرم زيد أمس – فإضافة المشتق إلى زيد هو الصحيح.

٣/ روايته نصب الاسم المشتق حالاً دون ذكر فعله؛ فقد جاء في الكتاب: «وأما قولهم: راشداً مهديّاً، فإنهم أضمروا اذْهَبْ راشدا مهديّا. وإن شئتَ رفعتَ كما رفعت مصاحَبٌ مُعانٌ، ولكنه كَثُرَ النصبُ في كلامهم، لأنَّ راشدا مهديّا بمنزلة ما صار بدلاً من اللفظ بالفعل، كأَنه لَفَظَ برشدت وهديت. وسترى بيان ذلك إن شاء الله. ومثله: هنيئاً مَرِيئاً.وإن شئت نصبت فقلت: مبروراً مأجوراً، ومصاحَباً مُعاناً. حدّثنا بذلك عن العرب عيسى ويونس وغيرُهما، كأَنَّه قال: رجعتَ مبروراً، واذهبْ مصاحَباً[2].

وهذا النصب بإضمار الفعل نظير نصب المصدر في قولهم: عفواً، وقياماً، وسقياً لك، ونحوها، وإن كان حذف الفعل في حالة المصدر واجباً لأنّه بدل من فعله.

٤/ وورود روايته لأبيات للفرزدق في بعض النسخ وفي نسخ أخرى تسند الرواية ليونس بن حبيب، قال السيرافي في شرحه للكتاب: «وزعم يونس- وفي بعض النسخ عيسى- أنه سمع الفرزدق ينشد:

(١) الكتاب، سيبويه، ج١ ص١٧١.

(٢) المصدر السابق، ج١ ص٢٧١.

كَـمْ عمةٍ لك يـا جريـرُ وخالةٍ فـدعاءَ قـد حلبتْ عليَّ عشـاري
شـغّارةٍ تقـذُ الفصِيـلَ بِرِجْلهَـا فطّـارةٍ لقَـوَادِم الأَبـكَارِ

جعله شتماً كأنّه حين ذكر الحلب صار من يخاطب عنده عالماً بذلك، ولو ابتدأه وأجراه على الأول كان جائزاً عربياً.

وترتيب الأبيات في شعره بين البيت الأول والثاني:

كنّا نُحَاذِرُ أنْ تضيعَ لِقاحَنَا ولْهَى إذا سَمِعَتْ دعاءَ يسارِ

شغارة: تبول كما يشغر الكلب ببوله، تقذ الفصيل برجلها إذا دنا من أمه وهي تحلب تضربه برجلها من خلف مثل الرمح فتدقّ عنقه، والفطر: الحلب بالسبابة والوسطى وتستعين بطرف الإبهام، والخلفان: المقدمان من الضرع، هما القادمان، والجمع: قوادم، والأبكار تحلب قطرا لأنه لا يمكن حلبها صباً لأن أخلافهن صغار قصار والأبكار جمع بكر، أوّل ما تلد، ويسار: اسم راع إذا سمعت دعاءه ولهت إليه صبابة به، رماها بالربية»[1].

ويُروى البيت السابق برفع العمة ونصبها وجرها، فمن جرها أو نصبها جعل كم خبريّة في الوجهين، وقد يجوز أن يكون من نصبها أراد الاستفهام بها تهكّماً، ومن رفع العمة فإنما سأل أو أخبر عن الحلبات؛ أراد: كم حلبة، ورفع العمة بالابتداء، وجعل وله: «قد حلبت» خبرًا عنها[2].

٥/ روايته بيت ذي الرمة بالنصب على المدح، قال سيبويه: «وزعم عيسى أنه سمع ذا الرمة يُنشد هذا البيت نصباً:

لَقَد حَمَلَت قَيسُ بنُ عَيلانَ حَربَها عَلى مُستَقِلٍّ لِلنَوائِبِ وَالحَربِ
أَخاها إِذا كانَت غِضاباً سَما لَها عَلى كُلِّ حالٍ مِن ذَلولٍ وَمِن صَعبِ

(١) شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ج٢ ص٤٠١.

(٢) توجيه اللمع، ابن الخبّاز: أحمد بن الحسين، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص٤٠٠.

وزعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا مَن تخاطب بأمرٍ جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمتَ، فجعله ثناء وتعظيماً»[١].

وقد قُطع البدل «أخاها» عن متبوعه «مستقل» للمدح فنُصب؛ ورد في كتاب الجمل المنسوب للخليل: «نصب أخاها على الْمَدْح وَلَوْلَا ذَلِك لخفضه على الْبَدَل من مُسْتَقل؛ وَإِنَّمَا ينصب الْمَدْح والذم والترحم والاختصاص على إِضْمَار أَعنِي.....»[٢].

٦/ روايته عن العرب ما يسند ناحية جعل ضمير الفصل بعد النواسخ مبتدأ وما بعده خبر؛ جاء في إمام كتب النحويين «وقد جعل ناسٌ كثيرٌ من العرب هو وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسمٍ مبتدأ وما بعده مبني عليه، فكأنك تقول: أظن زيدا أبوه خيرٌ منه، ووجدتُ عمرا أخوه خيرٌ منه. فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيداً هو خيرٌ منك. وحدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرؤونها: « وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانوا هُمُ الظَّالِمُونَ « الزخرف: ٧٦. وقال الشاعر، قيس بن ذريح:

تُبَكّي على لُبنى وأنتَ تركتَها وكنتَ عليها بالمَلا أنتَ أقدرُ

وكان أبو عمرو يقول: إن كان لهو العاقلُ»[٣].

وهذا الشاهد في الضمير المسمى عند البصريين فصلاً وعند الكوفيين عماداً، وهو الضمير الذي يقع بلفظ المرفوع المنفصل، مطابقا لمعرفة قبله، تكون في موضع المبتدأ أو اسماً لأحد النواسخ، وبعدها الخبر، ويفصل هو بينها وبين الخبر، وأجاز بعضهم وقوعه بين نكرتين كمعرفتين، وربما وقع بين حال وصاحبها، وربما وقع بلفظ الغيبة بعد حاضر قائم مقام مضاف.وسُمي هذا الضمير فصلاً للفصل به بين شيئين لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولانفصال السامع عن توهم الخبر تابعاً. وسمي عمادا لأنه معتمد عليه في تقرير المراد ومزيد البيان.

(١) الكتاب، سيبويه، ج٢ ص٦٥.

(٢) الجمل في النحو، الخليل: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص٩٠.

(٣) الكتاب، سيبويه، ج٢ ص٣٩٢ ٣٩٣.

وفي كثير من المواضع لا يحمل هذا الضمير موضعاً إعرابيّاً؛ خلافاً لبعض النحويين؛ إذ جعل له قبيلٌ منهم موضعاً إعرابيّاً كأن يجعله توكيداً لما قبله أو مبتدأ وبعده خبره؛ وهذا الوضع الثاني هو الذي فيه الشاهد السابق؛ حيث جعل الضمير «هم» في تلك القراءة مبتدأ والظالمون خبره والجملة في موضع نصب خبراً لـ «كان»(١).

٧/ روايته عن بعض العرب رفع الفعل المضارع بعد «إذن»؛ قال سيبويه: «وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون: إذن أفعلُ ذاك، في الجواب. فأخبرت يونس بذلك فقال: لا تبعدن ذا. ولم يكن ليروي إلا ما سمع، جعلوها بمنزلة هل وبل»(٢).

ومعلوم أنّ «إذن» يُنصب بعدها المضارع بشروط: أحدها: أن يكون الفعل مستقبلاً، ثانيها: أن تكون مصدرة، ثالثها: أن لا يفصل بينها وبين منصوبها؛ وذلك نحو: أن يقال أنا آتيك فتقول إذن أكرمَك(٣).

ورواية عالمنا الجليل السابقة فيها الاستيفاء للشروط الثلاثة السابقة، ومع ذلك رفعت بعض العرب الفعل المضارع.

٨/ روايته حذف الهمزة المتحركة التي يسبقها حرف ساكن تخفيفاً؛ فقد ورد في الكتاب «واعلم أنَّ كل همزةٍ متحركة كان قبلها حرفٌ ساكن فأردت أن تخفف حذفتها، وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها؛ وذلك قولك: من بوك ومن مُّك وكم بلك، إذا أردت أن تخفِّف الهمزة في الأب والأم والإبل.ومثل ذلك قولك ألحمر إذا أردت أن تخفف ألف الأحمر. ومثله قولك في المرأة: المرة، والكمأة: الكمة. وقد قالوا: الكماة والمراة ومثله قليل.وقد قال الذين يخفِّفون: «ألا يسجدوا لله الَّذي يخرج الخب في السَّموات» النمل: ٢٥، حدثنا بذلك عيسى؛ وإنَّما حذفت الهمزة ههنا لأنك لن ترد أن تتم وأردت إخفاء الصوت، فلم يكن ليلتقي ساكن وحرفٌ هذه قصته كما لم

(١) شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، ج١ ص١٦٧ ١٦٩.

(٢) الكتاب، سيبويه، ج٣ ص١٦.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل: عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٩٨٠م، ج٤ ص٦.

يكن ليلتقي ساكنان»[1].

وحذف الهمزة تخفيفاً كثيرٌ في كلامهم؛ ومن ذلك ما نجده في تأصيلهم لاسم الجلالة الله؛ يقولون فيه أنّ الأصل «إلٰه- إلاهٌ» فحذفت منه الهمزة تخفيفًا فبقي: «لاهٌ» ثمّ أدخلت الألف واللّام وجعلتا عوضًا من الهمزة المحذوفة، ولمّا كانت لام التّعريف ساكنة أُدغمت في اللّام الأصليّة فقيل: «الله»[2].

والسبب في هذا الحذف للهمزة أنّها من حروف الحلق السفليّة وفيها من القوة والشدة ما فيها فيصعب النطق بها أحياناً؛ لذا يمدّ الألف قبلها إلى ست حركات في القراءات القرآنية في نحو: السماء، جاء، سائل، ونحوها.

وحذف الهمزة تخفيفاً له نظائر في اللهجات العربية العاميّة في وقتنا الحاضر؛ ومن ذلك قولهم: «المرا - المرة» بدلاً عن المرأة، ولهذا وجه قديم في لغة العرب كما ورد عبارة سيبويه السابقة؛ ومن ذلك أيضاً: الكاس بدلاً عن الكأس والراس بدلاً عن الرأس والفاس بدلاً عن الفأس؛ ونحو هذا كثير.

٩/ روايته عن العرب حذف لام الفعل المعتل في نحو: «يرمي، ويغزو، ويرضى» وعدم الإتيان بهاء السكت عوضاً عن المحذوف وتنويهاً بأمره لظهور حركة الحرف الأخير فيما تبقى عندئذٍ، وهو أمرٌ لا يتأتي دونها حال الوقف؛ قال سيبويه في باب ما تلحقه الهاء في الوقفلتحرك آخر الحرف: «وذلك قولك في بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن لامٌ في حال الجزم: ارمه، ولم يغزه، واخشه، ولم يقضه، ولم يرضه؛ وذلك لأنهم كرهوا إذهاب اللامات والإسكان جميعاً، فلما كان ذلك إخلالاً بالحرف كرهوا أن يسكنوا المتحرك؛ فهذا تبيان أنه قد حذف آخر هذه الحروف.وكذلك كل فعل كان آخره ياءً أو واواً وإن كانت الياء زائدة، لأنها تجري مجرى ما هو من نفس الحرف، فإذا كان بعد ذلك كلامٌ تركت الهاء، لأنك إذا لم تقف تحركت، وإنما كان السكون للوقف،

(١) الكتاب، سيبويه، ج٣ ص٥٤٥.

(٢) شرح التصريف، الثمانيني: أبو القاسم عمر بن ثابت، تحقيق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص٣٩٨ – ٣٩٩.

فإذا لم تقف استغنيت عنها وتركتها.وقد يقول بعض العرب: ارم في الوقف واغز واخش، حدّثنا بذلك عيسى بن عمر ويونس. وهذه اللغة أقل اللغتين، جعلوا آخر الكلمة حيث وصلوا إلى التكلم بها، بمنزلة الأواخر التي تحرّك مما لم يحذف منه شيءٌ، لأن من كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع ما هو فيه»[1].

ولعل ما رواه عالمنا الجليل ويونس بن حبيب عن العرب من ترك هاء السكت عند الوقف بعد حذف أواخر الفعل المعتل - في نحو: ارمِ وانجُ وارضَ - يعتمد على إشمامهم الحرف الأخير فيها بعض الحركة المشابهة لحرف العلّة المحذوف كما يحدث عندنا كثيراً في الوقت الحاضر.

ومن خلال هذه الروايات التي تنسب لعيسى بن عمر يتضح أن الرواية قد تحمل في طيّاتها رأياً نحويّاً أو صرفيّاً له.

رابعاً: خاتمة البحث ونتائجه:

حاولت هذه الدراسة أن تستقصي آراء عالمٍ من علماء العربية القدامى ممّن كان له السبق في وضع أسس النحو وضوابطه في القياس والتعليل وهو عيسى بن عمر الثقفي؛ وذلك بتتبع مجهوده النحوي وآرائه ورواياته من خلال إمام كتب النحويين «كتاب سيبويه»؛ لعلّ في ذلك عوناً في التبصير بسمات تلك الآراء والروايات؛ خاصةً وأنّ الرجل لم يصلنا منه مصنفٌ نحويٌّ يُهتدى به لذلك وهذا شأن كثيرٍ من العلماء الأقدمين، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمّها ما يأتي:

١. ورود ذكر عالمنا الجليل عيسى بن عمر في كتاب سيبويه في عشر مسائل نحويّة، وتسع روايات عن العرب وشعرائها (حسب استقصاء الباحثيْنِ لذلك).
٢. ذكر عالمنا الجليل عيسى بن عمر في كتاب سيبويه قد يرد في المسألة النحويّة أو الرواية المعيّنة في أكثر من موضع في الكتاب.

(١) الكتاب، سيبويه، ج٤ ص١٥٩.

٣. انحصار آراء عيسى بن عمر في إمام كتب النحويين في الجانب النحوي تقريباً، ولم يرد له رأيٌ صرفيّ إلّا في رواية التخفيف بحذف الهمزة.

٤. حمل رواياته عن العرب وشعرائها في طيّاتها رأياً نحويّاً أو صرفيّاً له.

٥. اعتبار عيسى بن عمر من رواة اللغة العظام عن العرب وشعرائها سواءً في سند القواعد النحويّة أو الصرفيّة أو الخروج على القاعدة العامة.

٦. اشتراك عالمنا الجليل مع غيره من العلماء أحياناً في الرواية الواحدة عن العرب وشعرائها.

٧. انفراد عيسى بن عمر ببعض الآراء النحويّة؛ مثل صرفه لـ «أحيّ»، وإبداله «الأوّل» من واو الجماعة في قولهم: ادخلوا الأولُ فالأولُ.

٨. اعتماده على القياس في بعض آرائه النحويّة؛ مثل نصبه «مطر» المنادى في بيت الأحوص قياساً على نصب النكرة غير المقصودة؛ كذلك في نصبه الحال بعد النكرات المشابهة للمعرفة.

٩. بروز رأيه النحويّ أحياناً من خلال قراءته للقرآن الكريم أو من خلال رواية قراءة العرب لبعض الآيات.

١٠. عدم إيحاء مسائل النحو والصرف أو الروايات عن العرب وشعرائها في كتاب سيبويه المنسوبة لعيسى بن عمر بأنّ إمام كتب النحويين كان أساسه كتاب «الجامع» لعالمنا الجليل كما زعم بعضهم؛ نسبة لقلّتها وعدم بروزها في الأصول الرئيسة للنحو.

١١. احتواء كتاب سيبويه لبعض آراء عيسى بن عمر النحويّة والصرفيّة ورواياته عن العرب.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. أخبار النحويين – أبو طاهر البزّار: عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم، تحقيق: مجدي فتحي السيّد، طبعة دار الصحابة للتراث، ط١، طنطا - ١٤١٠ه.
٣. أخبار النحويين البصريين، السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م.
٤. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨ه - ١٩٩٨م.
٥. الأصول في النحو، ابن السراج: أبو بكر محمد بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦. الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين، تحقيق: د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين والأستاذ: بكر عباس، طبعة دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م.
٧. إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، المكتبة العنصرية، ط١ بيروت - ١٤٢٤ه.
٨. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين – ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٣م.
٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
١٠. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، طبعة دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.
١١. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم – التنوخي: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط٢، القاهرة - ١٩٩٢م.
١٢. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب – د. محمد المختار ولد أبّاه، طبعة دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت - ٢٠٠٨م.
١٣. توجيه اللمع، ابن الخبّاز: أحمد بن الحسين، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط٢، ١٤٢٨ه - ٢٠٠٧م.
١٤. الجمل في النحو - الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة،

ط٥ ا، ١٩٩٥م.
١٥. سير أعلام النبلاء، الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ ه / ١٩٨٥م.
١٦. شرح ابن عقيل – ابن عقيل: عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث، القاهرة - ١٩٨٠م.
١٧. شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١، عام النشر: عدة سنوات (١٣٩٣ - ١٤١٤ ه).
١٨. شرح تسهيل الفوائد – ابن مالك: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله،تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٠م.
١٩. شرح التصريف، الثمانيني: أبو القاسم عمر بن ثابت، تحقيق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٩ه-١٩٩٩م.
٢٠. شرح كتاب سيبويه، – السيرافي: الحسن بن عبد الله المرزبان، تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيّد علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠٠٨م.
٢١. شرح المفصل – ابن يعيش:: يعيش بن علي بن يعيش،قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠٠١م.
٢٢. طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبعة دار المدني – جدة.
٢٣. الكتاب -سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة - ١٩٨٨ م.
٢٤. المدارس النحوية – شوقي ضيف: أحمد شوقي عبد السلام ضيف، طبعة دار المعارف.
٢٥. مشكل إعراب القرآن- أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥ه
٢٦. معاني القرآن، الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١.
٢٧. معجم الأدباء - ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت - ١٩٩٣م.
٢٨. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» - عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ ه - ١٩٨٨م.

٢٩. من تاريخ النحو العربي - سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، طبعة مكتبة الفلاح.
٣٠. نزهة الألباء في طبقات الأدباء - ابن الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، تحقيق: إبراهيم السامرائي، طبعة مكتبة المنار، ط٣، الزرقاء – الأردن - ١٩٨٥م.
٣١. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة - الشيخ محمد الطنطاوي، تحقيق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، ط١، طبعة مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ٢٠٠٥م.
٣٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.
٣٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر – بيروت.

معاجم
التعابير الاصطلاحية والسياقية الإلكترونية
وحاجة متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى لها

د. عبدالله وصل الجهني

Dictionaries of Idiomatic, Contextual and Electronic Expressions and the Arabic Language Learners' (Speakers of Other Languages) need of them

Dr. Abdullah Wasl Al-Juhani

مستخلص

يهدف البحث إلى بيان حاجة متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى إلى معاجم التعابير الاصطلاحية والسياقية الإلكترونية ودورها في زيادة الحصيلة اللغوية لديهم، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، من أهم **نتائج البحث**: تناوُله المعاجم السياقية والتعابير الاصطلاحية والمتلازمات اللفظية بالشرح والتوضيح، وإيضاحه حاجة متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى للمعاجم الإلكترونية للتعابير الاصطلاحية والسياقية، ووقوفه

Abstract

This study aims to reveal the need of Arabic language learners who speak other languages of dictionaries of idiomatic, contextual and electronic expressions and their role in increasing their linguistic vocabulary. The researcher used descriptive method, and the most important findings of the study are: the study interpreted and illustrated the contextual dictionaries, idiomatic expressions and verbal correlatives, revealed the need of Arabic language learners who speak other languages for electronic dictionaries of contextual and

على اختلاف الدارسين العرب في تحديد المصطلح لتسمية التعبير الاصطلاحي وتحريره وأهمية ذلك توحيد المصطلحات العلمية في الأقطار العربية. قدم الباحث عدداً من التوصيات أهمها: تطوير صناعة المعاجم العربية المقدمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، التوسع في تصميم المعاجم الإلكترونية التفاعلية لتنمية مهارات الاستقبال اللغوي: الاستماع والتحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، التوسع في تصميم المعاجم الإلكترونية التفاعلية لتنمية مهارات الإنتاج اللغوي: القراءة والكتابة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، ضرورة دمج التعابير الاصطلاحية والسياقية داخل المقررات التي يدرسها طلاب معاهد تعليم اللغة العربية، لأنَّها تمكنهم من التعبير عمَّا يريدون وتزيد من ثقتهم بأنفسهم وبالتالي إقبالهم على تعلم اللغة بصورة أكبر.

الكلمات المفتاحية:

معاجم سياقية، إلكترونية، التعابير الاصطلاحية، متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

idiomatic expressions, and identified the difference between Arab learners in deciding on the word that name idiomatic expression and its editing, and importance of that in unifying scientific terminologies in Arab countries. The researcher presented a number of recommendations; most important of them are: developing the authorship of Arabic dictionaries that are presented to the learners of Arabic language who speak other languages, increasing the design of effective electronic dictionaries for developing receptive linguistic skill; listening and speaking for learners of Arabic language who speak other languages, expanding the design of effective electronic dictionaries to develop productive linguistic skills; reading and writing for learners of Arabic language who speak other languages and the necessity of incorporating contextual and idiomatic expressions in syllabuses that students of Arabic language learning institutes study, because it enables students to express what they wish and to increase their self-confidence and therefore become more eager in learning Arabic.

Keywords:

Contextual dictionaries, electronic, idiomatic expressions, Arabic language learners, speakers of other languages.

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

كل الأمم تسعى للصدارة والتقدم على جميع الأصعدة، ومواكبة لتسابق الأمم في نشر لغاتها وثقافاتها بين الشعوب فحري بأرباب اللغة العربية العمل الجاد في تقديم ما يساعد ويساهم في نشر لغة القرآن الكريم، ويواكب ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة من طرق وأساليب ولاسيما مع كثرة الإقبال على تعلم اللغة العربية في كثير من البلدان.

إن الناظر في التراث العربي يتضح له جليا الجهود التي بذلها علماء العربية الأوفياء في تيسير تعليم اللغة العربية والحفاظ عليها من جمع وتأليف وشرح وتبسيط، وتبرز هذه الجهود في الصناعة المعجمية؛ لما للمعاجم من دور كبير في تعلم اللغة العربية لأبنائها أو لغير الناطقين بها، وهي أوعية اللغة العربية التي يستقى منها متعلم اللغة العربية وخاصة من غير الناطقين بها ثروته اللغوية من مفردات وتراكيب وأساليب كلامية.

ولقد أشارت دراسات عدة إلى أهمية المعاجم في تعليم اللغة لغير أهلها ومنها دراسة النشوان (١٤٢٧هـ) التي أكدت وجود علاقة إيجابية بين استعمال المعجم واكتساب المهارات اللغوية (التحصيل اللغوي) لدى متعلمي اللغات الأجنبية[١].

إن الاهتمام المتزايد بتعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها من الأمور التي شجعت أهل اللغة على تقديم ما يخدم اللغة العربية تجاه الراغبين في تعلمها من غير أهلها، ومن أبرز ما يقدم في هذا المجال المعاجم اللغوية التعليمية، لذا تجد بعض البوادر والمحاولات الجادة في بناء معاجم تعليمية مخصصة للناطقين بغير العربية

(١) النشوان. أحمد محمد، اتجاهات متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها نحو استعمال المعجم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٨،العدد:٣٨، (٥١٦)، (١٤٢٧ه).

مثل المعجم العربي الأساسي[١] ومعجم الطلاب هو معجم سياقي للكلمات الشائعة[٢] والمعجم العربي بين يديك[٣].

إن المعاجم السالفة الذكر نابعة من مبدأ أن هناك فرقاً بين المعاجم المخصصة لأهل اللغة العربية والمعاجم المخصصة للناطقين بغير اللغة العربية من حيث الأهداف والمحتوى اللغوي والثقافي وطريقة ترتيبه وتنظيمه وإيراد الشواهد والأمثلة التي تعين على توضيح المعنى وأن المعاجم العربية المخصصة لأهل اللغة قديمها وحديثها لا تصلح لخدمة متعلمي اللغة من غير أهلها[٤].

المبحث الأول: يشمل تعريف المعجم والتعابير الاصطلاحية والسياقية والمتلازمات اللفظية:

تعريف المعجم لغةً:

(عجم) أطلقت لتدل على: الإبهام وعدم البيان[٥]. كما أشار لذلك ابن جني بقوله: «اعلم أن (ع. ج. م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء»[٦].

ولكن إذا أضيفت عليها الهمزة فصارت (أعجم) دلَّ ذلك على إزالة الإبهام والغموض عنها، «لأنهم لما قالوا: أعجمت الكتاب، إذا بينته وأوضحته، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لا إثباته»[٧].

(١) مطر، عبد العزيز، المعجم العربي الأساسي إضاءة ونقد، جامعة قطر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية،١٩٨٩م. عدد ١٣.

(٢) صيني، محمود وحيمور يوسف، معجم الطلاب معجم سياقي للكلمات الشائعة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩١م.

(٣) الفوزان، عبدالرحمن والطاهر، مختار وعبدالخالق، محمد، المعجم العربي بين يديك (عربي-عربي) الرياض: مؤسسة العربية للجميع، ٢٠٠٤ م.

(٤) القاسمي، علي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون،٢٠٠٢ م ص ١٣١.

(٥) القاموس المحيط، محمد يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي، مادة: (عجم)،دار أحياء التراث العربي، لبنان، ط٢ (ص:١٤٥).

(٦) ابن جني. سر صناعة الإعراب، تحقيق/ هنداوي،دار القلم،دمشق،ط٢، ١٩٩٣م(ص: ٣٦- ٣٧).

(٧) ابن جني، الخصائص، تحقيق/ محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، (ص:٧٦).

ومما سبق يتضح أن المعجم في اللغة: إزالة ما في الألفاظ والتراكيب من إبهام أو غموض في المعنى، وتوضيح ذلك بما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعراً ونثراً، أما في هذا العصر ومع التطور العظيم في التقنية وغيرها فيمكن إزالة إبهام الألفاظ بالصور وبالمقاطع الصوتية والمرئية التي تشرح هذه الألفاظ والتراكيب التي تُظْهِرُ معانيها إضافة إلى ما سبق ذكره.

المعجم اصطلاحاً:

يعرف المعجم اصطلاحا بأنه: «كتاب يجمع ألفاظ اللغة بطريقة وافية، أو من زاوية خاصة يراها مؤلفه كأن يجمع الصحيح، أو المهذب، أو الجمهور من كلام العرب ويشرحها ويؤيد شرحه بمأثور كلام العرب»(١).

ويعرفه عمر بأنه: «كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما، ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي»(٢).

وعليه فإن المعجم هو: كتاب يحتوي على كلمات وتراكيب مختارة من اللغة العربية مرتبة ترتيباً هجائياً، مع شرح لمعانيها بأمثلة حية من السياقات المعاصرة لتوضيح المعنى.

أولا: التعابير الاصطلاحية:

أن التعابير الاصطلاحية أو الأمثال أو التراكيب الاصطلاحية التي يكون الاصطلاح عليها بين أبناء اللغة ومعانيها يصعب على الناطقين بلغات أخرى فهمها واستخدامها وكذلك ترجمتها.

وتعرف كل لغة مجموعة من الظواهر اللغوية التي تعمل على إثرائها، وتعطي المتكلمين بها إمكانيات لا نهائية للتعبير، ومن هذه الظواهر اللغوية المعروفة لنا: الاشتقاق، والنحت، والترادف، والاشتراك اللفظي، والتضاد، والتركيب الذي يظهر في

(١) مناهج البحث في اللغة والمعاجم، عبد الغفار هلال، دار الفكر العربي، القاهرة ط١، ١٩٩١م، (ص: ١٠٣).
(٢) عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص:١٦٢.

شكل التعابير السياقية و الاصطلاحية[1].

لقد ذكر أبو زلال أن الباحثين العرب المحدثين استخدموا ثمانية وأربعين مصطلحاً للدلالة على التعابير الاصطلاحية.[2] ولذا رأى الباحث إيراد هذه المصطلحات لأهميتها وليرى مطلع البحث الاختلاف في هذه المسميات لدى اللغويين العرب المحدثين.

والمصطلحات الدالة على التعابير الاصطلاحية التي استخدمها الباحثون العرب المحدثون الثمانية والأربعين مصطلحا للدلالة على التعابير الاصطلاحية- وسيوردها الباحث للفائدة هنا- كما ذكرها عصام الدين عبد السلام أبو زلال في كتابه **التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق** وليطلع على الكتاب من أراد الاستزادة وعزو كل مصطلح لأول من استخدمه من العلماء وهي -حسب تتبع أبو زلال- على النحو التالي:

(التعابير الأدبية، المبتذل أو المبتذلات، التعابير البالية، الكليشية أو الكليشيهات، الجمل والعبارات الاصطلاحية، العبارات والجمل الاصطلاحية، التعبيرات الخاصة، تعبير خاص، الكلام المأثور، الأمثال، التركيب، صيغة أو صيغ مسكوكة، التركيب المسكوك، التراكيب المسكوكة، التعبيرات المسكوكة، التعبيرات الشائعة، الخوالف،العبارات المعيارية العرفية، عبارة اصطلاحية، اصطلاح أو اصطلاحات، التراكيب الاصطلاحية، التراكيب الثابتة، التعابير الاصطلاحية، والتعبير الاصطلاحي، والتعبيرات الاصطلاحية، العبارات والأمثال العربية المأثورة، التعبير المثلي، العبارة الجاهزة، العبارة المأثورة، المقولة المأثورة، القول المأثور، الأقوال المأثورة، التعابير الجاهزة المشتركة، التعابير الجامدة، الرسائل الخاصة، العبارات الجامدة، الصيغ الجاهزة، المسكوكات التقليدية، التعبيرات الجاهزة المصكوكة، الجمل الجاهزة، العبارة المصكوكة، المأثورات، التراكيب والعبارات الاصطلاحية، التعبيرة، التعبيرة الاصطلاحية، المصطلح، التعبيرات أو التعابير والأمثال السائرة، التعبير، المأثورات اللغوية والتعابير الأدبية المسكوكة، عبارات الأكليشيهات، مسكوكات لغوية، الوحدة الدلالية المركبة، الوحدة اللغوية المركبة، قوالب التعبير).

(١) حسام الدين،كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح،.ص٣٤.

(٢) أبو زلال، عصام الدين عبدالسلام، التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق، ص٥٥.

ولقد ذكر أبو زلال أن التعدد الكثير للمصطلحات الدالة على التعابير الاصطلاحية يعكس عدم اتفاق الباحثين العرب على مصطلح عربي واحد على التعابير الاصطلاحية، حتى في التخصص الواحد، ولم يقف هذا التعدد عند ذلك الحد، بل تعداه حتى وجد لدى الباحث الواحد أكثر من مصطلح دال على التعابير الاصطلاحية.

ولقد اخترنا أحد المصطلحات الدالة على مفهوم التعابير الاصطلاحية، وهذا المصطلح هو «التعابير الاصطلاحية»، وترجع أسباب اختيار هذا المصطلح إلى ما يأتي:

١. إن التعابير الاصطلاحية تتكون من كلمتين أو أكثر، وكلمة التعابير، وهي جمع تعبير وهي الأنسب للدلالة على هذه السمة التركيبية؛ لأنها تشمل الكلمة والعبارة والجملة.
٢. إن معنى هذه التعابير اصطلاحي، أي متفق عليه بين أبناء الجماعة اللغوية.
٣. إن مصطلح «التعابير الاصطلاحية، هو أكثر المصطلحات شيوعاً بين الباحثين العرب للدلالة على مفهوم التعابير الاصطلاحية.
٤. إن المصطلحات الأخرى لا تعبر تعبيراً دقيقاً عن مفهوم التعابير الاصطلاحية؛ فبعض هذه المصطلحات يدل على أن هذه التعابير تتكون من كلمتين على الأقل.

ويذكر عمر تعريفا للتعبير الاصطلاحي هو: «عبارةٌ لا يُفهم معناها الكُلِّي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضمِّ هذه المعاني بعضها إلى بعض»[١].

ويعرف حلمي التعبير الاصطلاحي بأنه: قائمٌ على «سلسلةٍ من الكلمات التي تُقيِّدها عوامل دلالية وتركيبية تجعل منها وحدة دلالية جديدة»[٢].

وعليه فالتعبير الاصطلاحي هو «نمط تعبيري يتكون من كلمة أو أكثر له معنى خاص اصطلحت عليه الجماعة اللغوية وله دلالة ثابتة لا يدل عليها تجميع دلالات مفرداته».

(١) عمر،أحمد مختار، علم الدلالة، ص٣٣..مرجع سابق.

(٢) هليّل، محمد حلمي،الأسس النظرية لوضع معجمٍ للمتلازمات اللفظية العربية"، أسس المعجم النظري، مجلة المعجمية، تونس، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، عـ ١٢، ١٣، ص، ٢٢٦.

وتتداخل التعابير الاصطلاحية كثيراً مع ظواهر لغوية أخرى مثل الأمثال والكنايات والاستعارات وغيرها ويصعب فصلها عنها، واللغويون ينقسمون حولها فبعضهم يدخلها في التعابير الاصطلاحية مثل كريم حسام الدين، ومنهم من يخرجها، القاسمي، عمر وغيرهم[١].

خصائص التعابير الاصطلاحية:

للتعبير الاصطلاحي خصائص تميزه عن غيره من المتصاحبات اللفظية والمتلازمات وغيرها ومن الخصائص التي تميز التعبير الاصطلاحي عن غيره من الظواهر اللغوية، ما ذكر كريم حسام الدين[٢]، وتتحدد في النقاط التالية:

١. صعوبة الترجمة الحرفية.
٢. ثبات التعبير الاصطلاحي، أي من ذوات الرتب المحفوظة.
٣. إمكانية اقتصار التعبير على كلمتين أو كلمة.
٤. تحول التعبير عن المعنى الحرفي، إلى المعنى المجازي.

وأضاف القاسمي[٣] إلى ما سبق ذكره مجموعة أخرى من الخصائص للتعبير الاصطلاحي هي:

١. تخضع التعابير الاصطلاحية الفعلية للمطابقة في العلامة الإعرابية والشخص (الخطاب والغيبة) والعدد (الإفراد والتثنية والجمع) والنوع (التذكير والتأنيث).
٢. أن التعبير الاصطلاحي يشكل وحدة دلالية واحدة لذا؛ فإنه عرضة لعدد من الظواهر اللغوية أسوة بالمفردات ومن الظواهر الاشتراك اللفظي، والترادف، فقد يكون للتعبير الاصطلاحي مرادف مكون من تعبير اصطلاحي، هو الآخر مثل: لبى نداء ربه: انتقل إلى جوار ربه. نفض يده من (الأمر): غسل

(١) القطيطي، محمد خميس البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية، ص١٧١..
(٢) انظر.حسام الدين،كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح.ص٣٥ ط ١
(٣) انظر القاسمي. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص١٠٣

يده من (الأمر) انبسط وجهه: انبسطت أساريره.

ومن الخصائص للتعابير الاصطلاحية ما ذكره القطيطي وهو: اصطلاحية المعنى، بمعنى أن المعنى النهائي لمفردات التعبير الاصطلاحي هو اصطلاح بين أفراد الجماعة اللغوية التي اتفقت عليه[1].

أشكال التعابير الاصطلاحية:

لا تتخذ التعابير الاصطلاحية شكلا ثابتا بل تتعدد إلى أنماط وأشكال مختلفة قسمها كثير من الدارسين منهم كريم حسام الدين الذي قسمها إلى ستة أقسام وهي:

١. النمط الفعلي مثل: (ضرب بيد من حديد، أعطاه الضوء الأخضر...).
٢. النمط الحرفي مثل: (على قدم وساق، بيدي لا بيد عمرو...).
٣. النمط الإسمي مثل: (منقطع النظير في الخير،أهل الحل والعقد..).
٤. النمط المقلوب من التعبيرات مثل:(أبلغ من قيس، أبصر من غراب...).
٥. النمط المزدوج من التعبيرات مثل:(حياك وبياك، ما هو بلحمة ولا سداه...).
٦. النمط المتبوع من التعبيرات مثل:(همزة لمزة، حيص بيص، عبق لبق...)[2].

ومن الدارسين من يقسم أشكال التعبيرات الاصطلاحية إلى ثلاثة أقسام وهي:

- النمط الفعلي وهو:فعل+.....
- النمط الأسمي وهو:اسم +.....
- النمط الحرفي وهو:حرف +....[3]

ويميل الباحث إلى هذا التقسيم لأنه الأقرب للتقسيم الفعلي من حيث أن التعبير يبدأ إما بفعل أو اسم أو حرف، ويرى الباحث أنه الأنسب وعليه جرى بناء المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة لمتعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى.

(١) القطيطي، محمد خميس البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية، ص١٧١ مرجع سابق.
(٢) حسام الدين.كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح،ص٢١٩.مرجع سابق.
(٣) القاسمي. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق،ص٩٤.مرجع سابق.

اختلاف التعابير الاصطلاحية عن التعابير السياقية والمتلازمات اللفظية:

هناك من يخلط بين التعابير الاصطلاحية والتعابير السياقية أو المتلازمات اللفظية ويحاول الباحث في هذا المبحث أن يوضح الفرق بينها وبين التعابير الاصطلاحية وذلك لكثرة من يقع في هذا الخلط من الباحثين العرب.

ثانياً: التعابير السياقية:

التعبير السياقي كما يعرفه علي القاسمي هو: توارد أو تلازم كلمتين أو أكثر بصورة شائعة في اللغة وذلك للتماثل بين الملامح المعجمية المكونة لكل كلمة منهما ولا يكون التلازم إجبارياً كما لا يشكل التعبير السياقي وحدة دلالية أو نحوية[1].

خصائص التعابير السياقية:

من أهم الخصائص ما ذكره القاسمي بقوله: انطلاقا من الافتراض الأساسي القائل إن التعبير السياقي لا يشكل وحدة دلالية أو نحوية واحدة نستطيع أن نستخلص مايلي:

١. يمكن أن يستشف معنى التعبير السياقي من فهم دلالة عناصره أو الكلمات المكونة له كل على حدة فقولنا (خرق المعاهدة) يعني (انتهك الاتفاقية)؛ لأن خرق تعني انتهك والمعاهدة تعني الاتفاقية، في حين أننا لا نستطيع أن نفهم معنى التعبير الاصطلاحي (على قدم وساق) من فهم معنى كلمة (قدم) وكلمة (ساق) كل على حدة.
٢. في إطار القواعد العامة للنحو العربي، يمكن أن يرد أحد عناصر التعبير السياقي بمفرده دون ورود العنصر الآخر، نستطيع أن نقول (القدس) دون أن نردف بكلمة (الشريف).
٣. التعبير السياقي يستمد معناه من العلاقة الاسنادية لمفرداته، لذا أطلق عليه تعابير داخلية المركز أما التعابير الاصطلاحية فتستمد معانيها من عرف و اصطلاح الجماعة اللغوية لذا فهي تعابير خارجية المركز[2].

(١) القاسمي. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق،ص١٠٣.مرجع سابق.
(٢) أبوزلال. عصام الدين عبدالسلام، التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق،ص٤٣.مرجع سابق.

٤. لا يمكن الاستعاضة عن التعبير السياقي كاملا بكلمة واحدة فتعبير (انهمر المطر بغزارة) لا يمكن الاستعاضة عنها بكلمة، في حين أن التعبير الاصطلاحي (قاب قوسين أو أدنى) ممكن الاستعاضة بكلمة واحدة هي: (قريبا) أو (وشيكا).
٥. تمتاز التعابير السياقية بقدرتها على التنوع أي أنه يمكن تبديل الكلمات المكونة للتعبير السياقي بكلمات مماثلة لها دلالتها دون الإخلال بمعنى التعبير الكلي، ففي التعبير السياقي (ثلة من الجيش) يمكن أن نقول: جماعة من الجيش أو مجموعة من الجنود في حين أن هذا التبديل غير ممكن في التعابير الاصطلاحية[١].

ثالثاً: المتلازمات اللفظية:

هناك من يدخل المتلازمات اللفظية ضمن التعابير الاصطلاحية والمتلازمات اللفظية هي: «اقتران أو تعلق لفظتين أو أكثر في الاستعمال اللغوي تعلقا يصعب معه استبدال إحدى الألفاظ بغيرها»[٢]. كما تُعرف بأنها «ظاهرة لغوية تجعل اللفظين المتواردين متضامين ومجتمعين، ومردود ذلك إلى الاستعمال التداولي الخاص بتلك المتلازمات»[٣].

أوجه الاختلاف والاتفاق بين التعبيرات الاصطلاحية والمتلازمات اللفظية:

- يتفقان في كونهما يعتمدان على الاقتران بين الألفاظ.
- أن للبيئة اللغوية أو الجماعة اللغوية أثرها في تكوين كل منها.
- المتلازمات اللفظية لابد أن تتكون من كلمتين أو أكثر في حين أن التعبير الاصطلاحي قد يتكون من كلمة واحدة، مثل الآزفة، الثقلان.

(١) القاسمي. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق،ص١٠٥.مرجع سابق.
(٢) المتلازمات اللفظية في المعاجم الأحادية والثائية اللغة أمينة أدردور، مجلة الدراسات المعجمية عدد ٥ ص١٢٩، ٢٠٠٦م.
(٣) العنزي،بدرية براك،نحو بناء معجم للمتلازمات اللفظية في المعاجم العربية المعاصرة، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية،ط١، ٢٠١٩.

- ورود إحدى الكلمتين في المتلازمات اللفظية يستدعي ورود الكلمة الأخرى تلقائياً مثل كلمة مكة المكرمة أو المدينة المنورة وذلك لا يحصل في ذكر كلمة من كلمات التعبير الاصطلاحي.

وبعد أن اتضحت الفروق بين التعابير الاصطلاحية والتعابير السياقية والمتلازمات اللفظية وظهرت خصائص كل منها، فإن التعابير الاصطلاحية لم يفرد لها المعجميون العرب معاجماً مستقلةً رغم أهميتها، وإنما ورد ذكرها عرضاً في بعض المؤلفات.

المبحث الثاني: يشمل معاجم التعابير الاصطلاحية والنظرية السياقية:

أولاً: نشأة معاجم التعابير الاصطلاحية:

لا يُوجد في تراث العربي المعجمي القديم - حسب علم الباحث - معجمٌ خُصّص لهذا النوع من التراكيب، وهي معاجم التعابير الاصطلاحية وإن تضمنت بعض المعاجم- عرضا -هذه التعابير ووُجِدت ضمن طيات عددٍ من المعاجم العامة. ولكن وُجِدَ استخدامهم لمصطلح المثل في مصنفاتهم ليدل على هذه الظاهرة اللغوية ولقد اشتملت معاجم اللغة المعروفة مثل **الصحاح** للجوهري، و**اللسان** لابن منظور، و**التاج** للزبيدي إلى جانب الألفاظ المفردة على طائفة كبيرة من التعبيرات الاصطلاحية، كما تعد كتب الأمثال أيضا من المصادر المهمة للتعابير الاصطلاحية إلى جانب دواوين الشعراء. فمثلاً نجد في **معجم العين** - وهو أول معجمٍ عربيٍّ متكامل- بعض التعابير الاصطلاحية، مثل قوله في شرح كلمة حَسَك: «وحَسَكُ الصَّدْر: حِقْدُ العدَاوة، تقول: إنّه لحَسَكُ الصَّدْر علي»[1]، وكذلك فيما أتى من بعده من معاجم.

لكن هذه التعابير لم يُصَنَّف لها في التراث اللغوي العربي معجم مختص بها، ولا رسالة لغوية ولا باب مستقل، وعند النظر في المصنفات اللغوية والأدبية في التراث العربي لوجد أن المصنفات اللغوية والأدبية تنقسم إلى قسمين في اهتمامها بالتعابير الاصطلاحية وذلك على النحو الآتي:

(١) الفراهيدي.الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السَّامرائي، إيران، ١٤١٤هـ.ق، مادة حسك، ج٣٨٣/١.

١. مصنفات عامة:

وهي بعض كتب اللغة والأدب والبلاغة التي ذكر أصحابها طائفة من التعابير الاصطلاحية بشكل عام وعرضي مثل: **إصلاح المنطق**/ لابن السكيت ت ٢٤٤، **أدب الكاتب**/ ابن قتيبة ت٢٧٦هـ، **الصاحبي في فقه اللغة**/ ابن فارس ٣٩٥. **فقه اللغة**/ للثعالبي ت٤٣٠هـ[١].

٢. مصنفات خاصة:

وهي التي اهتمت اهتماماً خاصاً وواضحاً بالتعابير الاصطلاحية مع اختلاف في منهجها وأهدافها مثل: كتاب **الأشباه والنظائر**/ الهمداني ت ٣٢٧هـ، **جواهر الألفاظ**/ قدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ، **متخير الألفاظ**/ ابن فارس ت ٣٩٥هـ، **المجازات النبوية**/ الرضي ت ٤٠٦هـ، **سحر البلاغة وسر البراعة**/ للثعالبي ت ٤٣٠هـ، **أساس البلاغة**/ الزمخشري ت ٥٣٨هـ[٢].

ومن أهم المعاجم اللغوية التراثية التي كَثُرت فيه التعابير الاصطلاحية **(أساس البلاغة)** للزمخشري ت ٥٣٨هـالذي قام بدراسته دراسة تحليلية عصام عبد السلام أبو زلال، وبلغ عدد التعابير الاصطلاحية في هذا المعجم حسب دراسته **(١٥٦٤)** تعبيراً وشملت صوراً كنائية، وتشبيهية، ومجازاً مرسلاً، وصوراً استعارية[٣].

ولقد اهتمت الدراسات اللغوية الحديثة الغربية منها وخاصة المدرسة الروسية بهذا النوع من التراكيب ولهم السبق في هذا، ومن خلال الاحتكاك بالفكر والثقافة الغربية تحركت الدراسات اللغوية العربية نحو تأليف معاجم سياقية للتعابير الاصطلاحية في اللغة العربية.

ولم يصدر معجمٌ خاصٌ بالتعابير الاصطلاحية العربية إلا في القرن العشرين، الذي ألف فيه صيني وعددٌ من الباحثين معجمًا خاصًا بالتعابير الاصطلاحية أسماه: **المعجم**

(١) انظر.حسام الدين.كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح،ص٤٦مرجع سابق
(٢) انظر. ص٥٢.المرجع السابق.
(٣) أبو زلال، عصام الدين عبدالسلام، التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق،ص١٦٤.مرجع سابق.

السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، ١٩٩٦م. ثم تتابعت المعاجم اللغوية التي تتناول هذه التعابير ومنها **معجم التعابير البليغة**، الصباح، ١٩٩٩م. أما في القرن الحادي والعشرين فقد ظهر **معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة**، محمد محمد داود، ٢٠٠٣م ومن ثم تلاه **معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة**، فايد، وقد ساعدها في جمع مواده وتحريرها فريق من الباحثين٢٠٠٧م. ثم **المعجم الموسوعي للتعبير الاصطلاحي في اللغة العربية**، لمحمد محمد داود وفريق عمل متخصص، دار نهضة مصر للنشر، ٢٠١٤م

ثانياً: النظرية السياقية والمعاجم العربية:

إن النظرية السياقية نظرية حديثة بمفهومها عند اللغويين المحدثين وفي الصناعة المعجمية، ولقد ظهرت في المؤلفات العربية نتيجة للاحتكاك بالثقافات الغربية أما بمفهوم مراعاة الحال للمخاطب ومناسبة الحديث فقد عرفها العرب قديماً.

وتنبه كثير من أعلام اللغة العربية القدماء إلى العلاقات السياقية التي تنشأ بين المفردات وقد سبقوا «فيرث» Firth بقرون في تأكيد أهمية البيئة اللغوية في تحديد معنى المفردات، وقد عبر الجرجاني عن ذلك فقال: «الألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن ينضم بعضها لبعض فيعرف فيما بينها من فوائد»[١].

وقد ذكر الزمخشري عندما ذكر سياق الكلام ضمن المعاني المجازية التي يستخدم فيها اللفظ قائلا: ومن المجاز تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام سياقه كذا[٢]. ذكر صاحب **أساس البلاغة** أن لفظ السياق قد ورد استعماله -مجازيا- مع كل من المتكلم الذي يسوق الحديث، وبالمخاطب، إليك يُساق الحديث، والكلام (أي النص المنطوق أو المكتوب) وذلك في قوله، هذا الكلام سياقه كذا[٣].

أما استعمال لفظ السياق عند اللغويين العرب -غير المعجميين -فقد ورد مراداً

(١) الجرجاني.عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ت محمود شاكر ١٩٩٢، القاهرة مطبعة المدني،ط٣ ص:٥٣٩.
(٢) أساس البلاغة ص٣١٤.
(٣) أساس البلاغة (ص٣١٤، ٣١٥).مرجع سابق.

به عدة معاني منها[1]:

- تتابع الكلمات في الجمل وتتابع الجمل في النصوص.
- المقام الذي يصاحب الكلام.
- القصة أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئها مضافا إلى ذلك ما يستفاد من المقال.

ولقد وردت ألفاظ مرادفة أو مقاربة للسياق في كتب اللغويين العرب ومنها: الموقف أو المقام، والحال وهي تعني عندهم الظروف المحيطة بالكلام أو السياق الخارجي، أما البلاغيون العرب فقد أكثروا من مصطلح (الحال) ثم أضافوا مصطلح (مقتضى) وقالوا في تعريف البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[2].

النظرية السياقية:

ظهرت في العصر الحديث النظرية السياقية وهي النظرية التي تنظر إلى اللغة في الاستعمال ويعد فيرث Firth من أشهر العلماء الذين اهتمُّوا بالمنهج السياقي في دراسة المعاني.

السياق Context:

ينحدر لفظ Context[3]: الذي يترجم عادة إلى اللغة العربية به السياق، من السابقة اللاتينية Con بمعنى (مع) + text اللاتينية أيضا والتي كانت تعني في الأصل النسيج، ثم استعملت في معنى الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية ثم صارت تستعمل في معنى: النص، أي تلك المجموعة من الجمل المتراصة مكتوبة كانت أو مقروءة، ثم أصبح للمصطلح بعد التركيب المعاني الآتية:

١. ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص من ظروف داخل النص وخارجه.
٢. قيود التوارد (المعجمي) أو الاشتراك اللفظي التي تراعى عند استعمال أكثر

(١) البركاوي.عبدالفتاح عبدالعليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث،١٩٩١م(ص٢٥).
(٢) المرجع السابق. ص ٢٨-٣٠
(٣) البركاوي. عبدالفتاح عبدالعليم،دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص (٤٥)..مرجع سابق.

من وحدة لغوية، مثال ذلك في اللغة العربية استعمال كلمة الأشهب مع الخيل والأملح مع الغنم والأزهر مع الإنسان وذلك عند إرادة التعبير عن بياض اللون[١].

٣. نص لغوي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معني متكاملا سواء أكان ذلك النص مكتوباً أم متكلماً به.

٤. الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام.

وأكد «فيرث» تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة، وعد مهمة البحث اللغوي منحصرة في تقصي معاني عناصر اللغة من كلمات وأصوات وجمل، لأن المعنى عنده هو العلاقة بين العناصر اللغوية التي تمثل الجانب اللغوي والجانب غير اللغوي المتمثل في السياق الاجتماعي بحيث تتحدد معاني تلك العناصر وفقا لاستعمالها في المواقف الاجتماعية[٢].

ولقد اقترح K.Ammer[٣] تقسيما للسياق على النحو التالي:

١. **السياق اللغوي** Linguistic context: حيث قد تتضح دلالة الكلمة داخل النص الواردة فيه، ويمكن التمثيل له بكلمة (يد) التي ترد في سياقات متنوعة؛ منها: (أعطيته مالًا عن ظهر يد؛ يعني: تفضلا)، (يد الفأس ونحوه: مقبضها) (يد الدهر: مد زمانه)... إلخ.

٢. **السياق العاطفي** Emotional context: وهو يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال؛ مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالًا، أو الغضب فكلمة (يكره) غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى، فالنبر والإيقاع والتنغيم كلها تحدث تأثيراً في الانفعال[٤].

(١)عبد العزيز.محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي ١٩٩٠م،ط ١،ص ٦٠

(٢) انظر. عمر. أحمد مختار، علم الدلالة، ص٦٨..مرجع سابق.

(٣) الحباشة. صابر،المشترك الدلالي في اللغة العربية، بيروت، دار الكتاب الجديد،٢٠١٥م (ص١٦٠)

(٤) عبدالجليل.منقور. علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دار الكتاب الحديث. القاهرة ٢٠١١م ص ٩٠ بتصرف.

٣. **سياق الموقف** Situational context: ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، ويشمل (المتكلم، والسامع وعلاقته مع المتكلم، ومجال الحديث، والزمان والمكان) مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس (يرحمك الله) البدء بالفعل، وفي مقام الترحم بعد الموت (الله يرحمه) البدء بالاسم.

٤. **السياق الثقافي** Cultural context: ويقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة؛ مثل كلمة (جذر) التي لها معنى عند المزارع، ومعنى ثانٍ عند اللُّغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات[١].

وأهم ما يميز النظرية السياقية ما يلي:

- أخرجت المعاني من المعاني الضيقة في المعجمات، إلى استعمالها الحقيقي.
- أنها تحلل اللغة من منظور لغوي، فالسياق اللغوي يبحث عن العلاقات داخل للغة، وهي بذلك تبتعد عن النقد الموجه للنظريات الأخرى التي تحمل اللغة عند تفسير المعنى كالإشارية والسلوكية والتصورية[٢].
- الإسهام في كشف المعنى، وبالتالي تسهيل ملاحظته وتحليله بموضوعية تامة.
- جمعت بين الجانب اللغوي وغير اللغوي للوصول إلى المعنى.

ومما يعاب على النظرية السياقية عند فيرث ما يلي:

- إغفال جوانب مهمة في تحليل المعنى، كالأصوات والنحو.
- عجز السياق أحيانا عن تحديد معنى الكلمة.
- الغموض في تحديد مصطلح النظرية عند فيرث[٣].
- التركيز على المعاني السياقية فيه سلب لمعاني مفردات اللغة المتواضع عليها.
- المبالغة في دور السياق في تصور المعنى.

ولقد كان المعجم العربي الأساسي الذي صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة

(١) انظر.عمر،.أحمد مختار، علم الدلالة، ص٦٨. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.(ص٧٣) بتصرف.

(٣) عبدالجليل.منقور علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي (ص٩٤). مرجع سابق.

والعلوم عام ١٩٨٩م هو أول معجم عربي سياقي- حسب اطلاعي- وهو معجم أحادي اللغة مخصص للناطقين بغير العربية.

ومع ظهور المدونات اللغوية العربية الحديثة كثرت الدراسات المعجمية وخاصة المعاجم السياقية واتجهت بعض الجامعات إلى تبنى النظرية السياقية في مثل هذه المعاجم، وإن هذا البحث وأمثاله لتصب في هذا المجال وتثري المكتبة العربية حول بناء المعاجم السياقية أو معاجم التعابير الاصطلاحية ووفق الصناعة المعجمية الحديثة وفي ضوء النظرية السياقية بالمفهوم الحديث.

ولقد بدأت المعاجم العربية بالاهتمام بالنظرية السياقية متأخراً بعد أن قطعت المعاجم الغربية شوطاً كبيراً في هذا المجال، وذلك لكون المعاجم السياقية تحتاج إلى مسح شامل للغة وهذا يتعذر على الجهد البشري، وأيضا تكوين فريق عمل للمعجم -وهو ما تطالب به الصناعة المعجمية - وليس بالصورة الفردية التي مهما بلغت فلن تحيط بجميع السياقات اللغوية[١].

وإن التقنية التي تلعب دوراً كبيراً في معاجم اللغات الأخرى لا يزال استخدامها في الصناعة المعجمية العربية محدوداً، ومن عوامل تأخر تطبيق النظرية السياقية في المعاجم العربية عدم الاتفاق بين المعجميين على كثيرٍ من المصاحبات اللفظية مثل: التعابير الاصطلاحية، والتعابير السياقية، والأمثال، والكنايات وغيرها، ولم تتضح بشكل يسمح بالفصل بينها، فضلاً عن إمكانية الاستعانة بالتقنية الحاسوبية في التعامل معها سواء في البحث أو الترجمة أو غير ذلك[٢].

المبحث الثالث: أهمية المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية في التنمية اللغوية للناطقين بلغات أخرى:

إن متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى لهم في حاجة إلى المعاجم السياقية وذلك لما للمعاجم من دور بارز في العملية التعليمية وفي زيادة الإثراء

(١) فايد.وفاء كامل،معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة ص.ج مرجع سابق.

(٢) عمر.أحمد مختار علم الدلالة،ص ٧٢ مرجع سابق.

اللغوي والحصيلة اللغوية لمتعلم اللغة وكذلك مساعدة المتعلم على التواصل والاستعمال الصحيح للغة.

ويرى القاسم[1]: بأنَّه على مدرسي اللغة أن يزودوا تلاميذهم بثقافة معجمية؛ لأن إهمال هذا الجانب الحيوي في التربية اللغوية لا يسبب عدم تمكن الطالب من استخدام المعجمات بشكل فعال فحسب،بل يسبب ظهور مفاهيم خاطئة عن طبيعة المعجم ووظيفته أيضًا.

ويتفق الباحث أن ما ذهب إليه القاسمي من ضرورة تزويد متعلمي اللغة بثقافة معجمية تمكنهم من استعمال المعجم بشكل فعَّال لهو عين الحقيقة ونظرة الخبير الثاقبة، وهو ضرورة حتمية للوصول للكفاية اللغوية لمتعلم اللغة العربية من غير الناطقين بها، ويحتاج متعلمو اللغة العربية من غير الناطقين بها إلى معاجم مخصصة لهم تيسر وتسهل عليهم اللغة وتحببها لهم.

وإن معاجم التعابير الاصطلاحية من الأهمية بمكان وذلك لفائدتها في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، فالذين يتعلمون العربية من غير العرب سيقفون كثيراً عند التعبير الاصطلاحي: «أطلق ساقيه للريح» ويُبهم عليهم فهم دلالتها خاصةً عندما ترد ضمن سياقٍ لا علاقة له بالدلالة الحرفية لهذا التركيب.

وكذلك يمكن الإفادة من هذه المعاجم في خدمة المعجم العربي الإلكتروني، إذ أنَّ الترجمة الآلية بحاجةٍ ماسة إلى مثل هذا النوع من المعاجم، ومن التعابير التي لو ترجمت حرفيا لما توصل إلى المعنى المقصود منها مثل: ذر الرماد في العيون، جاؤوا على بكرة أبيهم، ألقى الضوء على المشكلة، وذلك لأن الدلالة المعجمية، ليست هي المقصودة[2]، لكنّ دلالتها عند العرب لا تعني المعنى الحرفي بل اصطلح أهل اللغة على معنى اصطلاحي لها، وقد أتت هذه الدلالة من اتفاق الجماعة اللغوية العربية على تحميلها هذه المعاني.

(١) القاسمي. علي، علم اللغة وصناعة المعجم، (ص: ١٦٣).مرجع سابق.

(٢) القطيطي. محمد خميس، البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية، ص١٧٤مرجع سابق.

إن استعمال المعجم يُعتبر وسيلة من الوسائل التي تساعد المتعلم للغة على سرعة اكتساب وتعلم اللغة بشكل جيد وفعال، كما أنَّه يبرز كأحد هذه الوسائل خاصة إذا كان هذا المعجم مصممًا على أسس علمية وتربوية تلائم حاجات متعلمي اللغة العربية من الناطقين بلغات أخرى، ومعداً تقنياً ليكون معجماً سياقياً إلكترونياً مميزاً.

وتوفر المعاجم السياقية الإلكترونية للتعابير الاصطلاحية ميزةً لا توفرها المعاجم الأخرى وهي أنَّها- لا تجمع بين الكلمة أو التعابير ونطقها في آنٍ واحد، فحسب -بل إن المعاجم السياقية الإلكترونية للتعابير الاصطلاحية توفر ذلك بالإضافة إلى سياقات وردت فيها الكلمة أو التعابير الاصطلاحية في مجالات عدة مع اصطحاب السياق الاجتماعي والثقافي لتلك التعابير.

ويمكن تحديد بعض النقاط التي يحققها المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وتبرز أهميته في ميدان تعليم اللغات وتعلمها فيما يلي:

١. يُمكِّن المعجم المتعلِم من تعلم المفردات وحفظها وبذلك تنمو حصيلته اللغوية[١].
٢. يُمكّن المعجم المتعلِم من معرفة المعنى الدقيق للمفردات، فذكر المفردة المعجمية -المدخل-في سياق يحدد معناها، ويبين كيفية استعمالها يبعد المتعلم عن ظاهرة اللفظية التي تعني ترديد المفردات دون معرفة معانيها أو دون إدراك دقيق لهذه المعاني[٢].
٣. يُعطي المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى المتعلّم معلومات عن أنظمة اللغة المُتعلَّمة وخصائصها، والتي لا يمكن الحصول عليها مجتمعة من مصدر آخر.

(1) Knight, S. (1994). Dictionary Use While Reading: the Effects on Comprehension and Vocabulary Acquisition For Students of Different Verbal Abilities. Modern Language Journal, 78, 285 –299.

(2) Scholfield, P. (1999). Dictionary use in reception. International Journal of Lexicography, 12 (1), 13 –34.

٤. يُمكّن المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى المتعلِم من تعلم التعابير الاصطلاحية وحفظها وبذلك تنمو حصيلته اللغوية[١].

٥. يُمكّن المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى المتعلِم من معرفة المعنى الدقيق للتعابير الاصطلاحية والتراكيب اللغوية، فذكر تعبير اصطلاحي (المدخل) وفي سياق يحدد معناه، ويبين كيفية استعماله ويبعد المتعلم عن الظاهرة اللفظية التي تعني ترديد المفردات والتراكيب اللغوية دون معرفة معانيها أو كيفية استخدامها.

٦. يمكّن المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى من استخدام التعابير الاصطلاحية والتراكيب اللغوية استخداماً صحيحاً ودقيقاً فهماً وإفهاماً كتابةً وتحدثاً[٢].

٧. يمكّن المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى المتعلم من التخلص من جوانب الضعف والخطأ في فهم معاني المفردات والتعابير الاصطلاحية واستخداماتها، فقد أظهرت الدراسات منها دراسة القطيطي[٣] أن أخطاء المتعلمين في التعابير الاصطلاحية من أكثر أنواع الأخطاء تواردا.

وتبرز أهمية المعجم السياقي الإلكتروني للتعابير الاصطلاحية بالنسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها – إضافة إلى ما سبق - في النقاط التالية:

١. إمكانية الوصول إلى التعبير الاصطلاحي المراد معرفة معناه بيسر وسهولة.

٢. إمكانية الحصول على المعجم على أقراص مضغوطة CD - ROM ذات إمكانية تخزين ضخمة.

(١) المعتوق. أحمد محمد، الحصيلة اللغوية: أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها،،عالم المعرفة،الكويت،١٩٩٦ (ص:٣٣٠).

(٢) المعتوق. أحمد محمد، الحصيلة اللغوية: أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها،، (ص:٣٣٥). مرجع سابق.

(٣) القطيطي. محمد خميس، البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية، ص١٧٣.مرجع سابق.

٣. إمكانية الحصول على المعجم من خلال المواقع الإلكترونية[١].
٤. إمكانية اقتناء المعجم عن طريق أجهزة الهاتف الذكية.
٥. سرعة الإيضاح لمعاني المداخل وفهمها سواء بالصورة أو الصوت أو بهما معا[٢].

الخاتمة

ويتضح مما سبق أنَّ متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى بحاجة عند البدء بتَعَلُّم اللغة العربية إلى ثروة لغوية وفهم لأنظمتها وتراكيبها ليتمكنوا من التواصل مع الآخرين باللغة العربية، إلا أنهم يواجهون عوائق تحول دون الوصول إلى هذا الهدف بعضها يتعلق بصعوبة فهم الكلمات والبعض الآخر يتعلق بصعوبة فهم التعابير الاصطلاحية والتراكيب الخاصة باللغة ومنها ما يتعلق بصعوبة الحصول عليها من المعاجم الورقية، وكل هذه العوائق تزول باستخدام المعاجم السياقية الإلكترونية للتعابير الاصطلاحية أو تقل، لاسيما إذا كان هذه المعاجم السياقية الإلكترونية للتعابير الاصطلاحية مدعومة بالسياقات والتراكيب والأمثلة والأصوات فإن ذلك يُعد دافعا قويا ومحفزاً جيداً للطلاب على تعلم اللغة، كما تكتمل الفائدة منه في تعليم اللغات إذا تم توظيف التعابير الاصطلاحية الواردة فيه، في المناهج التعليمية بطريقة علمية منظمة تراعي حال المتعلمين.

ومما سبق تبين أنَّ المعاجم الإلكترونية للتعابير الاصطلاحية والسياقية تجعل تعلم اللغة العربية أكثر فاعلية وحركة، وأيسر مؤونة، وأكثر استقلالية مما يجعل المتعلمين يبحثون ويتطلعون إلى الاستزادة من مفردات اللغة وتراكيبها وأساليبها وكيفية استخدامها، وعدم النفور منها وعلينا معشر أنصار اللغة العربية وأهلها بالبحث والنظر وحث الخطى نحو الأساليب والطرق الحديثة لتعليم اللغات وأن نسمو بلغتنا نحو العالمية فهي أهلٌ لذلك.

(١) القاسمي.علي،صناعة المعجم الحديث، (ص:١٨٣).مرجع سابق.
(٢) مدكور. عمرو، الدلالة في المعجم العربي المعاصر، القاهرة، ميراث النبوة للنشر والتوزيع،٢٠٠٨م (ص:٢١١).

للمعاجم السياقية الإلكترونية دور فعال ومهم في زيادة الحصيلة اللغوية، بالإضافة إلى أنها تساعد متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على معرفة معاني المفردات والتعابير الاصطلاحية والسياقية والاطلاع على التراكيب اللغوية المستخدمة في اللغة العربية.

وانطلاقاً من أهمية المعاجم السياقية الإلكترونية للتعابير الاصطلاحية في اللغة العربية المعاصرة فإن هناك حاجة دائمة للبحث وخاصة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ومواكبة للتطور التقني والمعلوماتي وجب على المهتمين بتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى أن يعملوا على إدخال التقنية في التعليم وإيجاد حل لمشكلة قلة المعالجة التقنية للمعاجم والترجمة الآلية للغة العربية.

توصيات البحث:

يوصي الباحث بعدد من التوصيات أهمها:

١. تطوير الصناعة المعجمية في المعاجم العربية المقدمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

٢. التوسع في تصميم المعاجم الإلكترونية التفاعلية لتنمية مهارات الاستقبال اللغوي: الاستماع والتحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

٣. التوسع في تصميم المعاجم السياقية الإلكترونية التفاعلية لتنمية مهارات الإنتاج اللغوي: القراءة والكتابة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

٤. الاستفادة من كل ما تقدمه التقنية، خاصةً في مجال الصناعة المعجمية والمقررات التعليمية المقدمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

٥. ضرورة دمج التعابير الاصطلاحية داخل المقررات التي يدرسها طلاب معاهد تعليم اللغة العربية، لأنَّها تمكنهم من التعبير عمَّا يريدون وتزيد من ثقتهم بأنفسهم وبالتالي إقبالهم على تعلم اللغة بصورة أكبر.

مقترحات البحث:

يقترح الباحث إجراء الدراسات المستقبلية التالية:

١. تصميم معاجم إلكترونية ناطقة قائمة على استخدام الثنائيات الصغرى في تنمية مهارات التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٢. أثر المعاجم السياقية الإلكترونية الناطقة للتعابير الاصطلاحية في تنمية مهارات اللغة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

المراجع

١. ابن جني، الخصائص، تحقيق/ محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
٢. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق/ هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.
٣. أبو زلال، عصام الدين عبدالسلام، التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق.
٤. أساس البلاغة.
٥. البركاوي، عبدالفتاح عبدالعليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ١٩٩١م.
٦. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ت محمود شاكر ١٩٩٢، القاهرة مطبعة المدني، ط٣.
٧. الحباشة، صابر، المشترك الدلالي في اللغة العربية، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٥م.
٨. حسام الدين، كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح ط ١.
٩. حسام الدين، كريم زكي، التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح.
١٠. عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي ١٩٩٠م، ط ١.
١١. عبدالجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دار الكتاب الحديث. القاهرة ٢٠١١م.
١٢. عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب.
١٣. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة.
١٤. العنزي، بدرية براك، نحو بناء معجم للمتلازمات اللفظية في المعاجم العربية المعاصرة، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ٢٠١٩.
١٥. فايد، وفاء كامل، معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة ص.ج.
١٦. الفراهيدي.الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السَّامرائي، إيران، ١٤١٤هـ.ق، مادة حسك، ج١.
١٧. الفيروزآبادي، محمد يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، مادة: (عجم)، دار أحياء التراث العربي، لبنان، ط٢.
١٨. القاسمي. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق.
١٩. القاسمي، علي، صناعة المعجم الحديث.
٢٠. القطيطي، محمد خميس البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية.
٢١. المتلازمات اللفظية في المعاجم الأحادية والثنائية اللغة أمينة أردردور، مجلة الدراسات المعجمية عدد ٥، ٢٠٠٦م.
٢٢. مدكور، عمرو، الدلالة في المعجم العربي المعاصر، القاهرة، ميراث النبوة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
٢٣. المعتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية: أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها، عالم المعرفة،

الكويت، ١٩٩٦.
٢٤. النشوان. أحمد محمد، اتجاهات متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها نحو استعمال المعجم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٨، العدد:٣٨، (٥١٦)، (١٤٢٧هـ).
٢٥. هلال، عبد الغفار، مناهج البحث في اللغة والمعاجم، دار الفكر العربي، القاهرة ط١، ١٩٩١م.
٢٦. هليّل، محمد حلمي،الأسس النظرية لوضع معجمٍ للمتلازمات اللفظية العربية»، أسس المعجم النظري، مجلة المعجمية، تونس، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ع ١٢، ١٣.
27. Knight, S. (1994). Dictionary Use While Reading: the Effects on Comprehension and Vocabulary Acquisition For Students of Different Verbal Abilities. Modern Language Journal.
28. Scholfield، P. (1999). Dictionary use in reception. International Journal of Lexicography.